مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

ظروف إقامة سيد الشهداء (عليه السلام)
في مكة المكرمة

الجزء الأول

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

بسم الله الرحمن الرحیم

ظروف اقامه سيد الشهداء عليه السلام في مكه المكرمه

كاتب:

سيد علي جمال أشرف

نشرت في الطباعة:

مولف

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

ظروف اقامه سيد الشهداء عليه السلام في مكه المكرمه المجلد 1 17

اشارة 17

اشارة 17

الديباجة 21

المقدّمة 31

تاريخ دخول الإمام (عليه السلام) إلي مكّة ومدّة إقامته 37

اشارة 37

مدّة إقامته 38

الآية الّتي تلاها الإمام (عليه السلام) عند دخول مكّة واستخارته 41

اشارة 41

دعاء الإمام (عليه السلام) واستخارته 42

تغيير والي مكّة 43

اشارة 43

التوضيح الأوّل: الوالي الّذي تمّ تغييره 43

اشارة 43

التغيير الأوّل: عثمان بن محمّد 43

اشارة 43

النصّ الأوّل: 43

النصّ الثاني: 44

النصّ الثالث: 45

التغيير الثاني: يحيي بن حكيم 46

التغيير الثالث: الحارث بن خالد 47

التغيير الر ابع: عبد الرحمان بن نبيه 48
التغيير الخامس: الوليد بن عُتبة 49
التغيير السادس: مروان 50
التغيير السابع: عمر بن سعد بن أبي وقّاص 50
التغيير الثامن: عمرو بن سعيد 51
اشارة 51
الطائفة الأُولي: تولية المدينة 51
الطائفة الثانية: تولية مكّة 55
الطائفة الثالثة: تولية مكّة والمدينة 55
التوضيح الثاني: وقت التغيير 56
التوضيح الثالث: علّة التغيير 58
اشارة 58
العلّة الأُولي: الوشاية بالوليد 59
العلّة الثانية: خوفه من ضعف الوليد 59
العلّة الثالثة: تجبرّ عمرو وتكبرّه وطغيانه 61
التوضيح الرابع: الهدف من إنفاذ الأشدق 62
التوضيح الخامس: دخوله المدينة ومدّة مكثه فيها 64
التوضيح السادس: خطبته 65
التوضيح السابع: متنٌ آخَر للخطبة 66
التوضيح الثامن: رعف علي المنبر 67
التوضيح التاسع: استعمال عمرو بن الزبير علي الشرطة وما فعل بأنصار أخيه 69
التوضيح العاشر: خروجه من المدينة 70
التوضيح الحادي عشر: أمير الموسم في شهر رمضان والحجّ 71
عمرو بن سعيد بن العاص 73
اشارة 73

النقطة الأُولي: مَن هو؟ 73
النقطة الثانية: سبب تلقيبه بالأشدق 74
النقطة الثالثة: وصَفَه النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) بالجبّار 75
النقطة الرابعة: أوّل مَن أخفت بالبسملة 76
النقطة الخامسة: موقفه حين سمع خبر شهادة الإمام (عليه السلام) 76
النقطة السادسة: كان أشدّ الناس في أمر مروان 79
النقطة السابعة: طمعه في المُلك وقتله 80
النقطة الثامنة: قتل عمرو بن سعيد بن العاص 83
النقطة التاسعة: كلام صاحب (الغدير) فيه 84
النقطة العاشرة: هذا هو والي مكّة! 85
نزول الإمام (عليه السلام) دار العبّاس بن عبد المطّلب 87
اشارة 87
نزول الإمام بأعلي مكّة 89
اشارة 89
الملاحظة الأُولي: تفرّد الخوارزميّ 90
الملاحظة الثانية: ارتباك النصّ 90
الملاحظة الثالثة: تصريح الخوارزميّ بالإقامة في مكّة 91
الملاحظة الرابعة: نزول المستجير بالبيت 91
الملاحظة الخامسة: اختلاف الظروف 92
الملاحظة السادسة: علي فرض صحّة القول 92
لقاء الناس بالإمام (عليه السلام) 95
لو طلب البيعة لأجيب!! 101
كتاب الأشدق ليزيد 105
اشارة 105
التلميح الأوّل: اسم الوالي 105

التلميح الثاني: انفراد الخوارزميّ ---------- 106

التلميح الثالث: مخاوف السلطان ---------- 106

التلميح الرابع: سبب المخاوف ---------- 107

التلميح الخامس: الإخبار عن فعل الناس ---------- 107

التلميح السادس: الكتاب من المدينة ---------- 108

التلميح السابع: خروج الوالي إلي المدينة! ---------- 108

التلميح الثامن: إخبار يزيد بنزول الإمام (عليه السلام) ---------- 109

التلميح التاسع: الخلاصة ---------- 110

كتاب يزيد إلي أهل المدينة وردّ الإمام (عليه السلام) ---------- 113

اشارة ---------- 113

العنوان الأوّل: وقت إرسال الكتاب ---------- 115

اشارة ---------- 115

الوقت الأوّل: إبّان خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي مكّة ---------- 115

الوقت الثاني: عند نزول الإمام (عليه السلام) في مكّة ---------- 116

العنوان الثاني: نُسَخ الكتاب ---------- 119

اشارة ---------- 119

النسخة الأُولي: نسخة إلي أهل المدينة وغيرهم ---------- 120

اشارة ---------- 120

الوقفة الأُولي: المخاطَب ---------- 126

الوقفة الثانية: معني النظر في الكتاب ---------- 127

الوقفة الثالثة: ابتداء القرد بالهجوم ---------- 128

الوقفة الرابعة: مؤدّي الأبيات ---------- 129

اشارة ---------- 129

المؤدّي الأوّل: كتابٌ أبتر ---------- 129

المؤدّي الثاني: تظلّم يزيد! ---------- 130

المؤدّي الثالث: حصر مورد المفاخرة ---------- 130

المؤدّي الرابع: منازعة مورد التفاخر ---------- 131

المؤدّي الخامس: التهديد ---------- 132

المؤدّي السادس: العزم علي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) والاعتذار منه ---------- 133

الوقفة الخامسة: جواب الإمام (عليه السلام) ---------- 134

اشارة ---------- 134

الإشارة الأُولي: المخاطَب ---------- 134

الإشارة الثانية: مضمون الجواب ---------- 135

الإشارة الثالثة: تطبيق الآية علي المقام ---------- 136

الإشارة الرابعة: تحديد مصداق المكذّب ---------- 137

الإشارة الخامسة: ازدراء المخاطَب ---------- 138

النسخة الثانية: نسخة إلي ابن عبّاس ---------- 140

اشارة ---------- 140

الإيضاح الأوّل: اتّحاد نُسَخ الكتاب! ---------- 143

الإيضاح الثاني: محاولة استبدال الرموز ---------- 144

الإيضاح الثالث: تصوير سلطة ابن عبّاس علي الإمام (عليه السلام) ---------- 146

الإيضاح الرابع: يزيد يكلّف ابن عبّاس بالمهمّة ---------- 147

الإيضاح الخامس: هجوم العدوّ ---------- 150

الإيضاح السادس: وضع الإمام (عليه السلام) وابن الزبير في موقفٍ واحد ---------- 151

الإيضاح السابع: النزاع علي السلطة ---------- 153

الإيضاح الثامن: الافتراء علي الإمام (عليه السلام) ---------- 154

اشارة ---------- 154

الدنيّة الأُولي: ---------- 154

الدنيّة الثانية: ---------- 156

الدنيّة الثالثة: ---------- 157

الدنيّة الرابعة: 158
الدنيّة الخامسة: 159
الدنيّة السادسة: 159
الإيضاح التاسع: مكاتبة أهل الكوفة 161
الإيضاح العاشر: إقرار القرد المخمور بقلّة مَن كاتب ودعا 162
الإيضاح الحادي عشر: يمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمارة 165
اشارة 165
الاستطالة الأُولي: الكذب الصريح 166
الاستطالة الثانية: محاولات التضليل 167
الاستطالة الثالثة: منّوه الخلافة! 168
الاستطالة الرابعة: شاهدٌ علي كذب يزيد 169
الاستطالة الخامسة: اغترار الإمام (عليه السلام) بوعود الناس! 170
الإيضاح الثاني عشر: قطع الرحم وبتّه 172
الإيضاح الثالث عشر: الأمان والمساومة بالدنيا 173
اشارة 173
الأمر الأوّل: تأخّر المقايضة 173
الأمر الثاني: المقايضة 174
الأمر الثالث: تقديم المواثيق 177
الإيضاح الرابع عشر: إغراء ابن عبّاس 179
جواب ابن عبّاس 182
اشارة 182
المحتوي الأوّل: ما يراه ابنُ عبّاسٍ في نفسه 185
المحتوي الثاني: تصريح الجواب بسبب الخروج من المدينة 186
المحتوي الثالث: أداء النصيحة ومفادها 188
اشارة 188

المادّة الأُولي: النائرة، الفتنة، حقن الدماء.. 188
المادّة الثانية: يأمر يزيد بما يأمر به الإمام (عليه السلام) 190
اشارة 190
أوّلاً: جعل نفسه في موضع الآمِر للإمام (عليه السلام) 191
ثانياً: جمعه الإمام (عليه السلام) ويزيد في مستويً واحدٍ من الخطاب 192
المادّة الثالثة: تبييت يزيد وإرصاده وحفره لسيّد الشهداء (عليه السلام) 193
المادّة الرابعة: النصيحة لأولاد البغايا 195
المادّة الخامسة: خاتمةٌ تفرّد بها الشجريّ 197
النسخة الثالثة: نسخة إلي عمرو بن سعيد 200
اشارة 200
الإضافة الأُولي: نسخة الأشدق 201
الإضافة الثانية: المخاطَب في هذه النسخة 201
الإضافة الثالثة: قول الشعبيّ 202
لقاء ابن عبّاس وابن عمر بالإمام (عليه السلام) 204
اشارة 204
الإضاءة الأُولي: دخلا وقد عزما علي الانصراف 205
الإضاءة الثانية: محاولة الإبقاء علي سيّد الشهداء في الحرم 206
الإضاءة الثالثة: بدايةٌ وقحة! 207
الإضاءة الرابعة: ترتيب المقدّمات في كلام ابن عمر 208
اشارة 208
المقدّمة الأُولي: 209
المقدّمة الثانية: 210
المقدّمة الثالثة: 211
النتيجة: 211
الإضاءة الخامسة: هلاك البشر! 212

الإضاءة السادسة: حسينٌ مقتول! 212
الإضاءة السابعة: فهم ابن عمر لموقف سيّد الشهداء (عليه السلام) 215
الإضاءة الثامنة: إشارة ابن عمر! 216
اشارة 216
الأمر الأوّل: الدخول في صلح ما دخل فيه الناس 216
الأمر الثاني: الصبر كما صبر علي معاوية 216
الأمر الثالث: تهديد الإمام (عليه السلام) 217
الإضاءة التاسعة: ردّ الإمام (عليه السلام) 217
اشارة 217
الملاحظة الأُولي: إنكار الدعوة للدخول في صلح يزيد 218
الملاحظة الثانية: إذا كان الإمام مقتول، فلماذا يُدعي للبيعة الصاغرة؟ 219
الإضاءة العاشرة: عزم يزيد علي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) بتقرير ابن عبّاس 219
اشارة 219
الإفادة الأُولي: تظافر الشهادات علي يزيد 220
الإفادة الثانية: عزم الرجس علي قتل الطُّهر 220
الإفادة الثالثة: موقف الناس 221
الإفادة الرابعة: المطلوب من الناس 222
الإفادة الخامسة: أثر الخذلان 223
الإضاءة الحادية عشر: بكاء الحسين (عليه السلام) وابن عبّاس! 223
الإضاءة الثانية عشر: إعلان سيّد الشهداء (عليه السلام) عن مطاردته وعزمهم علي قتله وإهدار دمه وإزعاجه بلا مسوّغ، وتظلّمه ومناشدته 224
الإضاءة الثالثة عشر: إقرار ابن عبّاس بمظلوميّة الإمام (عليه السلام) 229
اشارة 229
اللمعة الأُولي: الإقرار بالمظلوميّة والحكم علي الناس 229
اللمعة الثانية: تأكيد ما ذكره الإمام (عليه السلام) 231
اللمعة الثالثة: اللّهمّ اشهدْ 232

اللمعة الرابعة: كأنّك تريدني إلي نفسك! ---------- 233
الإضاءة الرابعة عشر: سماجة ابن عمر، مع اعترافه أنّ العدوّ عازمٌ علي قتل الحسين (عليه السلام) ---------- 238
الإضاءة الخامسة عشر: ردّ سيّد الشهداء (عليه السلام) ---------- 241
اشارة ---------- 241
المضمون الأوّل: لو كان الحياء رجلاً لَكان الحسين (عليه السلام) ---------- 242
المضمون الثاني: أُفٍّ لهذا الكلام! ---------- 243
المضمون الثالث: القسَم علي ابن عمر ---------- 248
المضمون الرابع: الأمر الّذي كان عليه الإمام (عليه السلام) ---------- 249
المضمون الخامس: فردّني.. ---------- 249
المضمون السادس: من فوائد التقرير ---------- 250
الإضاءة السادسة عشر: جواب ابن عمر ---------- 251
اشارة ---------- 251
المطلب الأوّل: الارتباك في تعبير ابن أعثم ---------- 252
المطلب الثاني: استشهاد ابن عمر بالله ---------- 253
المطلب الثالث: أدلّة ابن عمر علي صحّة مواقف الإمام ---------- 253
اشارة ---------- 253
الدليل الأوّل: العصمة والتسديد الإلهيّ ---------- 254
الدليل الثاني: موانع المناولة ---------- 254
المطلب الرابع: مخاوف ابن عمر رغم إقراراته ---------- 255
اشارة ---------- 255
الخوف الأوّل: الخوف من ضرب وجه الإمام (عليه السلام) بالسيوف ---------- 255
الخوف الثاني: أن يري الإمامُ (عليه السلام) من الأُمّة ما لا يحبّ ---------- 256
المطلب الخامس: عودة العبد إلي هرائه ---------- 256
المطلب السادس: الدعوة إلي مجانبة الصواب ---------- 257
المطلب السابع: خلاصة كلام ابن عمر ---------- 257

الإضاءة السابعة عشر: إصرار القوم علي ملاحقة الإمام (عليه السلام) وقتله كيف ما كان ---------- 259
اشارة ---------- 259
المقطع الأوّل: الإمام (عليه السلام) مطلوبٌ أبداً وعلي كلّ حال ---------- 262
المقطع الثاني: الاستشهاد بيحيي (عليه السلام) ---------- 264
اشارة ---------- 264
الإشارة الأُولي: خلاصة قصّة يحيي (عليه السلام) ---------- 264
الإشارة الثانية: الإمام (عليه السلام) يُكثِر من ذِكر يحيي (عليه السلام) ---------- 275
الإشارة الثالثة: قتل يحيي (عليه السلام) تشفّياً وانتقاماً ---------- 275
الإشارة الرابعة: البغيّ الّذي أُهدي إليه رأس الإمام (عليه السلام) ---------- 275
الإشارة الخامسة: براءة يحيي وقتله دون ذنب ---------- 277
الإشارة السادسة: مبادرة العدوّ وإقدامه علي قتل يحيي (عليه السلام) ---------- 278
الإشارة السابعة: الانتقام ليحيي (عليه السلام) ---------- 278
الإشارة الثامنة: هوان الدنيا علي الله (عزوجل) ---------- 279
الإشارة التاسعة: ما يتعرّض له الأولياء لا يُنقص من قدرهم ---------- 280
المقطع الثالث: الاستشهاد بقتل بني إسرائيل الأنبياء (عليهم السلام) ---------- 282
اشارة ---------- 282
التنبيه الأوّل: قتل الأنبياء (عليهم السلام) بغير حقّ ---------- 282
التنبيه الثاني: ممارسة الجريمة في أشرف الأوقات ---------- 283
التنبيه الثالث: اجتماعهم علي الجريمة ---------- 284
التنبيه الرابع: عدم الاكتراث بالجريمة ---------- 284
التنبيه الخامس: الانتقام من القَتَلَة ---------- 285
المقطع الرابع: التعريض بابن عمر ---------- 286
اشارة ---------- 286
التعريض الأوّل: الدعوة إلي تقوي الله ---------- 286
التعريض الثاني: الدعوة إلي النصرة ---------- 287

التعريض الثالث: اذكرني في صلاتك 288
الإضاءة الثامنة عشر: إتمام الحُجّة 289
اشارة 289
الشطر الأوّل: لو أدرك عمر زماني لَنصرني! 289
اشارة 289
التنويه الأوّل: القسَم بجدّه البشير النذير 290
التنويه الثاني: حجّةٌ جديدةٌ ودليلٌ آخَر 290
اشارة 290
الوجه الأول: احتجاجٌ تنزّليّ 291
الوجه الثاني: وفق دوافع أبيك ونوازعه 291
الوجه الثالث: الاقتداء بسنّة أبيه 292
الشطر الثاني: الإعذار 292
الشطر الثالث: الدعاء والتباطؤ 294
الإضاءة التاسعة عشر: هدف الإمام (عليه السلام) من دخول مكّة والبقاء فيها 295
اشارة 295
النقطة الأُولي: الاستيطان والإقامة أبداً 296
النقطة الثانية: شرط البقاء 298
اشارة 298
الشعبة الأُولي: الحبّ 298
الشعبة الثانية: النصرة 301
النقطة الثالثة: فرض عدم توفّر الشرط 302
النقطة الرابعة: البديل 304
اشارة 304
الموقف الأوّل: الاستبدال 304
الموقف الثاني: الاستعصام بكلمة إبراهيم (عليه السلام) 306

النقطة الخامسة: التشبيه بإبراهيم الخليل (عليه السلام) ---------- 307

النقطة السادسة: وأنت يا ابن عبّاس! ---------- 309

اشارة ---------- 309

الومضة الأُولي: التفاتة الإمام (عليه السلام) إلي ابن عبّاس! ---------- 309

الومضة الثانية: حرج ابن عبّاس ---------- 310

الومضة الثالثة: المداراة والتودّد ---------- 311

الومضة الرابعة: تطييب خاطره ---------- 312

الومضة الخامسة: إنْ كنتَ تشير بالرشاد فإنّك أخطأتَ اليوم ---------- 313

الومضة السادسة: هل استبدل الله بابن عبّاس وابن عمر؟! ---------- 313

الومضة السابعة: هل في كلام الإمام عذرٌ لابن عبّاس؟ ---------- 314

النقطة السابعة: بكاؤهم جميعاً ---------- 315

الإضاءة العشرون: أقام الإمام بمكّة ولزم الصلاة ---------- 316

اشارة ---------- 316

الإنارة الأُولي: صار العبدان إلي المدينة! ---------- 317

الإنارة الثانية: أقام الإمام الحسين (عليه السلام) بمكّة ---------- 317

الإنارة الثالثة: لزوم الصلاة ---------- 318

محتويات الكتاب ---------- 320

تعريف مركز ---------- 341

ظروف اقامه سيد الشهداء عليه السلام في مكه المكرمه المجلد 1

اشارة

ظروف إقامة سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة المكرّمة

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

تعداد جلد: 9 ج

زبان: عربي

موضوع: امام حسين عليه السلام - مكه

خيرانديش ديجيتالي : بيادبود مرحوم حاج سيد مصطفي سيد حنايي

ص:1

اشارة

ظروف إقامة سيّد الشهداء (عليه السلام)

في مكّة المكرّمة

القسم الأوّل

تأليف:

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

ص: 3

الديباجة

الحمد لله الّذي لا إله إلّا هو الملِك الحقّ المبين، المدبِّر بلا وزير، ولا خلقٌ مِن عباده يستشير، الأوّل غير موصوف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبيّة، نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمَدٍ خلقهما، فاستقرّت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثمّ علا ربُّنا في السَّماواتِ الْعُلي، الرَّحْمنُ عَلَي الْعَرْشِ اسْتَوي، لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّري، فأنا أشهد بأنّك أنتَ الله، لا رافع لما وضعت، ولا واضعَ لما رفعت، ولا معزَّ لمَن أذلَلت، ولا مذلّ لمَن أعزَزْت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطيَ لما منعت ((1)).

اللّهُمَّ واجْعَلْ شَرائِفَ صَلَوَاتِك، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتك، عَلَي محمّدٍ عَبْدِك وَرَسُولك، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَق، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ، فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِك، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلا وَاهٍ فِي عَزْمٍ،

ص: 5

1- بحار الأنوار: 83 / 332 الباب 45.

وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَي نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّي أَوْرَي قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلاَمِ وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الـدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَي الْخَلْقِ((1)).

اللّهم وضاعِفْ صلواتِكَ ورحمتَك وبركاتِكَ علي عِترة نبيِّك، العترةِ الضائعة الخائفة المستذَلَّة، بقيّةِ الشجرة الطيّبة الزاكية المباركة، وأعلِ ـ اللّهمّ ـ كلمتَهُم، وأفلِجْ حجّتَهم، واكشِفِ البلاءَ واللأْواء، وحَنادِسَ الأباطيل والعمي عنهم، وثبِّتْ قلوبَ شيعتهم وحزبَكَ علي طاعتهم وولايتهم ونصرتهم وموالاتهم، وأَعِنْهم، وامنحهم الصبرَ علي الأذي فيك، واجعل لهم أيّاماً مشهودة، وأوقاتاً محمودةً مسعودة، توشِكُ فيها فَرَجَهم، وتُوجِبُ فيها تمكينهم ونصرهم، كما ضمِنتَ لأوليائك في كتابك المنزَل، فإنّك قلتَ ـ وقولك الحقّ ـ : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضي لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) ((2)).

ص: 6

1- نهج البلاغة: 101 خ 72.
2- مصباح المتهجّد: 785.

والعن اللّهم أوّلَ ظالمٍ ظلَمَ حقّ محمّد وآلِ محمّد، وآخرَ تابعٍ له علي ذلك، اللّهم وأهلِك مَن جعل يومَ قتلِ ابنِ نبيِّك وخيرتك عيداً، واستهَلَّ به فرَحاً ومَرَحاً، وخُذْ آخرَهم كما أخذتَ أوّلهم، وأضعِفِ اللّهمّ العذابَ والتنكيل علي ظالمي أهل بيت نبيّك، وأهلِكْ أشياعَهُم وقادتَهم، وأَبِرْ حماتهم وجماعتهم ((1)).

وصلّ اللّهمّ علي حبيبي ومالك رقّي وسيّدي وإمامي، الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، المتحقّق بصفات الله، والدليل علي ذات الله، أفضلِ ثقات الله، المشغول ليلاً ونهاراً بطاعة الله، الناصر لأولياء الله، المنتقِم من أعداء الله، الإمام المظلوم، الأسير المحروم، الشهيد المرحوم، القتيل المرجوم، الإمام الشهيد، الوليّ الرشيد، الوصيّ السديد، الطريد الفريد، البطل الشديد، الطيّب الوفيّ، الإمام الرضيّ، ذو النسب العلي، المنفِق الملي، أبو عبد الله الحسين بن عليّ (عليهما السلام) .

منبع الأئمّة، شافع الأُمّة، سيّد شباب أهل الجنّة، وعَبرة كلّ مؤمنٍ ومؤمنة، صاحب المحنة الكبري، والواقعة العظمي، وعَبرة المؤمنين في دار البلوي، ومَن كان بالإمامة أحقّ وأَولي، المقتول بكربلاء، ثاني السيّد الحصور يحيي ابن النبيّ الشهيد زكريا (عليه السلام) ، الحسين بن عليّ المرتضي.

1- مصباح المتهجّد: 785.

زين المجتهدين، وسراج المتوكّلين، مفخر أئمّة المهتدين، وبضعة كبدسيّد المرسلين (صلي الله عليه و آله و سلم) ، نور العترة الفاطميّة، وسراج الأنساب العلويّة، وشرف غرس الأحساب الرضويّة، المقتول بأيدي شرّ البريّة، سبط الأسباط، وطالب الثأر يوم الصراط، أكرم العِتَر، وأجلّ الأُسَر، وأثمر الشجر، وأزهر البدر، معظّمٌ مكرّمٌ موقّر، منظّفٌ مطهَّر..

أكبر الخلائق في زمانه في النفس، وأعزّهم في الجنس، أذكاهم في العرف، وأوفاهم في العرف، أطيب العرق، وأجمل الخلق، وأحسن الخلق، قطعة النور، ولقلب النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) سرور، المنزَّه عن الإفك والزور، وعلي تحمّل المحَن والأذي صبور، مع القلب المشروح حسور، مجتبي الملك الغالب، الحسين بن عليّ بن أبي طالب ((1)).

الّذي حمَلَه ميكائيل، وناغاه في المهد جبرائيل، الإمام القتيل، الّذي اسمه مكتوبٌ علي سرادق عرش الجليل: «الحسين مصباح الهدي وسفينة النجاة»، الشافع في يوم الجزاء، سيّدنا ومولانا سيّد الشهداء (عليه السلام) ((2)).

الّذي ذكره الله في اللوح الأخضر، فقال: «... وجعلتُ حسيناً خازنَ وحيي، وأكرمتُه بالشهادة، وختمتُ له بالسعادة، فهو أفضل مَن استُشهِد، وأرفعُ

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 113 _ بتحقيق: السيّد علي أشرف الحسيني.
2- معالي السبطين: 61.

الشـهداء درجة، جعلتُ كلمتي التامّة معه، والحجّةَ البالغةَ عنده، وبعترته أثيبُ وأعاقِب» ((1)).الّذي قال فيه جدُّه المبعوث رحمةً للعالمين (صلي الله عليه و آله و سلم) : «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً» ((2)).

وقال رسول الله (صـلي الله عليه و آله و سـلم) _ وهو الصادق الأمين _ : «إنّ حُبّ عليٍّ قُـذِف في قلوب المؤمنين، فلا يحبُّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق، وإنّ حُبَّ الحسن والحسين قُذِف في قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين، فلا تري لهم ذامّاً» ((3)).

فمِن أيِّ المخلوقات كان أُولئك المردة العتاة، وأبناء البغايا الرخيصات، الّذين قاتلوه بغضاً لأبيه، وسبوا الفاطميّات، ولم يحفظوا النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) في ذراريه؟!!

قال الإمام سـيّد الساجدين (عليه السـلام) : «... أيّها الناس، أصبحنا مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكابل، مِن غير جُرمٍ اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمـة في الإسـلام ثلمناها، ما سـمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، (إِنْ هذا إلّا اخْتِلاقٌ). فوَالله لو أنّ النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سلم) تقدّم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوِصاية بنا لَما ازدادوا علي ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، مِن مصيبةٍ ما

1- كمال الدين: 2 / 290 ح 1.

2- بحار الأنوار: 45 / 314.

3- مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 9 / 47، بحار الأنوار: 43 / 281 الباب 12.

أعظمها، وأوجعها، وأفجعها، وأكظّها، وأقطعها، وأمرّها، وأفـدحها، فعند الله نحتسـبه فيما أصابنا وما بلغ بنا، إنّه عزيزٌ ذو انتقام» ((1)).ولكنّ الله لهم بالمرصاد، فإنّ دمه الزاكي الّذي سـكن في الخُلد، واقشعرّت له أظلّة العرش، وبكي له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع، والأرضون السـبع، وما فيهنّ وما بينهنّ، ومَن يتقلّب في الجنّـة والنار مِن خلقِ ربّنا، وما يُري وما لا يُري، سوف لا ولم ولن يسـكن، لأنّه قتيل الله وابنُ قتيله، وثارُ الله وابنُ ثاره، ووِترُ الله الموتور في السماوات والأرض ((2))، حتّي «يبعث الله قائماً، يفرّج عنها الهمّ والكربات».

قال الحسين (عليه السلام) : «يا ولدي يا عليّ، واللهِ لا يسكن دمي حتّي يبعث الله المهديّ» ((3)).

فذلك قائم آل محمّد (عجل الله تعالي فرجه الشـريف) يخرج، فيقتل بدم الحسين بن عليّ (عليهما السلام) .. «وإذا قام _ قائمنا _ انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين» ((4)).

وقد بشّـر بذلك رسول ربّ العالمين (صـلي الله عليه و آله و سـلم) ، فقال: «لمّا أُسريَ بي إلي السماء أوحي إليّ ربّي (جل جلاله) فقال: يا محمّد، إنّي اطلعتُ علي الأرض اطلاعةً فاخترتُك منها،

1- بحار الأنوار: 45 / 147.

2- أُنظر: بحار الأنوار: 98 / 151 الباب 18.

3- مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 134.

4- بحار الأنوار: 52 / 376.

فجعلتك نبيّاً، وشقـقتُ لك من اسـمي اسـماً، فأنا المحمود وأنت محمّد، ثمّ اطلعت الثانية فاخترتُ منها عليّاً، وجعلتُه وصـيّك وخليفتك، وزوج ابنتـك، وأبا ذرّيّتك، وشـقـقتُ له اسـماً من أسـمائي، فأنا العليّ الأعلي وهو عليّ، وخلقت فاطمـة والحسن والحسـين من نوركما، ثمّ عرضت ولايتهم عليالملائكة، فمَن قَبِلها كان عندي من المقرَّبين. يا محمّد، لو أنّ عبداً عبدني حتّي ينقطع، ويصـير كالشنّ البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتهم، فما أسكنتُه جنّتي ولا أظللتُه تحت عرشي. يا محمّد، تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّ.

فقال (عزوجل) : إرفَعْ رأسك. فرفعتُ رأسـي، وإذا أنا بأنوار عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسـين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن علي، وجعفر بن محمّـد، وموسـي بن جعفر، وعليّ بن موسـي، ومحمّـد بن عليّ، وعليّ بن محمّـد، والحسن بن علي، و (م ح م د) بن الحسن القـائم في وسطهم كأنّه كوكبٌ درّيّ.

قلت: يا ربّ، ومَن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمّـة، وهـذا القائم الّـذي يحلّل حلالي، ويحرّم حرامي، وبه أنتقم من أعـدائي، وهو راحـةٌ لأوليائي، وهو الّـذي يشـفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحـدين والكافرين، فيُخرِج اللّات والعُزّي طريَّين فيحرقهما، فلَفِتنـةُ الناس _ يومئـذٍ _ بهما أشـدّ من فتنـة العِجْل والسامريّ» ((1)).

1- كمال الدين: 1 / 252 الباب 23 ح 2، بحار الأنوار: 52 / 379 ح 185.

وروي عبد الله بن سنان قال: دخلتُ علي سيّدي أبي عبد الله جعفر ابن محمّدٍ (عليهما السلام) في يوم عاشوراء، فألفيتُه كاسفَ اللّون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا ابن رسول الله، ممَّ بكاؤك؟ لا أبكي الله عينيك.فقال لي: «أوَ في غفلةٍ أنت؟! أما علمتَ أنّ الحسين بن عليّ أُصيبَ في مثل هذا اليوم؟!».

فقلت: يا سيّدي، فما قولك في صومه؟

فقال لي: «صُمْه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعةٍ علي شربةٍ من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ علي رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) مصرعهم، ولو كان في الدنيا ـ يومئذٍ ـ حيّاً لَكان (صلي الله عليه و آله و سلم) هو المعزّي بهم».

قال: وبكي أبو عبد الله (عليه السلام) حتّي اخضلّت لحيته بدموعه..

ثمّ علّمه آداب يوم عاشوراء، وآداب الزيارة في ذلك اليوم، إلي أن قال: ثمّ قل:

«اللّهم عذِّبِ الفَجَرة الّذين شاقّوا رسولك، وحاربوا أولياءك، وعبدوا غيرك، واستحلّوا محارمك، والعن القادة والأتباع، ومَن كان منهم فخب وأوضع معهم أو رضي بفعلهم، لعناً كثيراً.

اللّهم وعجّل فرج آل محمّد (صلي الله عليه و آله و سلم) ، واجعل صلواتك عليه وعليهم، واستنقذهم

من أيـدي المنافقين المضـلّين، والكفرة الجاحـدين، وافتح لهم فتحاً يسـيراً، وأتح لهـم روحاً وفرجاً قريباً، واجعل لهم من لدنك علي عدوّك وعدوّهمسلطاناً نصيراً..

اللّهم إنّ كثيراً من الأُمّة ناصبَت المسـتحفظين من الأئمّة، وكفرت بالكلمة، وعكفت علي القادة الظلمة، وهجرت الكتاب والسـنّة، وعدلت عن الحبلين اللّذَين أمرتَ بطاعتهما والتمسّكِ بهما، فأماتت الحقّ، وجارت عن القصد، ومالأَت الأحزاب، وحرّفت الكتاب، وكفرت بالحقّ لمّا جاءها، وتمسّكت بالباطل لمّا اعترضـها، وضـيّعت حقّك، وأضـلّت خلقك، وقتلت أولاد نبيّك، وخيرةَ عبادك، وحمَلَةَ علمك، وورثة حكمتك ووحيك.

اللّهمّ فزلزل أقدام أعدائك، وأعداء رسولك، وأهل بيت رسولك.

اللّهم وأخرب ديـارهم، وافلـل سـلاحهم، وخـالف بين كلمتهم، وفُتّ في أعضادهم، وأوهن كيـدهم، واضـربهم بسـيفك القاطع، وارمهم بحجرك الدامغ، وطمّهم بالبلاء طمّاً، وقمّهم بالعذاب قمّاً، وعذّبهم عذاباً نكراً، وخذهم بالسنين والمثلات التي أهلكتَ بها أعداءك، إنّك ذو نقمةٍ من المجرمين.

اللّهمّ إنّ سـنّتك ضائعـة، وأحكامك معطّلة، وعترة نبيّك في الأرض هائمة، اللّهمّ فأعِنِ الحقَّ وأهله، واقمع الباطل وأهله، ومُنّ علينا بالنجاة، واهدنا إلي الإيمان، وعجّل فرجنا، وانظمه بفرج أوليائك، واجعلهم لنا ودّاً، واجعلنا لهم وفداً» ((1)).

1- مصباح المتهجّد: 784، بحار الأنوار: 98 / 305 الباب 24.

والصلاة والسلام علي أصحاب الحسين (عليهم السلام) ، الّذين كشف لهم سيّدالشهداء (عليه السلام) «الغطاء، حتّي رأوا منازلهم من الجنّة، فكان الرجل منهم يقدم علي القتل ليبادر إلي حوراء يعانقها، وإلي مكانه من الجنّة» ((1))، ووعدهم ربُّ العزّة أن يعيد لهم الكرّة علي أعدائهم، فقال: (ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ)، يخاطب بذلك أصحاب الحسين ((2)).

اللّهمّ صلِّ علي محمّدٍ وآل محمّد، وتوفّنا علي الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية لعليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) والأئمّةِ من وُلده والبراءة من أعدائهم.. ((3)).

ص: 14

1- علل الشرائع: 1 / 229 الباب 163 ح 1، بحار الأنوار: 44 / 297 الباب 35 ح 1.
2- تأويل الآيات الظاهرة: 272.
3- أُنظر: المزار لابن المشهدي: 177، بحار الأنوار للمجلسيّ: 97 / 428 _ زيارة المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام) .

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الأوّلِ قبل الأشياء، والباقي بعد فناء الأشياء، العليم الّذي لا ينسي مَن ذكره.

وصلّي اللهُ علي أشرف بريّته وخير خلقه محمّدٍ (صلي الله عليه و آله و سلم) وآله (عليهم السلام) ، واللعنُ الدائم الدائب أبداً علي أعدائهم أجمعين، من الأوّلين والآخِرين.

أمّا بعد..

تناولنا قبل هذه الدراسة (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة)، ثمّ (ظروف حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) بين المدينة ومكّة)، فطُبعَت الدراستان في كتابَين مستقلَّين.

وقد وفّق اللهُ _ ببركة أهل البيت (عليهم السلام) وسيّد الشهداء (عليه السلام) _ فأتينا علي دراسة ظروف دخول سيّد الشهداء (عليه السلام) مكّة المكرّمة، وظروف إقامته _ فداه روحي _ فيها.

ونودّ هنا الإشارة _ باختصارٍ _ إلي بعض التنويهات الّتي ذكرناها في

كتاب (ظروف الخروج من المدينة)؛ لأهمّيّتها:

إنّ البحث أساساً يعتمد علي نظرةٍ جديدة، أو ما يُعبَّر عنه في المفردات المعاصرة: (قراءة جديدة) لقيام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وهي تحتاج إلي بيانٍ طويلٍ عريضٍ مفصَّل، يستدرج ذهنَ القارئ إلي النتائج، بَيْد أنّ ازدحام الأفكار وتشتّت البال وصعوبة الظروف وسعة المشروع الّتي لا تسعها طاقة الفرد الواحد كلّها عوامل تمنع من الإسراع في العمل.

وما أتمنّاه علي القارئ الكريم أن يتفضّل علَيّ ويتكرّم، فيشملني بلطفه وصبره وتحمّله، ويقرأ البحث مع إغفال جميع السوابق الذهنيّة العالقة في أعماقه منذ أن نشأ وهو يقرأ عن قيام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فإنّ البحث فيه ظرافةٌ وتدقيقٌ أحياناً، وهو مُبتنٍ علي الاستدلال التاريخيّ، مع التسليم بالعامل الغيبيّ والدوافع الغيبيّة، والتسليم بعصمة سيّد الشهداء (عليه السلام) وإمامته، وأنّه الناطق عن الله المفترَض الطاعة، والتسليم بما تؤدّي إليه الاعتقادات الحقّة الضروريّة، والتسليم لنتائج الاعتقاد بالعامل الغيبيّ، غاية ما في الأمر أنّ البحث يُحاول أن يُثبت أنّ الدراسة التاريخيّة بالقراءة المتأنّية تؤدّي إلي نفس مؤدّي التفسير بالعامل الغيبيّ للقيام الحسيني.

وعليه، فإنّ أصل البحث وإثبات أصل الفكرة الّتي تتلخّص بكلمة:

«إنّ قيام الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) كلّه من أوّله إلي آخره كان دفاعاً محضاً مقابل هجوم العدوّ وعزمه وإقدامه علي قتله، كما قُتل جدُّه وأُمّه

وأبوه وأخوه وأولاده المعصومين (عليهم السلام) ».

وهذا ما يتطلّب دراسةً كاملةً شاملة، وإثباتاتٍ قويّةً متوفّرةً في التاريخ بكثرةٍ حسب فحصنا، وسوف نتابعها _ إن شاء الله تعالي _ إن بقيَ في العُمر بقيّة.

فلْيتفضّل القارئ بانتزاع السوابق الذهنيّة والمسلَّمات غير الاعتقاديّة، إلي حين ينتهي من قراءة هذه الوُريقات.

ومن الضروريّ أن لا يستعجل القارئ الكريم بإصدار الحكم علي ما يقرأ حتّي ينتهي من مجموع الكتب الّتي احتوت هذه الدراسات.

وقد التزمنا أن لا نذكر متناً إلّا أنّ يلحقه التوثيق وذكر المصادر، وربّما كرّرنا ذكر المصادر تحت كلّ فقرةٍ كلّما اقتضت الضرورة ذكرها والاستشهاد بها، واعتمدنا المصادر التاريخيّة القديمة، واعتمدنا _ غالباً _ في تخريجها وتوثيقها علي موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) (تاريخ إمام حسين (عليه السلام)) الموفّقة، مع مراجعة النصوص في المتون والكتب الأصليّة في الغالب.

فالرجاء أن يتفضّل القارئ بملاحظة ذلك، إذ أنّ توثيق البحث يساعد علي تسهيل القبول والاقتناع به.

كلّ ما جاء في هذا البحث إنّما هو دراسةٌ وقراءةٌ للأحداث التاريخيّة، ومحاولةٌ لفهم قيام سيّد الشهداء (عليه السلام) وأسراره وفق نصوص التاريخ، وقد أشرنا في مواضع _ منها مقدّمة ترجمة رسالة العلّامة المجلسيّ (رحمة الله) في بيان

حكمة قيام سيّد الشهداء (عليه السلام) _ إلي النظريّات الّتي حاولَت تفسير قيام الإمام المظلوم (عليه السلام) ، فلا نعيد هنا، ولعلّنا نُوفَّق لتناولها بشكلٍ مفصَّل..

فالغرض لا يعدو كونه بحثاً لفهم وتفسير القيام المقدّس وفق نظرةٍ خاصّة، منتزَعة في الإساس من الأحاديث الشريفة والنصوص المقدّسة، بَيد أنّها تحاول هنا الوصول إلي نفس النتائج من خلال المتون التاريخيّة ليس إلّا، وبالتالي سيعرف المؤمن الحسينيّ مظلوميّة إمامه ومظلوميّة أهل البيت (عليهم السلام) ، ويعرف قدر دمعته وبكائه وتوجّعه لِما نزل بهم، ويُدرك شيئاً من شهقة سيّدة النساء فاطمة (عليها السلام) الّتي لا تفتر في كلّ يومٍ ودمعتها الّتي لا ترقأ أبداً، والله من وراء القصد.

وربّما استخدمنا لفظ (القيام) في ثنايا البحث، ونقصد به (القيام بأمر الله)، فإنّ الإمام قائمٌ بأمر الله (عزوجل) في كلّ حالاته وحركاته وسكناته، وكلّ واحدٍ من الأئمّة (عليهم السلام) هو قائمٌ بأمر الله، وهم جميعاً القوّامون بأمره.

*****

لقد تحرّينا الاحتياط، وتقدّمنا في البحث خطوةً خطوة، كمن يمشي في منطقةٍ ملغومةٍ مظلمة، وقصدنا خدمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وعزمنا الدفاع عن حريمهم وقداستهم وكلِّ ما يُنسَب إليهم، فإذا وقعنا بين خيارين: خيار التزام قداسة التاريخ والمؤرّخ، وخيار التزام قداسة الأولياء والأصفياء، فإنّنا اخترنا الخيار الثاني؛ طلباً لرضي الله ورسوله والأئمّة المعصومين (عليهم السلام) ..

ص: 18

فـإن وُفّقنا في ذلك فهو فضـلهم ومَنّهم وفيضـهـم وبركاتهم، وإلّا فنسـتغفر الله، ونسأله أن يُعطينا أجر مَن أحسن عملاً، إنّه عفوٌّ جوادٌ كريم، وهو نِعْم المولي ونِعْم النصير.

ونرجو من الله السـميع العليم أن يتقبّل منّا هذا القليل، وينفعنا به ووالدينا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونٌ ولا خليل، ولا يحرمنا وأزواجنا وذرّيّاتنا خدمـة زَين السـماوات والأرضـين سـيّد الشـهداء الحسـين (عليه السـلام) في الدنيا والآخرة، ويحشـرنا في مماليك مولانا الغريب وعبيده المرضـيّين، ويجعل عملنا وحبّنا واعتقادنا فيما يُرضيه ويُرضـي النبيَّ الأمين (صـلي الله عليه و آله و سـلم) وأمير المؤمنين (عليه السـلام) وذرّيّته الطاهرين المعصومين (عليهم السـلام) ، بحقّ مولانا مُهيّج أحزان يوم الطفوف (عليه السـلام) وأُخته الطيّبة فاطمة المعصومة (عليها السلام) .

اللّهمّ اغفر لنـا ولوالـدينا ولأزواجنـا وذرّيّاتنـا وإخواننـا المؤمنين، وعجِّلْ فرج وليّ أمرنـا، الطـالب بـدم الإمام المظلوم غريب الغرباء (عليه السلام) ، آمين ربَّ العالمين.

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

قمّ المقدّسة

5 / ربيع الأوّل / 1439 هـ

ص: 19

تاريخ دخول الإمام (عليه السلام) إلي مكّة ومدّة إقامته

اشارة

إتّفق قول المؤرّخين _ إلّا من شذّ، وهو نادر! _ علي أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) دخل مكّة ليلة الجمعة لثلاث ليالٍ مضين من شهر شعبان ((1))، كما اتّفقوا علي خروجه من المدينة في الثامن والعشرين من شهر رجب الحرام، فتكون المدّة الّتي استغرقها الإمام (عليه السلام) لقطع المراحل العشر بين البلدين: خمسةً إلي ستّة أيّام، وفي ذلك دلالاتٌ وإشاراتٌ مهمّةٌ أتينا علي تفصيلها في (ظروف حركة الإمام (عليه السلام) بين المدينة ومكّة).

ص: 21

1- أُنظر: جُمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 368، 371، تاريخ الطبري: 5 / 343، 351، 381، الإرشاد للمفيد: 2 / 33، بحار الأنوار: 44 / 332، العوالم للبحراني: 17 / 181، نفَس المهموم للقمّي: 79، روضة الواعظين للفتّال: 147، الإفادة للزيدي: 57، إعلام الوري للطبرسي: 223، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 324، 327، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 139. البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 151، 158.

مدّة إقامته

إتّفقوا بلا خلافٍ أنّ الإمام غريب الغرباء (عليه السلام) أقام في مكّة شهر شعبانوشهر رمضان وشهر شوّال وشهر ذي القعدة ((1))، وأيّاماً مِن ذي الحجّة.

فتكون مدّة إقامته في مكّة _ بعد طرح ثلاث ليالٍ من شعبان وإضافة ثمانية أيّامٍ من ذي الحجّة _ أربعة أشهر كاملة وأيّاماً من ذي الحجّة.

وبحساب الأيّام تكون مدّة الإقامة زهاء مئةٍ وخمسٍ وعشرين يوماً إذا احتسبنا الشهور كاملة (ثلاثين يوماً).

فالمدّة طويلةٌ نسبيّاً في حساب حركة الإمام (عليه السلام) منذ أن خرج من المدينة حتّي استُشهد في كربلاء؛ إذ أنّ هذه المحطّة استغرقت أطول الفترات.

ففي المدينة لم تدُم الإقامة بعد أن هجموا علي الإمام (عليه السلام) وهدّدوه وأحاطوا به وأحدق به الخطر الجدّي الحقيقي أكثر من ثلاثة أيّام،

1- أُنظر: جُمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 368، 371، تاريخ الطبري: 5 / 343، 351، 381، الفتوح لابن أعثم: 5 / 37، الاستيعاب لابن عبد البرّ: 1 / 381، بُغية الطلب لابن ا لعديم: 6 / 2572، تاريخ الخميس للدياربكري: 2 / 331، نور الأبصار للشبلنجي: 256، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 139، اللهوف لابن طاووس: 31، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 151، 158، مرآة الجنان لليافعي: 1 / 132.

واستغرقت فترة الحركة بين المدينة ومكّة فترةً لا تزيد عن ستّة أيّام، واستغرقت الحركة بين مكّة وكربلاء أقلّ من الشهر الواحد، وأقام _ فداه العالمين _ في كربلاء ثمانية أيّامٍ علي أقصي التقادير.

فتكون الإقامة في مكّة أكثر الفترات في تاريخ حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة إلي الشهادة، ومِن هنا ربّما حازت هذه الفترة الاهتمام البالغ، ودعَتْ إلي التدقيق فيها والتأمّل في مجريات الأحداث الّتي تخلّلتها.ومن خلال هذه الفترة يمكن استنطاق مواقف سيّد الشهداء (عليه السلام) وتحرّكاته وتحرّكات مَن كان معه، فإنّها فترةٌ كافيةٌ تماماً _ سيّما بالنسبة إلي باقي المراحل من حركته _ لبيان أهداف الحركة وأسبابها وبواعثها وغاياتها.

وهذا ما نأمل أن نتابعه خلال هذه الدراسة، ومن الله التوفيق والتسديد.

ص: 23

الآية الّتي تلاها الإمام (عليه السلام) عند دخول مكّة واستخارته

اشارة

ذكر جماعةٌ من المؤرّخين أنّ الإمام سـيّد الشهداء (عليه السلام) لمّا وافي مكّة ونظر إلي جبالها من بعيد، جعل يتلو هذه الآية: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَي رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ) ((1)) ((2)).

وقال آخَرون أنّه (عليه السلام) تلاها لمّا دخل مكّة ((3))، وأنّه دخلها وهو يقرأ الآية ((4)).

ص: 25

1- سورة القصص: 22.
2- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 37. مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189، المنتخب للطريحي: 2 / 422.
3- أُنظر: تاريخ الطبري: 5 / 343، 351، 381، الكامل لابن الأثير: 3 / 260، 266، نهاية الإرب للنويري: 20 / 381، 385، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 183.
4- أُنظر: الإرشاد للمفيـد: 2 / 33، بحار الأنوار: 44 / 332، العوالم للبحراني: 17 / 181، نفَس المهموم للقمّي: 79، روضة الواعظين للفتّال: 147، إعلام الوري للطبرسي: 223.

وقد أتينا علي دلالات تلاوة هذه الآية المباركة في دراسة ظروف الخروج من المدينة، فلا نعيد!

دعاء الإمام (عليه السلام) واستخارته

ذكر الشيخ الطريحيّ دعاءً دعا به الإمام (عليه السلام) لمّا قَدِم مكّة، وربّما نقله عن كتاب (المقتل) المتداول لأبي مِخنَف، ففي (المنتخب) قال:

فلمّا قَدِم الحسينُ إلي مكّة، قال: «اللّهمّ خِرْ لي، وقرَّ عيني، واهدني سواءَ السبيل» ((1)).

وفي (المقتل) المتداول:

حتّي أتي مكّة، فلمّا أشرف عليها قال: «اللّهمّ خُذْ لي بحقّي، وقرَّ عيني، ربِّ اهدني سواء السبيل» ((2)).

وقد ذكرنا في بحث دلالات تلاوة الآية المذكورة أنّها تفيد معني الاستخارة، فيكون هذا الدعاء بمعني تلاوة الآية، علي التفصيل المذكور في محلّه.

1- المنتخب للطريحي: 2 / 422.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف (المشهور): 16.

تغيير والي مكّة

اشارة

التغييرات المـذكورة في النصوص التاريخيّـة تختلف، من حيث الوالي المعزول والوالي الجديد المنصوب عند دخول سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) إلي مكّة، وتتضـمّن جملةً من المطالب، وسـنحاول استعراض النصوص الواردة في المقام وما يتعلّق بذلك من خلال التوضيحات التالية:

التوضيح الأوّل: الوالي الّذي تمّ تغييره

اشارة

يمكن تقسيم النصوص الواردة في الوالي الّذي تمّ تغييره إلي عدّة تغييرات:

التغيير الأوّل: عثمان بن محمّد

اشارة

ذكر ابن قُتيبة في (الإمامة والسياسة) ثلاث نصوصٍ متهافتة، أحدها يوافق المشهور، والآخَرين مرتبكَين:

النصّ الأوّل:

قال:

ص: 27

وذكروا أنّه لمّا بويع يزيد بن معاوية، خرج الحسينُ حتّي قدم مكّة، فأقام هو وابنُ الزبير.

قال: وقدم عمرو بن سعيد بن العاص في رمضان أميراً علي المدينة وعلي الموسم، وعزل الوليد بن عُقبة ((1)).

هذا النصّ يوافق المشهور، كما سنري.

النصّ الثاني:

قال:

وذكروا أنّ يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة، وولّاها عثمان بن محمّد بن أبي سفيان الثقفي، وخرج الحسينُ بن عليّ وعبد الله بن الزبير إلي مكّة.

وأقبل عثمان بن محمّد من الشام والياً علي المدينة ومكّة وعلي الموسم في رمضان ((2)).

وهذا النصّ مرتبك، إذ يعتبر _ بشهادة السياق _ أنّ والي المدينة عند خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) كان خالد بن الحكم، ثمّ عزله يزيد وولّي عثمان ابن محمّد بن أبي سفيان الثقفي، وحينما أقبل عثمان _ ذكر ابن قُتيبة _ أنّه كان والياً علي المدينة ومكّة والموسم، وهذا كلّه يخالف المشهور المتّفَقعليه

ص: 28

1- الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 2 / 3.

2- الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 1 / 176.

بين المؤرّخين في جميع موارده.

النصّ الثالث:

قال:

وذكروا أنّ يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد، وأمّر الوليد بن عُقبة، وخرج الحسينُ بن عليٍّ إلي مكّة، فمالَ الناس إليه وكثروا عنده واختلفوا إليه، وكان عبد الله بن الزبير فيمن يأتيه ((1)).

وهذا النصّ _ كما يُلاحَظ _ كأنّه معكوسٌ تماماً عن النصّ الأوّل وعن المشهور بين المؤرّخين.

وكان بالإمكان معالجته بفرض عزل عمرو وتأمير الوليد بعد خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة أو بعد شهادته، وهذا ما أفادته المصادر التاريخيّة، كما سنسمع بعد قليل.

بَيد أنّ شهادة السياق تأبي هذه المعالجة؛ لأنّه يروي خروج الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) بعد تأمير الوليد إلي مكّة، لا مِن مكّة، ثمّ يسترسل في الحديث عن سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة.

فإن كان مجالٌ للقول بالتصحيف والسهو والاشتباه، أو باختلاف الزمان كأن لا يكون عند خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة أو دخوله مكّة،فذاك، وإلّا ربّما كان الأوفق طرح النصّين الأخيرين وردّهما علي ابن قُتيبة،

1- الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 2 / 5.

والأخذ بالنصّ الأوّل ليدخل في جملة أقوال المؤرّخين.

فإذا اعتمدنا النصّ الأوّل فإنّه لا يشير إلي الوالي المعزول، وإنّما يحدّد لنا الوالي القادم، وهو عمرو بن سعيد.

التغيير الثاني: يحيي بن حكيم

قال ابن قُتيبة:

ثمّ إنّ يزيد عزل يحيي بن حكيم بن صفوان بن أُميّة عن مكّة، واستعمل عليها عمرو ابن سعيد بن العاص بن أُميّة ((1)).

وروي البلاذريّ فقال:

وقال الواقديّ: عزل يزيدُ الوليدَ بن عُتبة، لأنّ مروان كتب يذكر ضعفه ووهنه وإدهانه، وولّي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، وولَّي يحيي بن الحكم بن صفوان بن أُميّة بن خلف الجمحيّ مكّة.

وقال هشام ابن الكلبي: هو يحيي بن حكيم بن صفوان، ولّاه عمرو ابن سعيد مكّة وصار إلي المدينة ((2)).

وكان يحيي بن حكيم بن صفوان بن أُميّة ذا قدر، ولّاه عمرو بنسعيد مكّة، ورجع عمرو إلي المدينة ((3)).

1- الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 2 / 7.
2- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 307.
3- أنساب الأشراف للبلاذري: 10 / 250.

قال ابن قُتيبة: إنّ يزيد عزل يحيي بن حكيم عن مكّة واستعمل عمرو ابن سعيد، وقد ذكرنا ـ قبل قليل ـ الارتباك الواضح في عبارته، ويبدو أنّ ثمّة اشتباهٌ يمكن معالجته بالنصوص الأُخري الّتي وردت في نفس هذا المضمون، إذ أنّ من عادة الولاة يومها إذا ضُمّت إلي ولايتهم ولايةٌ أُخري نصبوا والياً مِن قِبَلِهم علي إحداهما وباشروا الحضور في الأُخري، تماماً كما فعل ابن زياد يوم ضمّ يزيدُ الكوفة إلي ولايته في البصرة، فجعل أخاه علي البصرة وانصرف إلي الكوفة.

فربّما كان ما ذكره البلاذريّ يعالج هذا الاختلاف، حيث أفاد أنّ يزيد أمّر عمرو بن سعيد علي المدينة، وكان واليه علي مكّة، فجعل عمرو يحيي علي مكّة، وانصرف هو إلي المدينة، وجعل يتردّد بينهما.

التغيير الثالث: الحارث بن خالد

روي البلاذريّ فقال:

قال أبو مِخنَف وعوانة وغيرهما: ولّي يزيدُ بن معاوية وعمّال أبيه علي الكوفة النعمانَ بن بشير الأنصاريّ، وعلي البصرة عُبيدَ الله ابن زياد، وعلي المدينة الوليدَ بن عُتبة ابن أبي سفيان، وعليمكّة عمرو بن سعيد الأشدق.

وقال بعضهم: كان علي مكّة الحارث بن خالد، وعلي المدينة الأشدق، والأوّل أثبت.

فلمّا ولّي كتب إلي الوليد مع عبد الله بن عمرو بن أويس أحد بني عامر بن لؤيّ: أمّا بعد، فإنّ معاوية بن أبي سفيان ... ((1)).

نسب البلاذري القول أنّه كان علي مكّة الحارث بن خالد إلي بعضهم، وكفانا مؤونة المعالجة بتثبيت القول المشهور القائل أنّ عمرو بن سعيد كان علي مكّة.

التغيير الر ابع: عبد الرحمان بن نبيه

روي البلاذريّ فقال:

وحدّثنا أحمد بن إبراهيم وأبو خيثمة، قالا: حدّثنا وهب بن جرير، عن ابن جعدبة، عن صالح بن كيسان قال:

مات معاوية والوليدُ أميرٌ علي مكّة والمدينة، وكان علي مكّة من قبله أخوه لأُمّه عبد الرحمان بن نبيه، فكتب اليه يزيد يأمره أن يأخذ بيعة حسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير، فاستضعفه في ذلك، فعزله، وأمّر عمرو بن سعيد الأشدق علي المدينة ومكّة ((2)).أفادت هذه الرواية عند البلاذريّ أنّ والي مكّة كان الوليد، وكان الوليد قد أمّر عليها من قبله أخوه لأُمّه عبد الرحمان بن نبيه.

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 299.

2- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 311.

وهو خلاف المصادر الأخري أيضاً!

وكيف كان، فليس عبد الرحمان هذا كان والياً من قِبَل يزيد، وإنّما كان نائباً عن الوليد، فلا موضوعيّة له.

التغيير الخامس: الوليد بن عُتبة

قال الطبريّ:

ونزع يزيدُ بن معاوية في هذه السـنة الوليدَ بن عُتبة عن مكّة، وولّاها عمرو بن سـعيد بن العاص، وذلك في شـهر رمضان منها، فحجّ بالناس عمرو بن سعيد في هذه السنة.

وعن أبي معشـر: وكان عاملُه علي مكّة والمدينة في هذه السنة بعدما عزل الوليد بن عُتبة عمرو بن سعيد، وعلي الكوفة والبصرة وأعمالها عُبيد الله بن زياد، وعلي قضاء الكوفة شُريح بن الحارث، وعلي قضاء البصرة هشام بن هبيرة ((1)).

ابن عبد ربّه، الباعوني:

فقال: فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً علي المدينةوالموسم، وعزل الوليد بن عُتبة ((2)).

1- تاريخ الطبري: 4 / 301.

2- العِقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 376، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264.

البلاذري:

عن صالح بن كيسان قال: مات معاوية والوليد أميرٌ علي مكّة والمدينة ... ((1)).

ذكر الطبريّ في إحدي رواياته أنّ والي مكّة والمدينة كان الوليد بن عُتبة، فعزله يزيد وولّي عليهما عمرو بن سعيد.

التغيير السادس: مروان

قال الشيخ ابن شهرآشوب:

ووصل الخبر إلي يزيد، فعزل الوليد، وولّاها مروان ((2)).

ربّما تفرّد الشيخ ابن شهرآشوب بقوله أنّ التغيير إنّما حدث في المدينة بعزل الوليد بعد أن بلغ يزيد خبر تعامله مع سيّد الشهداء (عليه السلام) وتأمير مروان.

ومروان كان حاكماً في المدينة حتّي لو كان في الظلّ!

التغيير السابع: عمر بن سعد بن أبي وقّاص

قال الخوارزميّ في (المقتل) وهو يروي عن أحمد بن أعثم الكوفي أحداث دخول الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي مكّة:

وكان أميرُ مكّة مِن قِبَل يزيد يومئذٍ عمر بن سعد بن أبي

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 311.
2- المناقب لابن شهرآشوب: 4 / 88.

وقّاص ... ((1)).

لم نجد ما ذكره الخوارزميّ عن ابن أعثم في (الفتوح) المطبوع، ولا في مصوّرة النسـخة المخطوطة الّتي عندنا، والحال أنّ الخوارزميّ يصرّح بنقله عن ابن أعثم.

ثمّ إنّ ولاية عمر بن سـعد بن أبي وقّاص لمكّة لم يذكرها أحد، وأنّي له بولاية مكّة وقد قتل سـيّد شـباب أهل الجنّة (عليه السـلام) طمعاً في مُلك الريّ كما زعم.

واحتمال التصحيف أو الاشتباه واردٌ جدّاً؛ للشبَه الشديد في الأسماء: (عمر بن سعد) و (عمرو بن سعيد)..

التغيير الثامن: عمرو بن سعيد

اشارة

وردت ثلاث طوائف من الأخبار في تولية عمرو بن سعيد مكّة أيّام خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة أو عند وروده مكّة:

الطائفة الأُولي: تولية المدينة

قال ابن قُتيبة:

وذكروا أنّه لمّا بويع يزيدُ بن معاوية خرج الحسين حتّي قدم مكّة، فأقام هو وابن الزبير.

ص: 35

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 بداية الفصل العاشر.

قال: وقدم عمرو بن سعيد بن العاص في رمضان أميراً علي المدينة وعلي الموسم ((1)).

الطبري:

وفي هذه السنة عزل يزيدُ الوليدَ بن عُتبة عن المدينة، عزله في شهر رمضان، فأقرّ عليها عمرو بن سعيد الأشدق، وفيها قَدِم عمرو بن سعيد بن العاص المدينة في رمضان ((2)).

ابن الأثير، ابن عساكر:

في هذه السنة [سنة 60 ه] عُزل الوليد بن عُتبة عن المدينة، عزله يزيد، واستعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق ((3))، فقدمها في رمضان، فدخل عليه أهل المدينة ((4)).

ابن الجوزي:

وفي هذه السنة عزل يزيدُ الوليدَ بن عُتبة عن المدينة، عزله في رمضان، وأمّر عليها عمرو بن سعيد، فقدمها ((5)).

ذكر محمّد بن عمر أنّ عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قَدِم

ص: 36

1- الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 2 / 3.
2- تاريخ الطبري: 4 / 254.
3- أُنظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 28 / 208.
4- الكامل لابن الأثير: 3 / 265.
5- المنتظم لابن الجوزي: 5 / 324.

المدينة في رمضان (سنة 60)، فدخل عليه أهل المدينة ... ((1)).ابن عساكر، ابن خيّاط:

وبعث يزيدُ عمرو بن سعيد أميراً علي المدينة، وعزل الوليدَ بن عُتبة ((2)).

وبويع يزيدُ بن معاوية، فأمر عمرو بن سعيد بن العاص علي المدينة، فحجّ عمرو بالناس سنة ستّين.. ((3)).

ابن عبد البرّ:

فلمّا كفّ الوليدُ بن عُتبة عن الحسين وابن الزبير في شأن البيعة ليزيد ... عزله، وولّي يزيدُ عمرو بن سعيد الأشدق ... ((4)).

سبط ابن الجوزي:

ولمّا بلغ يزيدَ ما صنع الوليد، عزله عن المدينة، وولّاها عمرو بن سعيد الأشدق ((5)).

الذهبي:

1- تاريخ الطبري: 4 / 254.
2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 28 / 203، المختصر لابن منظور: 12 / 190، تاريخ خليفة بن خيّاط: 178.
3- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 46 / 37.
4- الاستيعاب لابن عبد البرّ: 3 / 1388.
5- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136.

وبعث يزيدُ بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص أميراً علي المدينة ((1)).

القلقشندي:

فكان مَن وَلِيَها منهم: الوليد بن عتبة، ثمّ عمرو بن سعيد الأشدق، ثمّ الوليد بن عُتبة ثانياً ... ((2)).الباعوني:

وقَدِم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً علي المدينة والموسم، وعزل الوليد بن عُتبة ((3)).

*****

تذكر هذه الطائفة أنّ يزيد ولّي عمرو بن سعيد علي المدينة من دون الإشارة إلي سابق ولايته، إن كانت في مكّة أو لم تكن، فيكون التغيير قد شمل المدينة من دون لحاظ التغيير في مكّة.

إلّا أن يُستفاد ممّا ورد في بعضها أنّه قَدِم علي الموسم أنّه كان أمير مكّة أيضاً، فتدخل في الطائفة الثالثة، بَيد أنّ أمير الحاجّ لا يلزم أن يكون أمير مكّة، كما يظهر من النصوص.

1- تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 268.
2- صبح الأعشي للقلقشندي: 4 / 270.
3- جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264.

وهذه الطائفة تبقي قابلةً للانسجام مع الطائفتين الأخريَين، لسكوتها عن سابقة سعيد.

الطائفة الثانية: تولية مكّة

ذكرت جملةٌ من المصادر أنّ يزيد القرود تسلّق علي أعواد المنبر بعد أبيه وكان عمرو بن سعيد الأشدق أميراً علي مكّة ((1)).

وفي روايةٍ للطبريّ أنّ ابن الزبير أتي مكّة وعليها عمرو بن سعيد ((2)).فهذه الطائفة تفيد أنّ عَمْراً كان والياً علي مكّة مِن قبل أن يدخلها سيّدُ الشهداء (عليه السلام) ، وقد أقرّه يزيد علي ما في يده.

وهي تنسجم مع الطائفة الأُولي، ومع الطائفة الثالثة كما سيأتي.

الطائفة الثالثة: تولية مكّة والمدينة

روي البلاذريّ والطبريّ وغيرهما أنّ عَمْراً كان علي مكّة، فجمع له يزيد المدينة مع مكّة بعد أن عزل عنها الوليد ((3)).

1- أُنظر: أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 299، تاريخ الطبري: 4 / 250، الكامل لابن الأثير: 4 / 14، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 323، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 156.

2- تاريخ الطبري: 4 / 254.

3- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 307، 311، تاريخ الطبري: 5 / 343، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 329، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 158، مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي: 1 / 121، إمتاع الأسماع للمقريزي: 12 / 272، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي: 1 / 49.

وأضاف إليهما الطائف في (التذكرة الحمدونيّة) ((1)).

وقال ابن الأثير: كان العامل علي مكّة والمدينة عمرو بن سعيد الأشدق ((2)). من دون الإشارة إلي عزل الوليد!

*****

كيف كان، فإنّ الطوائف الثلاثة لا تتعارض وتنسجم لتفيد أنّ عمرو الأشدق كان هو الوالي علي مكّة يوم دخول سيّد الشهداء (عليه السلام) إليها!

التوضيح الثاني: وقت التغيير

إذا رجّحنا التغيير السابع، كما صرّحت به المتون التاريخيّة، يكون التغيير قد حصل في المدينة وليس في مكّة، إذ كان عمرو الأشدق عليمكّة قبل أن يخرج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة، وهذا يعني أنّه لم يحدث أيُّ تغييرٍ علي صعيد ولاية مكّة، وإنّما انضمّت المدينة إلي واليها أيضاً، كما فعل القرد المخمور بالبصرة والكوفة حيث ضمّهما إلي ولاية ابن زياد.

وأمّا توقيت ذلك، فقد أفاد الشيخ ابن شهرآشوب وابن عبد البرّ

ص: 40

1- التذكرة الحمدونيّة: 8 / 31.

2- الكامل لابن الأثير: 4 / 43.

وغيرهما:

إنّ العزل والتولية كانت بعد أن بلغ يزيد خبر ما جري بين سيّد الشهداء (عليه السلام) والوليد، وكفّ الأخير عن الإمام (عليه السلام) ((1)).

وصرّح جماعةٌ سبقهم الطبريّ أنّ الأشدق قدم المدينة في شهر رمضان من تلك السنة (سنة 60) ... ((2)).

وحدّد ابن حمدون وقت دخوله بالضبط، فقال: إنّه دخلها «قُبَيل العُتمة، فصلّي العتمة بالناس، فقرأ: (لَمْ يَكُنْ) و(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ)» ((3)).

وفي إحدي روايات الطبريّ: أنّه قدم المدينة في ذي القعدة سنة 60 ... ((4)).

1- أُنظر: الاستيعاب لابن عبد البرّ: 3 / 1388، المناقب لابن شهرآشوب: 4 / 88، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 268.
2- أُنظر: تاريخ الطبري: 4 / 254، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 28 / 203، المختصر لابن منظور: 12 / 190، العِقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 376، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264، الكامل لابن الأثير: 3 / 265، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 324، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 158، إمتاع الأسماع للمقريزي: 12 / 272، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي: 1 / 49.
3- التذكرة الحمدونيّة: 8 / 31.
4- تاريخ الطبري: 4 / 256.

وفي روايةٍ أُخري له ذكر أنّ نزع الوليد ونصب الأشدق كان في شـهر رمضان، من دون الإشارة إلي قدومه إلي المدينة ((1)).وذكر البلاذريّ أنّ عَمْراً صار إلي المدينة بعد أن ولّي يحيي علي مكّة، من دون تحديد وقتٍ معيَّن ((2)).

وقـد يُتحصَّل من مجموع الأخبار أنّ ورود عمرو الأشـدق إلي المدينـة كان في شـهر رمضان، وأمّا روايـة الطبريّ الّتي حـدّدَته بذي القعدة فيمكن أن يكون قد رحل بعد شهر رمضان إلي مكّة وعاد إلي المدينة قبل أن يرجع إلي مكّة لحضور الموسم.

فإذا عرفنا أنّ الأشـدق كان والياً علي مكّة من قبل، وأنّ المدينة ضُـمّت إليه فيما بعد، وأنّه دخل المدينة في شـهر رمضان، فهذا يعني أنّه كان حاضراً في مكّة والياً عليها حين دخلها سيّد الشهداء (عليه السلام) ، لأنّ الإمام (عليه السلام) دخل مكّة في شهر شبعان.

التوضيح الثالث: علّة التغيير

اشارة

لقد وردت في نصوص المؤرّخين أسـبابٌ وعللٌ منصوصةٌ صراحة، أو ملوَّحٌ بها، للتغيير الّذي قام به القرد المخمور في مكّة والمدينة، حيث جمع

1- تاريخ الطبري: 4 / 301.

2- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 307.

البلدَين وأخضعهما لوالٍ واحد، وعزل الوليد عن المدينة.

ويمكن تقسيمها إلي ثلاث عللٍ أساسيّة:

العلّة الأُولي: الوشاية بالوليد

روي البلاذريّ فقال:

قال الواقديّ: عزل يزيدُ الوليدَ بن عُتبة؛ لأنّ مروان كتب يذكر ضعفه ووهنه وإدهانه، وولّي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ... ((1)).

روي البلاذريّ عن الواقديّ تعليلاً صريحاً يفيد أنّ مروان وشي بالوليد عند القرد المخمور، وذكره بالضعف والوهن والإدهان، ممّا دعا يزيد إلي عزله، وهذا السبب وإن كان يرجع بالتالي إلي العلّة الثانية الّتي سنذكرها، بَيد أنّ الخبر نفسه أوعز العزل إلي الوشاية، بغضّ النظر عن المادة الّتي وُشيَ بها الوليد عند يزيد.

العلّة الثانية: خوفه من ضعف الوليد

روي البلاذريّ مسنداً خبر كتاب يزيد الخمور إلي الوليد وتشديده علي أخذ البيعة من سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ثمّ قال:

فاستضعفه في ذلك فعزله، وأمّر عمرو بن سعيد الأشدق علي

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 307.

المدينة ومكّة ((1)).

فيزيد يري في الوليد ضعفاً، وقد تخوّف منه ومن ضعفه هذا، كماصرّح به ابن خيّاط وابن عساكر والذهبيّ وغيرهم، فقالوا:

وبعث يزيد عمرو بن سعيد أميراً علي المدينة، وعزل الوليد بن عُتبة؛ تخوّفاً لضعف الوليد ((2)).

وقد عدّ القرد المخمور موقف الوليد ضعفاً، بل تفريطاً، كما يُستفاد من كلام ابن كثير، فكان العزل نتيجة التفريط:

عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عُتبة عن إمرة المدينة؛ لتفريطه ((3)).

ويبدو من عبارة ابن عبد البرّ أنّه أوعز العزل إلي نمط شخصيّة الوليد وأخلاقيّاته الّتي دعَتْه إلي الكفّ عن سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فالوليد _ كما يزعم ابن عبد البرّ _ يتّصف بصفاتٍ لا تخدم يزيد في تلك المرحلة الّتي لا همّ له فيها سوي قتل ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) .

قال ابن عبد البرّ:

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 311.
2- تاريخ خليفة بن خيّاط: 178، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 28 / 203، المختصر لابن منظور: 12 / 190، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 268.
3- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 158.

فلمّا كفّ الوليـد بن عُتبة عن الحسـين وابن الزبير في شأن البيعة ليزيد، وكان الوليد رحيماً! حليماً! سـريّاً!، عزله وولّي يزيدُ عمرو ابن سـعيد الأشدق ... ((1)).

وأجمـل آخَرون، فقـالوا: إنّ الخبر وصل إلي يزيـد وبلغه موقف الوليـد فعزله، من دون تصـريح ((2))، بَيـد أنّ المفـاد واحـد، إذ أنّ ما بلغ القردالمخمور هو كفّ الوليد عن سيّد الشهداء (عليه السلام) .

العلّة الثالثة: تجبّر عمرو وتكبّره وطغيانه

صرّح الطبريّ وابن الأثير والمقريزيّ أنّ عمرو بن سعيد كان عظيم الكبر ((3))، ووصفه ابن كثير فقال: وكان متآلهاً متكبّراً ((4)).

وكـان يزيـد يحتـاج إلي مثـل هؤلاـء الأذناب والجِراء لتنفيـذ جرائمه النكراء وتحقيق مآربه الخسـيسة، ولا يكون لها إلّا مثل هـذه الوحوش الكواسر والمسوخ المتجبّرة، الّتي ولدَتها مستنقعاتُ الأرحام المُنتنة بسيلانات

ص: 45

1- الاستيعاب لابن عبد البرّ: 3 / 1388.

2- أُنظر: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، المناقب لابن شهرآشوب: 4 / 88.

3- تاريخ الطبري: 4 / 254، الكامل لابن الأثير: 3 / 265، إمتاع الأسماع للمقريزي: 12 / 272.

4- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 158.

الزناة، من أمثال الأشدق وابن مرجانة.

التوضيح الرابع: الهدف من إنفاذ الأشدق

لقد جمع القردُ المخمور المسعور البصرةَ والكوفة لابن الأَمَة الفاجرة، كما جمع المدينة ومكّة لعمرو بن سعيد؛ لمواجهة سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ومعالجة الموقف الّذي كان يخطّط له.

وربّما شهد لذلك أنّه نصب عمرو بن سعيد علي المدينة ومكّة خلال فترة وجود سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ثمّ بعد أن استغني عن خدماته الخاصّةالمتوقّعة في البطش بآل الله والقضاء علي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، عمد إلي عزله بعد شهادة الإمام (عليه السلام) وإرجاع الوليد إلي منصبه، كما أفاد خليفة بن خيّاط وابن عساكر والمقريزيّ والقلقشنديّ:

ولّاه معاوية مكّة، ثمّ استعمله يزيد بن معاوية علي المدينة في رمضان سنة ستّين، فباشرها، وكان عظيمَ الكبر، حتّي عزله في سنة إحدي وستّين في ولايته ((1)).

وبويع يزيدُ بن معاوية، فأمّر عمرو بن سعيد بن العاصي علي المدينة، فحجّ عمرو بالناس سنة ستّين، وقُتل الحسين بن عليّ لعشرٍ خلَون من المحرّم سنة إحدي وستّين، ثمّ نزع عمرو عن

1- إمتاع الأسماع للمقريزي: 12 / 272.

المدينة في سنة ستّين ((1)).

وكان علي مكّة والمدينة ابنُ عُتبة، فولّي مكانه عمرو بن سعيد الأشدق، ثمّ عزله سنة إحدي وستّين وأعاد الوليد بن عُتبة ((2)).

ويشهد لذلك أيضاً ما رواه البلاذريّ مسنداً، قال:

مات معاوية والوليدُ أميراً علي مكّة والمدينة، وكان علي مكّة من قبله أخوه لأُمّه عبد الرحمان بن نبيه، فكتب اليه يزيد يأمره أن يأخذ بيعة حسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير، فاستضعفه في ذلك فعزله، وأمّر عمرو بن سعيد الأشدق علي المدينة ومكّة،وأمّره أن يبعث إليه بابن الزبير في جامعةٍ ولا يؤخّره ... ((3)).

وقد صرّح العلّامة المجلسيّ نقلاً عن بعض الكتب المعتبرة أنّ يزيد الخمور إنّما أنفذ هذا الوغد الكاسر والطاغي المتجبّر والمغرور المتكبّر للقبض علي الإمام سرّاً أو الإقدام علي قتله غِيلة، ومثل هذا المجرم المنحطّ يمكنه أن يُقدِم علي مثل هذه الجناية العظمي.

قال العلّامة المجلسيّ (رحمة الله) :

ولقد رأيتُ في بعض الكتب المعتبرة أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد

ص: 47

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 46 / 37، تاريخ خليفة بن خيّاط: 176.
2- مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي: 1 / 121.
3- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 311.

ابن العاص في عسكرٍ عظيم، وولّاه أمر الموسم وأمّره علي الحاجّ كلِّهم، وكان قد أوصاه بقبض الحسين (عليه السلام) سرّاً، وإن لم يتمكّن منه يقتله غِيلة.

ثمّ إنّه دسّ مع الحاجّ في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أُميّة، وأمرهم بقتل الحسين (عليه السلام) علي أيّ حال اتّفق ((1)).

أجل، هذا الأُمويّ المتجبّر المعادي لأمير المؤمنين (عليه السلام) والمبغض لأهل البيت (عليهم السلام) يمكنه أن يكون ليزيد المسعور كالجرو الّذي سلّطه علي الكوفة والبصرة، وهما بوجهَيهما الكالحَين وبطشهما وتهوّرهما يمكن أن يخيفا الناس ويُقدِما علي أيّ جريمة، ولو كانت قتل سيّد شباب أهلالجنّة (عليه السلام) !

التوضيح الخامس: دخوله المدينة ومدّة مكثه فيها

ذكرنا قبل قليلٍ أنّ سعيداً دخل المدينة قادماً من مكّة في شهر رمضان وقت العتمة، فصلّي بالناس، وقرأ: (لَمْ يكُن) و(إِذَا زُلْزِلَت) ((2)).

كانت الأحداث في مكّة تغلي يوم تركها الأشدق، وكان الحدَث الأعظم بدخول سيّد الشهداء (عليه السلام) إليها، وكان الخطر الآخر الّذي تصوّره الأمويّون هو دخول ابن الزبير إليها، فكان المفروض أن يتواجد الأشدق في تلك الفترة

1- بحار الأنوار: 45 / 99، المنتخَب للطريحي: 304.

2- تاريخ خليفة بن خيّاط: 178.

في مكّة، لا أن يخرج منها ويقيم في المدينة.

وستأتي بعد قليلٍ الإشارة إلي أنّ ذلك ربّما كان شاهداً علي أنّ إقامة الإمام (عليه السلام) في مكّة كانت إقامةً عاديّة، لم يلحظ العدوُّ فيها ما يحتاج إلي وجود الوالي الطاغي فيها ليباشر مهامّه الخاصّة ويعالج ما يمكن أن يكون تمرّداً أو محاولةً للانقضاض علي الحكم والتحريض علي الحاكمين واستقطاب الأنصار والرجال، علي الأقلّ في تلك الفترة بالخصوص.

التوضيح السادس: خطبته

في (التذكرة الحمدونيّة):

فلمّا أصبح خرج إلي الناس وعليه قميصٌ أحمر ورداءٌ أحمر وعمامةٌ حمراء، فرماه الناس بأبصارهم، فقال:

يا أهل المدينة، ما لكم ترمونا بأبصاركم، كأنّكم تريدون أن تغزوا بنا سيوفكم [أن تضربونا بسيوفكم]؟ أنسيتم ما فعلتم؟ أما لو أنّا نقم منكم في الأُولي ما عدتم في الثانية.

أغرّكم أن قتلتم عثمان فوجدتم بعده ثائراً [ثائرنا] حليماً ومسنّاً مأموناً، قد فني غضبه وذهبت أذاته؟ فاغنموا أنفسكم، فقد وليناكم بالشابّ المقتبل البعيد الأمل، قد اعتدل جسمه، واشتدّ عظمه، ورمي الدهر ببصره، واستقبله بيأسه، فهو إن عضّ نهش، وإن وطئ فرس، لا يقلقل له الحصي، ولا تقرع له العصا.

ص: 49

فرعف وهو يتكلّم، فـألقي إليه رجلٌ عمامـةً فمسـح بها، فقال رجلٌ من خثعم: دمٌ علي منبرٍ في عمامـة! وقال: فتنـةٌ عمّت وعلا ذِكرها وربِّ الكعبة! فكانت الفتنة المشهورة ((1)).

*****

لا نريـد المكث عنـد هـذه الخطبـة وتحليلها، فإنّ خروجه بالأحمر،وتهديـده بيزيـد وبلُغـة الأُمويّين المقيتة، وتذكيرهم بأحقادهم الدفينة، وثأرهم وانتقامهم لـدم طاغيتهم الّذي بذريعته التافهة الخائبة أفسدوا الحرث والنسل وقتلوا الطيّبين، يكفي لحكاية تغطرسه وتجبّره وطغيانه، وسلوكه سلوك قومه في الإرعاب والإرهاب.

التوضيح السابع: متنٌ آخَر للخطبة

روي جماعةٌ أنّ يزيد بعث عمرو بن سعيد أميراً علي المدينة، وعزل الوليد بن عُتبة تخوّفاً لضعف الوليد، فرقي عمرو المنبر حين دخل، وذكر ابن الزبير وما صنع، وقال: تعزّز أو تعوّذ بمكّة، ثمّ أقسم وكرّر قسَمه وأكّده أنّه سيغزوه لئن دخل الكعبة، وأكّد أنّه لَيحرقنّها عليه علي رغم أنف مَن رغم، وفي بعض النصوص أنّه يحرق عليه مكّة ((2)).

1- التذكرة الحمدونيّة: 8 / 31.

2- أُنظر: تاريخ الإسـلام للذهبي: 2 / 268، تاريـخ خليفة بن خيّاط: 178، تاريـخ مدينة دمشق لابن عساكر: 28 / 203، المختصر لابن منظور: 12 / 190.

قال ابن خيّاط وابن عساكر والذهبيّ وغيرهم بألفاظٍ متقاربة، واللفظ للأخير:

وبعث يزيـد بن معاويـة عمرو بن سـعيد بن العاص أميراً علي المدينـة، خوفاً من ضـعف الوليد، فرقي المنبر وذكر ابنَ الزبير وتعوّذه بمكّة ـ يعني أنّه عاذ ببيت الله وحرمه ـ، فواللهِ لَنغزونّه، ثمّ لئن دخل الكعبـة لَنحرقنّها عليه علي رغم أنف مَن رغم ((1)).ربّما قيل: إنّ هذا الكلام يناسب أن يكون بعد أن أقام الموسم ورجع إلي المدينة؛ لأنّه ذكر ابن الزبير، وكان هو في تلك الفترة يعدّ العدّة له.

بَيد أنّ مفاد عبارات المؤرّخين أنّه رقي المنبر بعد أن عزل يزيدُ الوليدَ وبعث عمرو.

وعلي فرض أنّه كانت بعد عودته من الموسم، فإنّها تكشف عن جرأته علي الله وعلي حرماته، وهو يقسم بالله أنّه يحرق الكعبة!

التوضيح الثامن: رعف علي المنبر

قالوا:

فلمّا استوي عمرو علي المنبر رعف، فقال أعرابيّ: مَه، مَه! جاءنا

1- تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 268.

والله بالدم.

فتلقّاه رجلٌ بعمامته، فقال الأعرابيّ: مَه، واللهِ عمّ الناسَ شرّ!

ثمّ قام فخطب، فناولوه عصاً لها شعبتان، فقال الأعرابيّ: مَه، شعب أمر الناس والله ((1)). أو فقال: تشعّب ((2)) الناس والله! ((3))

وفي (إمتاع) المقريزي:

ولمّا رعف وهو يخطب، قال أعرابيّ: جاء بالدم. وناوله إنسانٌ عمامةً فمسحه بها، فقال أعرابيّ: عمّ الناسَ الدم. ثمّ ناوله إنسانٌعصاً ذات شعبتين، فقال أعرابيّ: شعب بين الناس ((4)).

لقد خرج بزيٍّ أحمر، ورعف علي المنبر، وناولوه عصاً بشعبتين..

ربّما كان ذلك بتخطيطٍ واستعدادٍ مسبَق، يريد به الإرعاب وبثّ التشاؤم في نفوس الناس، وإشعارهم بخطورة القادم، وجرأته علي الدماء، فتشأموا مِن مقدمه، وهو كلّه شؤم، رعف أم لم يرعف، لبس الأحمر أم لم يلبس، حمل عصاً برأس واحدٍ أو بشعبتين! وما برح الشؤم يغطّي أجواء المدينة منذ أن رحل عنها رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) واجتمعوا في السقيفة، ومنذ أن

ص: 52

1- الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 2 / 3، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264.

2- في (جواهر المطالب) للباعوني: (شعّب أمر).

3- العِقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 376، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264.

4- إمتاع الأسماع للمقريزي: 12 / 272.

هجموا علي دار النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وهتكوا حرمته، ومنذ أن هاجر منها أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وما جري بعد ذلك علي أئمّة المسلمين وعلي المؤمنين جميعاً..

التوضيح التاسع: استعمال عمرو بن الزبير علي الشرطة وما فعل بأنصار أخيه

قال ابن الأثير:

واستعمل علي شرطته عمرو بن الزبير، لِما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء، فأرسل إلي نفرٍ من أهل المدينة فضربهمضرباً شديداً، لهواهم في أخيه عبد الله، منهم: أخوه المنذر بن الزبير، وابنه محمّد بن المنذر، وعبد الرحمان بن الأسود بن عبد يغوث، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ومحمّد بن عمّار ابن ياسر، وغيرهم، فضربهم الأربعين إلي الخمسين إلي الستّين ((1)).

قد مرّ معنا في كتاب (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة) و(ظروف حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) بين المدينة ومكّة) أنّه حبس جماعةً ممّن لهم هويً في ابن الزبير، وإنّما استعمل عمرو بن الزبير علي شرطته وأرسله في محاربة أخيه إمعاناً في النكاية به، وكان ذلك بطلبٍ من عمرو بن الزبير نفسه.

1- الكامل لابن الأثير: 3 / 265.

التوضيح العاشر: خروجه من المدينة

أفاد ابن عبد ربّه والباعونيّ من خلال السياق أنّ عمرو بن سعيد خرج إلي مكّة بعد الخطبة، فقالا بعد نقل قصّة رعفه علي المنبر:

... فقال: تشعّب ((1)) الناس والله! ثمّ خرج إلي مكّة ((2)).

وأفاد ابن قُتيبة والباعونيّ أنّه خرج إلي مكّة فقدمها يوم التروية، «ثمّخرج عمرو إلي مكّة فقدمها يوم التروية» ((3))، وقد عرفنا أنّه دخل المدينة في شهر رمضان، فهو يفيد أنّه أقام هناك شهر رمضان وشوّال وذا القعدة، ثمّ خرج أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجّة بحيث وصل إلي مكّة في الثامن من ذي الحجّة يوم التروية!

وقد تظافرت النصوص علي إقامة عمرو الموسم تلك السنة، وقد عاد إلي المدينة بعد الموسم.

يبقي الكلام أنّه: هل قضي الفترة ما بين شهر رمضان إلي أواخر ذي القعدة في المدينة، كما أفاد ابن قُتيبة والباعوني، والأحداث تغلي والأيّام تزدحم بالمستجدّات في مكّة، وكان فيها سيّد الشهداء (عليه السلام) وابن الزبير؟!

ص: 54

1- في (جواهر المطالب) للباعوني: (شعّب أمر).

2- العِقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 376، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264.

3- الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 2 / 3، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264.

التوضيح الحادي عشر: أمير الموسم في شهر رمضان والحجّ

أفادت المصادر أنّ عمرو بن سعيد ولّاه يزيد الخمور علي مكّة والمدينة والموسم، وقد قَدِم مكّةَ في الموسم وأقامه وحجّ بالناس، وكان حاضراً في مكّة يوم خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) منها ((1))، كما سيأتي مفصّلاً إن شاء الله (تعالي).

ص: 55

1- أُنظر: الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 2 / 3، أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 307، تاريخ خليفة بن خيّاط: 178، الكامل لابن الأثير: 4 / 43، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 329، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264، العِقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 376، جواهر المطالب للباعوني: 2 / 264.

عمرو بن سعيد بن العاص

اشارة

لمّا كان لعمرو بن سعيد الأشدق دورٌ مؤثّرٌ في هذه الفترة، بحكم تسليطه علي الحرمين من قِبَل يزيد الخمور والفجور، اقتضي أن نأتي علي شيءٍ من ترجمته، وسنتناول ذلك من خلال النقاط التالية:

النقطة الأُولي: مَن هو؟

عمرو بن سعيد ـ بفتح العين ـ : هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الأُمويّ ((1))، يُعرف بالأشدق، ليست له صحبة ((2))، بل ولم يولد إلّا في زمان عثمان ((3))، ولا كان من التابعين بإحسان، ووالده مختلَفٌ في صحبته.

ص: 57

1- الاستيعاب لابن عبد البر: 3 / 1177، إمتاع الأسماع للمقريزي: 12 / 272.
2- الإصابة لابن حجر: 6 / 557، عمدة القاري للعيني: 10 / 187، معرفة السنن والآثار للبيهقي: 7 / 486.
3- تهذيب التهذيب لابن حجر: 10 / 324.

وقال ابن الأثير: يُكنّي أبا أُميّة، وكان أمير المدينة، وغزا ابنَ الزبير، ثمّ قتله عبد الملك بن مروان بعد أن آمنه.ويقال: إنّه الّذي رأي النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وروي عن عمر وعثمان، روي عنه بنوه وأُميّة وسعيد.

كان قتله سنة سبعين من الهجرة ((1)).

النقطة الثانية: سبب تلقيبه بالأشدق

قال العينيّ في (عمدة القاري):

عمرو بن سعيد بن العاص، المعروف بالأشدق، لطيم الشيطان، ليست له صحبة.

وعُرف بالأشدق؛ لأنّه صعد المنبر فبالغ في شتم عليّ، فأصابه لقوة.

ولّاه يزيد بن معاوية المدينة، وكان أحبّ الناس إلي أهل الشام، وكانوا يسـمعون له ويطيعونه، وكتب إليه يزيد أن يوجّه إلي عبد الله بن الزبير جيشاً، فوجّهه، واستعمل عليهم عمرو بن الزبير بن العوّام ((2)).

فهو من أعداء أمير المؤمنين (عليه السلام) الّذين يجاهرون بشتم سيّد الوصيّين

1- عمدة القاري للعيني: 2 / 141.
2- عمدة القاري للعيني: 10 / 187.

علي المنابر، وقد أصابه الله بسبب ذلك حتّي مال شِدْقه، وأظهر فيه آيات عليّ بن أبي طالب ظاهرةً للعَيان، غير أنّ الطغيان والعتوّ والغروروالاستكبار علي الله وأوليائه ينشأ في هؤلاء من مزيج نطفهم القذرة العفنة المتكوّنة من تكاثف سيلانات الزناة السكاري في كنيف أرحام الفواجر الرخيصات المتسكّعات علي أبواب خيام الحانات، لذا أحبّه أهل الشام وأطاعوه، لولعه بعداء نور الأنوار ومعادن الأطهار، ولانتمائه إلي الشجرة الملعونة في القرآن الّتي تتدلّي منها القرود المجذومة الجرباء.

النقطة الثالثة: وصَفَه النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) بالجبّار

روي أحمد في (مسنده) عن أبي هريرة قال:

سمعتُ رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) يقول: «لَيرعفنّ علي منبري جبّارٌ من جبابرة بني أُميّة، يسيل رعافه».

قال: فحدّثني من رأي عمرو بن سعيد بن العاص رعف علي منبر رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) حتّي سال رعافه ((1)) علي درج المنبر ((2))، رعف علي المنبر أوّل ما خطب ((3)).

ص: 59

1- مسند أحمد: 2 / 522، المناقب لابن شهرآشوب: 1 / 96، بحار الأنوار: 18 / 133.

2- شرح الأخبار للقاضي النعمان: 2 / 150 الرقم 460.

3- إمتاع الأسماع للمقريزي: 12 / 272.

فالويل ثمّ الويل لمن وصـفه نبيّ الرحمة بالجبّار، والويل لمن حكمهم ووُلّي عليهم، والويل لمن ولّاه وسلّطه علي رقاب الناس، ومثل هذا الجبّار كان يريده يزيد القرود في مثل تلك الفترة، فهو المطلوب ليُقدِم علي ارتكاب الجناية العظمي في تاريخ البشريّة.

النقطة الرابعة: أوّل مَن أخفت بالبسملة

قال البيهقيّ في (السنن):

... وكان يقول: أوّل مَن قرأ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم) سرّاً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص ((1)).

كذا أخبر عنه البيهقيّ، فإن كان هو الأوّل الّذي أخفت بالبسـملة والتزم البدعة وروّج لها، فيكون من المؤسّسين ورؤوس المبتدعين. ألا لعنة الله علي الظالمين.

النقطة الخامسة: موقفه حين سمع خبر شهادة الإمام (عليه السلام)

لمّا بلغ أهلَ المدينـة مقتلُ الحسـين (عليه السـلام) ، كثر النوائح والصوارخ عليه، واشـتدّت الواعية في دُور بني هاشم، فلمّا سـمع عمرو بن سعيد أصواتهنّ

1- السنن الكبري للبيهقي: 2 / 50.

ضحك! وقال: واعيةٌ بواعية عثمان ((1)).

لقد سمعناه في خطبته في المدينة يتوعّد ويذكر ثأره لدم عثمان، وهنا أيضاً عاد إليها، وكشف عن عفنه وأحقاده علي أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام) .ولو راجعنا النصوص التاريخيّة وقرأنا تصريحات الأُمويّين، نجدها تُزكم الأنوف وتقشعرّ لها الجلود والقلوب، وتُعلن بصراحةٍ ووقاحةٍ أنّ من أهمّ محفزّاتهم ودوافعهم لمحاربة أمير المؤمنين (عليه السلام) وقتل أولاده الطيّبين (عليهم السلام) وارتكاب الجناية العظمي بقتل سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) ، كلّها كانت انتقاماً لدم عثمان وثأراً لشيوخهم ورؤوسهم الموبوءة المحشوّة كفراً وعناداً وطغياناً وشركاً ونفاقاً..

- واعيةٌ بواعية عثمان!

- ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا..

وقد أبدي من الوقاحة والجسارة والجرأة علي الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) ما لا يأتي إلّا مِن أمثال هؤلاء الّذين دنّسوا التاريخ، ودخلوا الدنيا من النطف المجتمعة في الأرحام النتنة من ذوات الصنان والزناخة في حارات البغايا الرخيصات.

1- أُنظر: أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 217، نهاية الإرب للنويري: 20 / 472، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 196.

كان الخبيث من الشامتين الّذين أظهروا الفرح والسرور والشماتة بقتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأبدوا كامن الأحقاد، وكان ممّن عجّل له ابن زياد بالبشارة بقتل ريحانة رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، فلمّا وصل إليه رسول ابن الأَمة الفاجرة ودخل عليه، قال:

قال عمرو بن سعيد: ما وراءك؟

فقلت: ما سرّ الأمير، قُتل الحسين بن عليّ.فقال: اخرُجْ فنادِ بقتله.

فناديت، فلم أسمع واللهِ واعيةً قطّ مثل واعية بني هاشم في دُورهم علي الحسين بن عليّ (عليهما السلام) حين سمعوا النداء بقتله.

فدخلتُ علي عمرو بن سعيد، فلمّا رآني تبسّم إليّ ضاحكاً، ثمّ أنشأ متمثّلاً بقول عمرو بن مَعدي كرب:

عجّت نساءُ بني زيادٍ عجّةً

كعجيج نسوتنا غداة

الأرنبِ

ثمّ قال عمرو: هذه واعيةٌ بواعية عثمان.

ثمّ صعد المنبر فأعلم الناس قتلَ الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ، ودعا ليزيد ابن معاوية، ونزل ((1)).

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 84، تاريخ الطبري: 5 / 466، الإرشاد للمفيد: 2 / 127، بحار الأنوار: 45 / 121، العوالم للبحراني: 17 / 389، الدمعة الساكبة للبهبهاني: 5 / 57، نفَس المهموم للقمّي: 415، الكامل لابن الأثير: 3 / 300، مثير الأحزان لابن نما: 51، كشف الغمّة للإربلّي: 2 / 68.

وروي ابن أبي الحديد:

كتب عُبيد الله بن زياد إلي عمرو بن سعيد يبشّره بقتل الحسين (عليه السلام) ، فقرأ كتابه علي المنبر، وأنشد الرجز المذكور، وأومأ إلي القبر قائلاً: يومٌ بيوم بدر. فأنكر عليه قولَه قومٌ من الأنصار.

ذكر ذلك أبو عُبيدة في كتاب (المثالب) ((1)).

وهـذا يفيـد أنّ القزم الحقير والرجس النجس كان من رؤوس الأُمويّين الّـذين يرون أنفسـهم أصـحاب ثارات، وقد جعل نفسه جهةً تقصـد الانتقامبالذات، وكأنّه مفجوعٌ بنفسه ومطالب بذاته لرسول الله (صـلي الله عليه و آله و سلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) بدم الأشياخ ودم عثمان، وما عسي أن يقول عنه الإنسان وقد تحدّث هو بنفسه عن نفسه وكشف نواياه وحقيقته بقوله وموقفه!

النقطة السادسة: كان أشدّ الناس في أمر مروان

قال البلاذريّ:

كان عمرو بن سعيد أشدّ الناس في أمر مروان، حتّي وليَ الخلافة وقاتل معه الضحّاك بن قيس الفهريّ يوم مرج راهط ((2)).

ص: 63

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 4 / 71.
2- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 443.

وقال ابن أبي الحديد:

كان علي ميمنة مروان في موقعة مرج راهط ((1)).

كـان مروان من أشـدّ النـاس في معـاداة أهل البيت (عليهم السـلام) ، وكان من أكثرهم شـماتةً وحقـداً علي أمير المؤمنين وذرّيّته (عليهم السلام) ، وكان عمرو بن سعيد أشدّ الناس في أمر مروان، حتّي وليَ الخلافة، وكان يقاتل علي ميمنته انتصاراً له، وهكذا هي الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن، وهكذا هم القرود النازية علي منبر النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) الّذين رجعوا بالناس القهقري إلي دِين الجاهليّة، وهكذا هم قتَلَة أولاد الأنبياء والأوصياء وذراري الأوصياء.

النقطة السابعة: طمعه في المُلك وقتله

كان عمرو بن سـعيد من جبابرة بني أُميّـة، وكان متكبّراً مُعجَباً بنفسه، يطمع في المُلك، وقـد سانـد مروان ووقف معه، لاتّفاقٍ بينهما علي أن يتشـطّرا ضرعَيها، فيكون الأمر له بعد مروان، وتفيد النصوص أنّه كان يعمل علي ذلك، ويستقطب الناس من أتباع القرود ويبني لنفسه قاعدةً من الأتباع، حتّي صار له موقعٌ عند الكثيرين، وصار ينافس أولاد مروان، وبايعه وجوه أهل الشام وناسها.

1- أُنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 6 / 162.

قال البلاذريّ:

وامتنع عمرو بن سعيد من البيعة، ومات مروان وله ثلاثٌ وستّون سنة، ثمّ ملك عبد الملك بن مروان سنة ستٍّ وستّين.

فخرج عمرو بن سعيد بن العاص عليه، فصار أهل الشام فرقتين: فرقةً مع عبد الملك، وفرقةً مع عمرو بن سعيد، فدخلَت بنو أُميّة وأشراف أهل الشام بينهما، حتّي اصطلحا، علي أن يكونا مشتركين في المُلك، وأن يكون مع كلّ عاملٍ لعبد الملك شريكٌ لعمرو بن سعيد، وعلي أنّ اسم الخلافة لعبد الملك، فإن مات عبد الملك فالخليفة من بعده عمرو بن سعيد، وكتبا فيما بينهما كتاباً، وأشهدا عليه أشراف أهل الشام.

وكان روح بن زنباع من أخصّ الناس بعبد الملك بن مروان،فقال له وقد خلا به يوماً: يا أمير المؤمنين، هل من رأيك الوفاء لعمرو؟ قال: ويحك يا ابن زنباع! وهل اجتمع فحلان في هجمةٍ قطّ إلّا قتل أحدهما صاحبه؟

وكان عمرو بن سعيد رجلاً معجباً بنفسه، متهاوناً في أمره، مغترّاً بأعدائه.

قال أبو مِخنَف في روايته وغيره:

كان عمرو بن سعيد أشدّ الناس في أمر مروان، حتّي وليَ الخلافة، وقاتل معه الضحّاك بن قيس الفهريّ يوم مرج راهط، فلمّا مات مروان وبويع عبد الملك بالخلافة بلغه أنّ مصعب بن الزبير بن

العوّام يريـد الجزيرة متوجّهاً من العراق، فسار عبد الملك حتّي شارف الفرات، ومعه عمرو بن سـعيد الأشدق، فقال له عمرو: إنّك تشـخص إلي العراق، فقد كان أبوك أوعدني أن يولّيني الأمر بعده، وعلي ذلك قمتُ بشأنه وحاربتُ معه، فاجعلْ ليَ الأمر بعدك. فلم يُجبْه عبد الملك بشـيءٍ ممّا يسرّه، فانصرف عن عبد الملك وقصد إلي دمشق حتّي دخلها، وقال: إنّ مروان كان ولّاني عهده، ولذلك قمت بنصره وصنعت ما أنتم عالمون به. فبايعه عبـد الله بن يزيد بن أسد بن كرز ــ وهو أبو خالد بن عبد الله البجليّ ثمّ القسـريّ ــ، ثم بايعه وجوه أهل دمشق ومالوا إليه، لسخائه وجود كفّه، وألقي علي سور دمشق المسوحوالخشب والكرابيس والفرش المحشوّة، وتهيّأ للحصار واستعدّ له، وبلغ عبد الملك خبره، فانكفأ راجعاً يغذّ السير ويجدّ فيه حتّي أتي دمشق، وقد أغلق عمرو أبوابها ... ((1))، إلي آخر ما قال.

وروي البلاذريّ أيضاً فقال:

وحدّثني هشام بن عمّار الدمشقي، أنبأنا صدقة بن خالد القرشيّ، عن خالد بن دهقان قال:

كان عمرو بن سعيد في عسكر عبد الملك، وقد فصل من دمشق وهو يريد العراق، فقال له: إنّ أباك وعدني أن يجعل لي الأمر بعده،

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 443.

فبايع لك ولعبد العزيز إنْ كان بعدك، فاجعل لي العهد بعدك. فقال له: يا لطيم الشيطان، أوَ أنت تصلح للخلافة؟! أنت ذو كبرٍ وجبنٍ وسرفٍ وعُجبٍ وإفكٍ ظاهر، لا ولا كرامة ولا نعمة عين!

فانخزل عنه، وأتي دمشق ودعا إلي نفسه، وكان سخيّاً، فبويع، وأغلق أبواب المدينة واستعدّ للحصار.

فرجع عبد الملك وترك وجهه ذلك، فحاصره، وجعل يرسل اليه ويعِدُه ويرفق به، ويحلف له لَيولّينّه عهده، فقبل ذلكوسكن إليه، وخرج إلي عبد الملك.

فيقال: إنّه دخل عليه وهو في قصرٍ كان في عسكره وأصحابُه مطيفون به، فقتله من يومه ((1)).

النقطة الثامنة: قتل عمرو بن سعيد بن العاص

قال الدينوريّ:

ثم إنّ عَمْراً دخل علي عبد الملك يوماً، وقد استعدّ عبد الملك للغدر به، فأمر به فأُخذ، فأُضجع وذُبح ذبحاً، ولُفّ في بساط.

وأحسّ أصحاب عمرو بذلك وهم بالباب، فتنادوا، فأخذ عبد الملك خمسمئة صرّةٍ قد هُيّئت، وجعل في كلّ صرّةٍ ألفا درهم، فأمر بها، فأُصعدت إلي أعلي القصر، فأُلقيَت إلي أصحاب عمرو بن

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 445.

سعيد مع رأس عمرو، فترك أصحابُه الرأس ملقيً وأخذوا المال، وتفرّقوا.

فلمّا أصبح عبد الملك أخذ من أصحاب عمرو ومواليه خمسين رجلاً ـ فضرب أعناقهم، وهرب الباقون، فلحقوا بعبد الله بن الزبير ((1)).وقيل: إنّ عبد الملك ذبحه بيده ((2)).

وقد شمت ابن الزبير بقتله، فقد رُوي أنّ عبد الله بن الزبير لمّا بلغه أنّ عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الأشدق صعد المنبر فقال: إنّ فم الذبان (الذئاب) ((3)) قتل لطيم الشيطان ((4)).

النقطة التاسعة: كلام صاحب (الغدير) فيه

قال العلّامة الأمينيّ (رحمة الله) بعد أن روي ما سبق في ترجمة عمرو الأشدق وصعوده المنبر وشماتته بقتل سيّد الشهداء (عليه السلام) :

1- الأخبار الطِّوال للدينوري: 286، وانظر أيضاً: الكشّاف للزمخشري: 2 / 568، سيَر أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 450.
2- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال لليمني: 289.
3- تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي: 4 / 225.
4- المحرّر الوجيز لابن عطيّة الأندلسي: 2 / 346.

وكان أبو رافع عبداً لأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أميّة، فأعتق كلّ من بنيه نصيبه منه، إلّا خالد بن سعيد، فإنّه وهب نصيبه للنبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) فأعتقه، فكان يقول: أنا مولي رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) .

فلمّا ولي عمرو بن سعيد بن العاص المدينة أيّام معاوية، أرسل إلي البهيّ بن أبي رافع فقال له: مولي مَن أنت؟ فقال: مولي رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) . فضربه مئة سوط، ثمّ تركه، ثمّ دعاه، فقال: مولي مَن أنت؟ فقال: مولي رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) . فضربه مئة سوط، حتّي ضربه خمسمئة سوط، فلمّا خاف أن يموت قال له: أنا مولاك ((1)) (كامل المبرّد: 2 / 75، الإصابة: 4 / 68) ((2)).

النقطة العاشرة: هذا هو والي مكّة!

تبيّن أنّ والي مكّة والمدينة أيّام تواجد الإمام خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) في مكّة هو عمرو بن سعيد الأشدق، الخبيث المتجبّر المتكبّر المتغطرس اللاهث بوقاحةٍ وراء الدنيا، الطامع بالحكم والسلطان، العدوّ الحقود الحسود للنبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وذرّيّته (عليهم السلام) ، الشامت بالنبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وبريحانته (عليه السلام) ، المتمادي في الغيّ والكفر والعتوّ بسبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) علي المنابر، الكفّار

1- أنساب الأشراف للبلاذري: 1 / 482، الإصابة لابن حجر: 2 / 372.
2- الغدير للأميني: 10 / 264.

العنيـد والجبّار الشديـد علي النبيّ وآله، الّذي لا يعرف لله حرمة، ولا يتورّع عن إحراق الكعبة، ولا يمنعه من الإقدام علي قتل سـيّد شـباب أهل الجنة (عليه السلام) مانع، بل إنّ في منبته العفن وأصله النتن ومنشأه المشين ما يجعله يسعي في ذلك استجابةً لنوازعه ونزعاته وأحقاده وضـغائنه، وما يعيشه من حقارة الولادة علي فراشٍ تتنازعه شتّي الأعراق وتؤثّر فيه المؤثّرات الوراثية المتكثّرة بتكثّر الرجال الّذين شاركوا في إهراق نطفته القذرة المركّبة.

ص: 70

نزول الإمام (عليه السلام) دار العبّاس بن عبد المطّلب

اشارة

نزل الإمام الحسين (عليه السلام) في مكّة دارَ العبّاس بن عبد المطّلب عمّه ((1))، وكانت دار العبّاس قريبةً جدّاً من المسجد الحرام في المسعي ((2))..

وذكر الدينوريّ أنّه (عليه السلام) نزل في شِعْب عليّ (عليه السلام) ((3)).

ص: 71

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 56، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 207، التهذيب لابن بدران: 4 / 328، المختصر لابن منظور: 7 / 138، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2608، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 415، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162، سيَر أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 198، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 341.

2- أُنظر: أخبار مكّة للأزرقي: 2 / 82، 119، 264، تاريخ مكّة المشرّفة لمحمّد بن أحمد الحنفي المكّي: 154 _ بتحقيق: علاء أيمن الأزهري.

3- الأخبار الطوال للدينوري: 230.

فهو قد نزل في داره، ومكّة هي وطنه الأوّل، و إنْ كانت الدنيا قد أشرقت بنور ربّها بوجه سيّد الشهداء (عليه السلام) في المدينة الّتي كانت مسقط رأسه، بَيد أنّ أهله وعشيرته وأعمامه كانوا في مكّة، فهو إنّما قصد بيت الله الحرام حيث يقطن أهلُه وذووه، وهي أصل منبته ومحتده، فهو سيّد قريش، وسيّد بني هاشم وبني عبد المطّلب، ويمكن للمرء أن يحتمي بهم في ساعةالعسرة، لو كانوا يلتزمون بالأخلاق والأعراف السائدة يومها، بغضّ النظر عن الدوافع الدينيّة والأوامر الإلهيّة والوصيّة النبويّة..

*****

نزولٌ لا ـ يحكي سوي دخول مكّ ة لمّ ا يـدخل لها المعتمر والحاجّ، نزولٌ في دار عمّه أو شِ عْب أبيه، نزل في داره، قريباً من بيت الله الحرام، علي مرأيً ومسمعٍ من الناس والسلطة، في مكانٍ معروفٍ مشهود، يمتاز بحماية البيت لقربه منه، ويراه الرائح والغادي إلي بيت الله لأداء النسك والتهجّد، ويعرفه الأُمويّون، وهو محدَّدٌ عند السلطات، وموضعه يسهل ترصّده وجعله في متناول العيون والجلاوزة.

نزل الإمام (عليه السلام) بأهله وثِقْله وعياله ونسائه وأولاده ومَن معه من الأطفال والصبية والفتيان في مكّة، وسنسمع ما حدّثَنا به التاريخ، فنجده أقام في مكّة إقامة المستجير العائذ بالله وبيته وحرمه، لا يريد فيه سوي الأمن والاطمئنان والاستقرار، بعيداً عن حِراب القوم وسيوفهم ومخالبهم القذرة.

ص: 72

نزول الإمام بأعلي مكّة

اشارة

قد يُفهَم من خبر الخوارزميّ حيث روي عن ابن أعثم فقال:

قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي: ولمّا دخل الحسين مكّة، فرح به أهلُها فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه غدوةً وعشيّة، وكانقد نزل بأعلي مكّة، وضرب هناك فسطاطاً ضخماً، ونزل عبدُ الله بن الزبير داره بقيقعان، ثمّ تحوّل الحسينُ إلي دار العبّاس، حوّله إليها عبد الله بن عبّاس، وكان أميرُ مكّة مِن قِبَل يزيد يومئذٍ عمرَ بن سعد بن أبي وقّاص، فأقام الحسينُ مؤذّناً رافعاً صوته فيصلّي بالناس ... ((1)).

ثمّ يسترسل فيما بعد في سرد الأحداث باعتبار أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) مقيمٌ بمكّة نفسها.

أفاد البعض _ فيما حُكي _ أنّ نصّ الخوارزميّ يُعطي أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) لم يُقِم بمكّة، وإنّما نزل بأعلاها، وضرب هناك فسطاطاً ضخماً، وبقيَ فيه هو وأهلُه ونساؤه وصبيته وعياله وفتيان بني هاشم والطالبيّين وأُسَرهم وأولادهم والركبُ بمن فيه علي ضخامته كلّ تلك المدّة الطويلة، بشهادة أنّ النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) لم يقيما بمكّة بعد صلح الحديبيّة، وأنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) أَولي مَن استنّ بهما.

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190.

ويمكن أن يُلاحَظ علي هذا القول عدّة ملاحظات:

الملاحظة الأُولي: تفرّد الخوارزميّ

يُلاحَظ أنّ الخوارزميّ يصرّح بالرواية عن ابن أعثم، كما هو دأبه في كتابه (المقتل)، غير أنّ عبارة «بأعلي مكّة» لا ـ توجد في كتاب (الفتوح)لابن أعثم ((1))، كما أنّ مصوّرة إحدي النسخ الخطّيّة للفتوح الموجودة لدينا لم تذكر ذلك!

أجل، قد يُقال: إنّ نسخة الخوارزميّ كانت تحتوي ما ذكره، وهو ليس ببعيد.

فإن قلنا أنّه كلام الخوارزميّ، يكون الخوارزميّ قد تفرّد بذلك، وإن قلنا بثبوته في نسخة الخوارزميّ من (الفتوح)، يكون ابن أعثم قد تفرّد في ذلك ــ حسب الفحص ــ، وشأنه في ذلك شأن باقي متفرّداته، وما أكثرها.

الملاحظة الثانية: ارتباك النصّ

يُلاحَظ أنّ النصّ الّذي يرويه الخوارزميّ هنا فيه ارتباكٌ واضح، أو تصحيفٌ بيّن، وقد أتينا علي بيان ذلك في ما سبق من الكلام فلا نعيد، ونكتفي بالإشارة إلي تصريحه أنّ والي مكّة كان يومها هو عمر بن سعد بن

ص: 74

1- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 23.

أبي وقّاص.

الملاحظة الثالثة: تصريح الخوارزمي بالإقامة في مكّة

يُلاحَظ في نفس النصّ تصريحٌ من الخوارزميّ عن ابن أعثم أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) إنّما نزل بأعلي مكّة عند دخوله، ثمّ تحوّل إلي مكّة بدعوة ابنعبّاس.

فيكون النزول بأعلي مكّة وضرب الفسطاط مرحلةً قبل النزول بمكّة نفسها، وكان الاستقرار في مكّة فيما بعد.

وهو نفسه حينما يسترسل في سرد الأحداث يرويها جميعاً في نفس مكّة، باعتبار أنّ الإمام قد استقرّ فيها وترك الفسطاط الّذي ضربه إبّان دخوله.

فلا يكون التفرّد إلّا في ضرب هذا الفسطاط إلي حين دخول الإمام مكّة، ويتّفق من بعد ذلك الخوارزميّ مع باقي المؤرّخين، وحينئذٍ لا يكون ثمّة مَن يخالف في نزول الإمام بمكّة من المؤرّخين، بما فيهم الخوارزميّ.

الملاحظة الرابعة: نزول المستجير بالبيت

يُلاحَظ أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) قَدِم مكّة مستجيراً عائذاً لائذاً بالله وببيته، خائفاً علي أهل بيت النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وعياله، فالأَوفق به أن يكون قريباً من الكعبة، وكان بيت العبّاس لا يبعد عن الكعبة إلّا أمتاراً.

الملاحظة الخامسة: اختلاف الظروف

تختلف ظروف سيّد الشهداء (عليه السلام) تماماً عن ظروف جدّه وأبيه، وقد احتمل بعض الأعلام أنّ ترك المبيت في مكّة كان من خصائص أمير المؤمنين ورسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ((1))، والأحاديث في تحبيذ الإقامة واجتنابها متعارضة ((2))، وليس لدينا دليلٌ واضحٌ صريحٌ ناهضٌ أنّ الأئمّة المعصومين من أولاد الإمام الحسين (عليه السلام) لم يبيتوا في مكّة أبداً، وإثبات ذلك يحتاج إلي بحثٍ طويلٍ قد يُبعدنا عن أصل الموضوع.

ولا يخفي أنّ سلوك سيّد الشهداء (عليه السلام) بنفسه سنّةٌ يُستنّ بها!

ثمّ إنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) قد دخل مكّة بثقله وأهله، وهم عددٌ كبيرٌ من النساء والأطفال والفتية والصبيان، وبقي مدّةً طويلةً مضطرّاً، قد يشقّ عليهم الإقامة في فسطاطٍ ضخمٍ واحدٍ كلّ هذه المدّة.

الملاحظة السادسة: علي فرض صحّة القول

علي فرض صحّة هذا القول وأنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) قد أقام بأعلي مكّة كلّ هذه المدّة، وبقي هناك دون أن يدعوه أحدٌ ولا يحتفل بإقامته في فسطاطٍ وهو قد نزل ضيفاً علي أهل مكّة، وهو ابن نبيّهم

1- أُنظر: روضة المتّقين للمجلسيّ الأب: 4 / 42.

2- أُنظر: روضة المتّقين للمجلسيّ الأب: 4 / 42.

وسـيّدهـم وشـريفهم، وقـد أمر الله أهل مكّـة أن يفتحوا أبوابهم للحجّاج، فهذا يعني عدم اكتراث أهل مكّة، شـريفهم _ حسب الاصـطلاح العرفيّ السائد يومذاك _ ودنيّهم، وعدم التفاتهم إلي سيّد الخلق أجمعين، وكأنّالنازل في فسطاطٍ ليس أهل بيت نبيّهم وأقدس مقدّسٍ أمرهم الله ورسوله بتقديسه.

وربّما أفاد أيضاً أنّ الإمام إنّما اجتنب بلداً أخرج جدّه وكره أبوه المبيت بين أظهرهم، فهو لا يأمنهم علي نفسه وعياله.

وعلي هذا الفهم يُضاف هذا الخبر إلي باقي الأخبار الّتي تسوق الأحداث في تلك الأيّام لتشـهد بغربة سـيّد الشهداء أيّام إقامته في مكّة، وأنّ أهل مكّة لم يحبّوه ولم يدفعوا عنه ولم يمنعوه..

ص: 77

لقاء الناس بالإمام (عليه السلام)

لمّا نزل الإمام سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) مكّة، اجتمع الناسُ عليه ((1))، وفرح به أهلها فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه ((2)) بكرةً وعشيّة ((3))، وكذا مَن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق ((4))، فكانوا يجتمعون عنده حلَقاً حلَقاً ((5))..

ص: 79

1- أُنظر: الاستيعاب لابن عبد البرّ: 1 / 381، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2572، تاريخ الخميس للديار بكري: 2 / 331، نور الأبصار للشبلنجي: 256.

2- أُنظر: إعلام الورى للطبرسي: 223، تاريخ ابن خلدون: 3 / 20.

3- الفتوح لابن أعثم: 5 / 37، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189.

4- أُنظر: جُمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 368، تاريخ الطبري: 5 / 343، الإرشاد للمفيد: 2 / 33، روضة الواعظين للفتّال: 147، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 324، الكامل لابن الأثير: 3 / 260، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 139، نهاية الإرب للنويري: 20 / 381، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 183، بحار الأنوار: 44 / 332، العوالم للبحراني: 17 / 181، نفَس المهموم للقمّي: 79.

5- الأخبار الطوال للدينوري: 230.

هكذا نقل المؤرّخون خبر اسـتقبال الناس لسـيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة، ولقائهم به والاجتماع معه وعليه، والاحتفاء به، ولـم نجد _ حسب فحصنا _ أيّة إضافةٍ تذكر أو تفصّل ما كان يجري في اللقاءات.

ولم تُسجّل في الاستقبال وفي الأيّام الأُولي أيّة خطبةٍ أو تقريرٍ أو دعوةٍ أو استنهاضٍ أو طلبٍ للبيعة أو التحريض علي التحلّل من البيعة ليزيد الخمور أو اجتنابها والامتناع عنها.

ولو كان لَبان! ولو في إشارةٍ أو تصـريحٍ من قريبٍ أو بعيد..ومن المعلوم أنّ الناس كانوا يتبرّكون بالنظر إلي وجه سـيّد الشهداء (عليه السلام) المـذكّر بوجه جـدّه (صـلي الله عليه و آله و سـلم) ، وربّما سأله بعضـهم عن مسألـةٍ شـرعيّة، أو طلب منه قضاء حاجة، كما ورد في بعض المتفرّقات من الأخبار، من قبيل فعل ابن مطيع وغيره.

وربّما استُشعر شيءٌ من تعبير ابن كثير في قوله:

فعكف الناس علي الحسين يَفِدُون إليه ويُقدِمون عليه ويجلسون حواليه حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد ((1))..

بَيـد أنّ هـذا التعبير لا يُغني ولا يثبت شـيئاً؛ لانفراد ابن كثيرٍ به من جهة، ولأنّه توصـيفٌ منه وليس نقلاً لحادث، وإنّما يبدو واضـحاً عليه أنّه محاولة ربطٍ بقصد الإيحاء إلي المتلقّي.

1- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 151.

وقد نقل نصّه الشيخ باقر شريف القرشيّ (رحمة الله) بلفظٍ آخَر، فقال:

يقول ابن كثير: وعكف الناس بمكّة يَفِدون إليه ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه وينتفعون بما يسمعون منه ويضبطون ما يروون عنه ((1)).

وليس في هذا اللفظ التتمّة الموهمة في اللفظ السابق، إذ أنّ مدار اللقاءات والوفود والجلوس مقفلٌ علي طلب العلم والتعلّم والاستماع والانتفاع وضبط الرواية والحديث.أمّا الصفة الغالبة علي عبارات المؤرّخين _ عدا ابن كثير _ فهي تتحدّث عن مطلق اللقاء والاجتماع، وهو أعمّ ممّا ذكره ابن كثير، فالإمام الحسين (عليه السلام) عند الناس هو الحسين بن عليّ وابن فاطمة، ومعدن العلم وأُصول الدين ومنتهي الكرم..

وهو في وطنه مكّة البلد الحرام، وفي بيت الله الحرام، والمفروض أن يكون آمناً مطمئنّاً لا يزعجه شيء، وفي هذه الحالة قد حقّق ما من أجله دخل مكّة، فإن كان ثمّة غرضٌ آخَر من دخولها لَعمل عليه ولو بالكنايات والإشارات، ولرصدها الراوي وذكرها المؤرّخ.

وأمّا قول الخوارزميّ مصرّحاً بالنقل عن (الفتوح) لابن أعثم: «فأقام

1- حياة الإمام الحسين (عليه السلام) للقرشي (رحمة الله) (الموسوعة): 13 / 307.

الحسين مؤذناً رافعاً صوته فيصلّي بالناس» ((1))..

فهو بالإضافة إلي تفرّده، فإنّ عبارة ابن أعثم في (الفتوح) هي: «وأقام الحسين بمكّة قد لزم الصوم والصلاة»..

ومع ذلك، فإنّ إقامة الصلاة جماعةً ورفع الأذان لها كان رائجاً ذلك اليوم، وكانت الجماعات تكثُر في البيت الحرام، وكان ابن الزبير يصلّي بأصحابه، ومجرّد إقامة الصلاة جماعةً لا تُعدّ دعوةً للبيعة ومستلزماتها، ولا تُعتبَر تكريساً لموقفٍ له أبعادٌ ومغازٍ وأهدافٌ بعيدةٌ عن العمل بالاستحبابالشرعيّ.

*****

كيف كان، فإنّ ما بين أيدينا من النصوص لا يروي لنا كلاماً لسيّد الشهداء (عليه السلام) أو موقفاً يفيد انتصابه للخلافة الظاهرة، وتحريضه علي السلطة، واستقطابه للأنصار، ودعوته لمحاربة القرد المسعور، عند دخوله مكّة ولا في أيّامه الأُولي، وما أفادته النصوص حصراً: أنّ الإمام (عليه السلام) دخل مكّة دخولاً عاديّاً كسائر مَن يدخلها من المسلمين، وأقام فيها تماماً كما يقيم فيها سائر المسلمين، مصلّياً متهجّداً عابداً متنسّكاً، يلتزم الصمت، ويدخل البيت الحرام للطواف والعبادة.

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189.

ولا يمنع إن كان أحدٌ من المسلمين التقاه، واستعرض معه الوضع الراهن، وما يدور في تلك الأيّام من أحداثٍ تلت هلاك طاغية بني أميّة واستخلاف نغله مِن بعده، فالإمام (عليه السلام) كان في السنام الأعلي والمقام الأسني والشخص الأوّل بين وجوه القوم يومذاك بإجماع المسلمين، فمن الطبيعيّ أن تُطرَح هذه المسائل بين يديه وعليه، ويتوقّع الآخَرون من الإمام (عليه السلام) وينتظرون أن يسمعوا موقفه ويتعرّفوا علي تقييمه للأوضاع حسب نظرتهم للإمام (عليه السلام) .

فإذا قال الإمام (عليه السلام) شيئاً، فهو يقول كسائر مَن كان يقول يومها، كابن عبّاس وابن عمر وغيرهما كثير، مع فارق المقارنة والقياس.ومع ذلك سنتابع أقوال المؤرّخين لنعرف:

- هل ابتدأ الإمام (عليه السلام) بقول شيء؟

- أو أعلن عن موقفٍ ابتداءً؟

- أو خطب في الناس وأعلن لهم عن موقف؟

- أو جمع الجموع وحرّضهم علي أحد؟

- أو أنّ بعض مَن يسمّونهم الوجوه كالعبدين (ابن عبّاس وابن عمر) هم الّذين بادروا الإمام (عليه السلام) فقالوا، وسمعوا من الإمام (عليه السلام) ، ولم يسمعوا منه سوي التظلّم وما تعرّض له من هجوم وحوش الأعداء وإساءتهم له، وإخراجه من تربة جدّه وأُمّه وأخيه ومسقط رأسه،

وأنّه يريد الدفاع عن نفسه، ويأبي أن يعطي بيده إعطاء الذليل ويقرّ له إقرار العبيد أو يفرّ منهم فرار العبيد!

والظاهر من كلمات المؤرّخين أنّهم لا يحدّثون عن فترةٍ من فترات تواجد الإمام (عليه السلام) في مكّة دون فترة، وإنّما يُخبرون عن مجموع الفترة الّتي أقامها الإمام (عليه السلام) في مكّة.

لو طلب البيعة لأجيب!!

ذكر المؤرّخون:

إنّ وجود الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة ساء ابن الزبير، وكان أثقلَ خلق الله عليه، لأنّه علم علماً أكيداً وعرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ولا يلقون إليه ولا يتهيّأ له ما يطلب منهم ما دام الحسين (عليه السلام) في البلد، وأنّ الحسين (عليه السلام) أطوع في الناس وأجلّ، وهو عندهم أعظم في نفوسهم وأعينهم ((1)).

هذه خلاصة أقوالهم بعد حذف المكرّر منها، وفيها جميعاً دلالةٌ واضحةٌ أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) لو كان قد طلب البيعة من الناس لَاختاره

1- أُنظر: جُمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 315، تاريخ الطبري: 5 / 343، الفتوح لابن أعثم: 5 / 37، الإرشاد للمفيد: 2 / 33، روضة الواعظين للفتّال: 147، بحار الأنوار: 44 / 332، العوالم للبحراني: 17 / 181، تجار الأُمم لمسكويه: 2 / 39، إعلام الورى للطبرسي: 223، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 324، الكامل لابن الأثير: 3 / 260، نهاية الإرب للنويري: 20 / 381، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 151، تاريخ ابن خلدون: 3 / 20، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 183.

الناس علي ابن الزبير، والمتون التاريخية تؤكّد أنّ ابن الزبير لم ينصب نفسه للبيعة تلك الأيّام، وربّما كان من أسباب امتناعه عن ذلك حينها هو ما فسّر المؤرّخ من وجود سيّد الشهداء (عليه السلام) بمكّة، وهو يعلم أنّ الناس لايعدلون بسبط النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) أحداً.

ومؤدّي هذا التقرير: إنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) لو كان قد دعا إلي البيعة لَاستجاب له الناس وقدّموه علي ابن الزبير.

وفي تعبير الدينوريّ إفادةٌ أعمّ ممّا ذكره مشهور المؤرّخين، حيث يقول:

وتركوا عبدَ الله بن الزبير، وكانوا قبل ذلك يحتفلون إليه، فساء ذلك ابن الزبير وعلم أنّ الناس لا يحفلون به والحسين مقيمٌ بالبلد ((1))..

فالقضيّة قضيّة احتفاءٍ واحتفالٍ بسيّد الشهداء (عليه السلام) واختلاف الناس إليه، وليس القصّة فيها بيعةٌ ولا خوف منازعةٍ في سلطان، لا قياس عند الناس بين ابن الزبير وابن رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) .

ونحن لم نسمع في التاريخ _ حسب الفحص _ أنّ الإمام (عليه السلام) نصب نفسه للبيعة في مكّة، ودعا إليها وطلبها من أحد، ولم يروِ لنا أيضاً أنّ أحداً بايع الإمام (عليه السلام) في مكّة، ولم يجرِ أيُّ حديثٍ عن البيعة للإمام (عليه السلام) .

وكيف كان، فإنّ الوارد في هذا التقرير إنّما هو الإخبار عمّا في نفس ابن الزبير من حسدٍ ومن أوهام، وما يختلج في كوامنه من تحرّياتٍ للموقف

1- الأخبار الطوال للدينوري: 230.

واعتمادٍ للحسابات، فإنّه يعلم أنْ لو وقع الخيار عند الناس بينه وبينريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) لما عدل بسيّد الشهداء (عليه السلام) ولما اختاره أحدٌ ما دام الإمام الحسين (عليه السلام) موجوداً، سواءً علي مستوي البيعة أو الاحتفاء..

وكما لم نسمع أنّ الإمام (عليه السلام) قد نصب نفسه للبيعة في مكّة، كذلك لم نسمع أنّ الناس قد انثالوا عليه يبايعون..

فالكلام مجرّد تحليلٍ مِن قِبل المؤرّخ، أو تقرير لحال ابن الزبير ووضعه وموقفه، وليس فيه إشارةٌ إلي موقف سيّد الشهداء (عليه السلام) أو نصب نفسه للبيعة!

وسيأتي مزيد بيانٍ عند الحديث عن خروج الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة، إن شاء الله (تعالي).

ص: 87

كتاب الأشدق ليزيد

اشارة

ورد في (مقتل الحسين (عليه السلام)) للخوارزمي:

أنّ (ابن سـعدٍ) ((1)) هـاب أن يميـل الحجّاج مع الحسـين (عليه السـلام) ؛ لِما يري من كثرة اختلاف الناس إليه من الآفاق، فانحـدر إلي المدينة، وكتب بذلك إلي يزيد ((2)).

ويمكن التريّث هنا قليلاً من خلال عدّة تلميحات:

التلميح الأوّل: اسم الوالي

ورد في المطبوع من كتاب (مقتل الحسـين (عليه السـلام)) للخوارزمي اسم الوالي الّذي كتب الكتاب ليزيد هكذا: «عمر بن سعد بن أبي وقّاص»، ويبدو أنّ ثمّة تصحيفٌ وقع، إذ أنّ المتّفَق عليه _ كما مرّ معنا _ أنّ الوالي كان:

1- إذ أنّه قال أنّ عمر بن سعد بن أبي وقّاص كان واليَ مكّة يوم دخول سيّد الشهداء (عليه السلام) إليها. وفي (موسوعة تاريخ الإمام الحسين (عليه السلام)): (ابن سعيد)، وفي هامشها: (في المطبوع: ابن سعد).
2- أُنظر: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190.

عمرو بن سعيد بن العاص.

التلميح الثاني: انفراد الخوارزمي

يبدو لنا _ حسب الفحص _ أنّ الخوارزميّ قد تفرّد بنقل هذا الكتاب، ولم نقف عليه عند غيره، وبالرغم من أنّ الخوارزميّ ابتدأ كلامه في الفصل العاشر بقوله: «قال الإمام أحمد بن أعثم الكوفي»، ثمّ ذكر هذا الكتاب بعد زهاء خمسة سطور، غير أنّنا رجعنا إلي نسخ (الفتوح) المتوفّرة عندنا، فلم نجد خبراً عن هذا الكتاب، والله العالم.

التلميح الثالث: مخاوف السلطان

هذه هي مخاوف السلطان وأعداء الله دوماً وأبداً، وهذه هي طريقته في التهويل والتخويف والتلبيس، وتصوير ما يرهبهم ويهدّدهم بالشكل الّذي يرسم لهم صورة القَلِق الخائف علي مستقبل السلطان، خوفاً علي مستقبلهم وتزلّفاً لأربابهم، وطلباً للتمكّن من وسائل القضاء علي العدوّ، وتشفّياً ممّن يكنّون له الحقد والضغينة والحسد..

كثر اختلاف الناس إليه من الآفاق.. وهذا الاختلاف بنفسه كان كافياً لزعزعة استقرار الجبناء، ومسوّغاً عندهم للاحتياط والخوف، وهذه جواسيسهم وعيونهم تملأ الآفاق وتمسح الأرض شرقاً وغرباً، سيّما في مكّة مجمع المسلمين من كلّ بقاع الأرض في أشهُر الحجّ.

ص: 90

التلميح الرابع: سبب المخاوف

هلاّ كتب ابن سعيد لسائسه القرد المخمور شيئاً غير كثرة اختلاف الناس إليه من الآفاق، وهو في موقف التخويف والتهويل والإنذار والتحذير؟ كأن يخبره عن جمع الرجال والتخطيط لأمرٍ ما، أو المجاهرة بالتحريض علي السلطة، أو العمل السرّي للدعوة إلي البيعة!

لو كان شيئاً من هذا لَضمّنه كتابه، والحال أنّه حذّر من ظاهرةٍ واحدة، وهي كثرة اختلاف الناس إليه، وخشي من عواقب هذا الاختلاف والتجمهر علي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وللناس مع سيّد الشهداء (عليه السلام) مقاصد وحوائج، وهم يحتاجون إليه ويتوقون إلي رؤيته ويتبرّكون به ويستنصحونه ويتعلّمون منه ويأخذون منه معالم دينهم، وغيرها من المقاصد الّتي يعسر حصرها..

التلميح الخامس: الإخبار عن فعل الناس

ربّما كان هذا التلميح يتبع التلميح السابق، وقد أفردناه للأهميّة:

يُلاحَظ أنّه لم يُخبِر عن سلوكٍ متعلّقٍ بسيّد الشهداء (عليه السلام) ، وإنّما أخبر عن سلوك الناس مع سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فهو لم يجد في تحرّكات سيّد الشهداء (عليه السلام) ما يمكن أن يُخبر به سيّدَه وسائسه، وإنّما وجد في تردّد الناس علي الإمام (عليه السلام) واجتماعهم عنده، فهو لم يخبر عن فعل سيّد الشهداء (عليه السلام) ،

إذ لم يجد له ما يمكن أن يخبر عنه.

ولا يقال:

إنّ اجتماع الناس حول سيّد الشهداء (عليه السلام) هو بنفسه تعبيرٌ عن حركةٍ ونشاطٍ للإمام (عليه السلام) .

لأنّ اجتماعهم عنده _ كما أفادت الأخبار من قبل _ كانت لأغراضٍ شتّي، منها: طلب البركة، وتعلّم الدين، وأخذ الحديث، وما شاكل.. ولو كان اجتماعهم عنده لغرضٍ خاصٍّ سعي من أجله سيّد الشهداء (عليه السلام) لسجّله وذكره في كتابه ووشي به، بل ربّما اقتضت الضرورة أن يضخّمه ويجعله تهديداً للسلطان، كأن يذكر للإمام (عليه السلام) خطباً أو مقالاتٍ أو نشاطاتٍ تحشيديّة أو تحريضيّة أو ما شابه ذلك.

التلميح السادس: الكتاب من المدينة

بغضّ النظر عن الغلط في اسم الوالي واعتباره (عمر بن سعد بن أبي وقّاص)، فإنّ الوالي كان في مكّة، فلماذا تقبّض عن الكتابة وأجّلها إلي أن خرج من مكّة ودخل المدينة، ثمّ كتب من هناك ليخبره عن مجريات الأحداث في مكّة؟!

التلميح السابع: خروج الوالي إلي المدينة!

لو كان وجود الإمام (عليه السلام) في مكّة يُعَدّ تهديداً حقيقيّاً جدّيّاً علي

السـلطان، لما تركها وخرج إلي المدينة، والحال أنّ الشخصـّين اللذَين كان يخشاهما السـلطان، وهما ريحانة النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سلم) وابن الزبير، قد خرجا منها ودخلا مكّة.

فيما أفادت المتون التاريخيـّة _ كما تبيّن لنا سابقاً _ أنّ والي مكـّة الـّذي أراده يزيد متسـلّطاً علي البلدَين ليحقّق له أغراضه في القضاء علي الإمـام (عليه السـلام) ، فيما ترك الوالي مكـّة والإمام (عليه السـلام) فيها وانحـدر إلي المدينـة، وبقيَ هناك إلي أيّام الموسم، فجاء إلي مكّة لإقامة الموسم، والحال أنّ مقتضيات الأحداث كانت تتطلّب أن يبقي الوالي قريباً من موضع التهديد والبؤرة الملتهبة في ولايته! ((1))

التلميح الثامن: إخبار يزيد بنزول الإمام (عليه السلام)

ربّما كانت عبارة السيّد بحر العلوم في (مقتل الحسين (عليه السلام)) أوفق برسم المشهد وأدّق في التعبير، قال:

1- أضاف أخٌ عزيزٌ حبيب _ حفظه الله ورحم أباه _ هنا احتمالاً يفيـد أنّ الوالي ربّما أوعز إلي جلاوزته اغتيال الإمام (عليه السـلام) والجدّ في ذلك، واتّفق معهم علي الخطـّة، ثمّ غادر إلي المدينـة، ليقع ما يقع ويحـدث ما يحـدث والوالي ليس في مكّة، فلا يُتّهَم بشـيءٍ من ذلك ويتنصّل بحسب الظاهر من تحمّل مسؤوليّة دم سيّد الشهداء (عليه السلام) .

وكتب والي مكّـة يومئذٍ عمرو بن سـعيد الأشدق إلي يزيد بن معاوية بنزول الحسـين (عليه السـلام) وأبنائه وأهل بيته (مكّة)، واجتماعالناس إليه والتفافهم حوله، وأنّ في ذلك الخطر علي خلافته ((1)).

وهذا النصّ يفيد أنّ الأشدق أراد بكتابه إخبار سائسه بنزول سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) مكّة، وهو متصوّر، لأنّه والٍ علي بلدٍ قد حدث في ولايته حدَثٌ عظيم، فيلزمه أن يخبر سيّده وينقل له الصورة الّتي يراها، ويعبّر له عن مخاوفه.

فيمكن والحال هذه حمل عبارة الخوارزميّ علي هذا المعني، والله العالم.

التلميح التاسع: الخلاصة

كيف كان، فإنّ مؤدّي هـذا التقرير ومؤدّي مجريات الأحـداث التاريخيّـة الّتي رواها المؤرّخ هو تجمهر الناس واختلافهم إليه، لا أكثر، ولو كان ثمّة دعوةٌ إلي البيعة والاسـتنهاض وما شاكلها من النشاطات الرامية إلي ما هو أبعد من مجرّد اللقاء بسـبط النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) للتبرّك به والأخـذ عنه، لَبـانت آثاره من خلال تكاثر الرجال حول سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) والتفافهم حوله والتزامهم البيعـة معه والوقوف في صفّه، بحيث تكون له مكّة مأمناً يحميه ويوفّر له الموقع الآمِن والعدد الكافي، والحال أنّه خرج منها لفقدان الناصر الّذي

1- مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144.

يدفع عنه القتل ويحمي البيت الحرام من الهتك.

ومجرّد اجتماع الناس حول الإمام (عليه السلام) كان تهديداً أو تنغيصاً واضحاً لا يحتمله السلطان، وقد رأينا لذلك أمثلةً كثيرةً مع غير سيّد الشهداء (عليه السلام) من الأئمّة (عليهم السلام) ، حيث كانت التقارير تُرفَع إلي السلطان بإمكان احتفاء الناس، بل حتّي الشيعة فقط بالإمام (عليه السلام) ، ممّا يثير حفيظة الطاغوت.

وكذا سمعنا بمواقف معاوية وجِرائه مع السبط الأكبر (عليه السلام) ، ومحاولاتهم البائسة الخاسرة من أجل خدش ساحة القدس الحسنيّ، وما يخالونه تكبيتاً وتوبيخاً، خوفاً من التفاف الناس حوله وخفق النعل خلفه كما يزعمون، بَيد أنّ الإمام (عليه السلام) حُجّة الله في الأرض، وهو ابن عليٍّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وابن رسول ربّ العالمين (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وابن فاطمة سيّدة نساء العالمين (عليها السلام) ، فكان في كلّ مرّةٍ يخزيهم ويعرّيهم ويفضحهم ويُلقمهم حجراً يكمّ أفواههم إلي أبد الآبدين.

فمجرّد التفاف الناس حول الإمام (عليه السلام) _ ولو طلباً للبركة والعلم والوجاهة بالتقرّب به إلي النبيّ (صلي الله عليه و آله) _ كان كافياً لإثارة الإحَن والحقد عليه والحسد والتحرّك ضدّه.

كتاب يزيد إلي أهل المدينة وردّ الإمام (عليه السلام)

اشارة

ورد في المتون التاريخيّة أنّ يزيد الخمور أرسل كتاباً إلي ابن عبّاس، وفي بعضها إلي أهل المدينة، وقال آخرون: إلي الأشدق، وأمره أن يقرأه علي أهل الموسم، وسوف نستعرضها علي التوالي.

فيكون مجموع ما أفادته النصوص أنّ يزيد القرود كأنّه كتب كتاباً واحداً في نسخٍ متعدّدة، أضاف علي كلّ نسخةٍ منها ما يناسب المرسَل إليه.

وسنأتي علي دراسته من خلال العناوين التالية:

ص: 97

العنوان الأوّل: وقت إرسال الكتاب

اشارة

يمكن تقسيم المصادر حسب ما ورد فيها من الإشارة إلي وقت إرسال الكتاب أو وصوله إلي وقتين:

الوقت الأوّل: إبّان خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي مكّة

أفاد جماعةٌ _ ربّما كان أقدمهم ابن سعد في (ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات) ((1)) _ أنّ يزيد كتب إلي ابن عبّاس يخبره بخروج الحسين (عليه السلام) إلي مكّة، وذيّل كتابه بالأبيات الّتي سنقرأها بعد قليل، غير أنّهم ذكروه في تسلسل سرد الأحداث بعد كتاب الأشدق لسيّد الشهداء (عليه السلام) دون أن يذكروا في كتاب الأشدق الإشارة إلي شهادة مسلم (عليه السلام) ، وكذا بعد كتاب عبد الله بن جعفر (عليهما السلام) ضمن أحداثٍ قريبةٍ جدّاً من خروج سيّد

ص: 99

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

الشهداء (عليه السلام) .

وذكر ابن أعثم في (الفتوح) كتاب يزيد بعد أن ذكر كتاب الأشدق إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة، ويذكر فيه أنّه بلغه عزم الإمام (عليه السلام) علي المسير إلي العراق وشهادة المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) وأنصاره، ويحذّر الإمام (عليه السلام) من التوجّه إلي العراق، ويذكر جواب الإمام (عليه السلام) ، ثمّ يذكر الكتاب مورد البحث بقوله: «وإذا كتاب يزيد ...»، ثم يسرد أحداث انطلاق سيّد الشهداء (عليه السلام) .

وذكر الخوارزميّ أنّ الكتاب أتي من يزيد إلي عمرو بن سعيد يأمره فيه أن يقرأه علي أهل الموسم، ثمّ يقول: «وأتي مثله إلي أهل المدينة من قريش وغيرهم»، ويروي ما رواه ابن أعثم ((1)).

فأجواء سرد الأحداث يفيد أنّ كتاب يزيد وصل إلي أهل المدينة إبان عزم الإمام (عليه السلام) علي الخروج وأوائل انطلاقه نحو العراق، وعند ابن أعثم بعد شهادة المولي الغريب (عليه السلام) ، وستأتي مناقشته عن قريب.

الوقت الثاني: عند نزول الإمام (عليه السلام) في مكّة

أفاد الشجريّ أنّه كتب الكتاب حين لحق الإمام (عليه السلام) بمكّة ((2))، وصرّح

1- أُنظر: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 218.
2- أُنظر: الأمالي للشجري: 1 / 182.

سبط ابن الجوزيّ أنّه كتب يزيد إلي ابن عبّاس لمّا نزل الحسينُ (عليه السلام) مكّة ((1)).

والتعبير ب- (حين لحق) و(لمّا نزل) يفيد أنّه في أوائل قدوم الإمام (عليه السلام) إلي مكّة، ويعضده ما ورد في نسخة ابن سعد من إخبار يزيد أنّ الإمام (عليه السلام) خرج إلي مكّة.

إلّا أن يقال: إنّ المقصود الإشارة إلي ظرف كتابة الكتاب، وهو كون الإمام (عليه السلام) في مكّة، بغضّ النظر عن بيان الوقت علي وجه التحديد، فيمكن الجمع مع المصادر السابقة.

ص: 101

1- أُنظر: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136.

العنوان الثاني: نُسَخ الكتاب

اشارة

يبدو من نصّ ابن أعثم والخوارزميّ أنّ يزيد الخمور والفجور أرسل الكتاب في نسختين:

إحداهما: وجّهها إلي والي مكّة عمرو بن سعيد، وكان المخاطَب الأصليّ فيها جماعة الحجيج، إذ أمره أن يقرأه علي أهل الموسم.

والنسخة الأُخري: وجّهها إلي أهل المدينة، كما هو صريح النصّ.

ولا يُستبعَد أنّ يكون قد بعث النسختين إلي واليه، لتكون واحدةً للموسم في مكّة والأُخري لأهل المدينة، أي: ليقرأها الوالي أو مَن يخوّله علي أهل المدينة، والمقصود الأصليّ في المدينة هو إسماع قريش المدينة وبني هاشم.

ويشهد لذلك ما سنسمعه بعد قليلٍ من ابن سعدٍ وغيره: «وكتب بهذه الأبيات إليه _ يعني ابن عبّاس _ وإلي مَن بمكّة والمدينة من قريش» ((1)).

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

فيكون مفاد مجموع النصوص أنّ أربعة نسخ من الكتاب:

- أُرسلَت واحدةٌ إلي أهل المدينة، بمن فيهم من قريش وبني هاشم.

- والأُخري إلي أهل مكّة.

- وثالثة إلي ابن عبّاس.

- ورابعة إلي الأشدق، ليقرأها علي أهل الموسم.

إلّا أن يُقال: إنّ نسخة أهل مكّة هي نفسها نسخة الأشدق.

النسخة الأُولي: نسخة إلي أهل المدينة وغيرهم

اشارة

قال ابن أعثم:

وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلي أهل المدينة علي البريد من قريش وغيرهم من بني هاشم، وفيه هذه الأبيات:

يا أيّها الراكب الغادي لطيّتِهِ

علي عذافرةٍ في سيره

قحمُ

أبلِغْ قريشاً علي نأْي المزار

بها

بيني وبين الحسينِ

اللهُ والرَّحِمُ

وموقفٌ بفِناء البيت ينشده

عهد الإله وما توفي به

الذممُ

عنّيتمُ قومَكم فخراً بأُمّكمُ

أَمٌّ لَعمري حصانٌ بَرّةٌ

كرمُ

هي الّتي لا يداني فضلَها أحدٌ

بنتُ

الرسولِ وخيرُ الناس قد علموا

ص: 104

وفضلُها لكمُ فضلٌ، وغيركمُ

من يومكم لهمُ في

فضلها قسمُ

إنّي لَأعلم حقّاً غير ما كذبٍ

والطرف

يصدق أحياناً ويقتصمُ

أنْ سوف

يدركْكُمُ ما تدّعون بها

قتلي تهاداكمُ العقبان

والرخمُ

يا قومنا لا

تشبّوا الحرب إذ سكنَتْ

تمسّكوا بجبال الخير

واعتصموا

قد غرّت

الحربُ مَن قد كان قبلكُمُ

من

القرون، وقد بادت بها الأُممُ

فأنصفوا

قومكم، لا تهلكوا بذخاً

فرُبّ ذي بذخٍ زلّت به

القدمُ

قال: فنظر أهل المدينـة إلي هـذه الأبيات، ثمّ وجّهوا بها وبالكتاب إلي الحسـين بن عليّ، فلمّا نظر فيه علم أنّه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الحسين الجواب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. (وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ)، والسلام» ((1)).

وروي الخوارزميّ فقال:

ثمّ أتي كتابٌ من يزيد بن معاوية إلي عمرو بن سعيد، يأمره فيهأن يقرأه علي أهل الموسم، وفيه:

يا أيّها الراكب الغادي لطيّته

علي عذافرةٍ في سيرها

قحمُ

أبلِغْ قريشاً علي نأْي المزار

بها

بيني وبين الحسينِ

اللهُ والرحمُ

ص: 105

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 117.

وموقفٌ ببناء البيت ينشده

عهد الإله، وما توفي

به الذممُ

عنّيتمُ قومَكم فخراً بأُمّكم

أُمٌّ لَعمري حصانٌ

عمّها الكرمُ

هي الّتي لا يداني فضلَها أحدٌ

بنتُ

الرسول، وكلّ الناس قد علموا

وفضلها لكمُ فضلٌ، وغيركمُ

من

قومكم لهمُ من فضلها قسمُ

إنّي أظنّ وخير القول أصدقه

والظنّ يصدق أحياناً

وينتظمُ

أنْ سوف

يترُكُكُمُ ما تدّعون به

قتلي تهاداكم العقبانُ

والرخمُ

يا قومَنا

لا تشبّوا الحرب إذ سكنَتْ

واستمسكوا

بحبال الخير واعتصموا

قد عضّت

الحربُ مَن قد كان قبلكُمُ

من

القرون، وقد بادت بها الأُممُ

فأنصفوا

قومكم، لا تشمخوا بذخاً

فرُبّ ذي بذخٍ زلّت به

القدمُ وأتي مثله إلي أهل المدينة من قريش وغيرهم.

قال الشعبيّ: لَكأنّه ينظر إلي مصارع القوم!

قال: فوجّه أهلُ المدينة بهذه الأبيات إلي الحسين، ولم يُعلِموه أنّها من يزيد، فلمّا نظرها الحسين علم أنّها منه، وكتب إليهم في الجواب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. فإنْ كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم، أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا بريءٌ ممّا تعملون» ((1)).

*****

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 218.

يمكن تناول ما ورد في هذا المتن الّذي ذكره ابن أعثم والخوارزميّ من خلال الوقفات التالية:

الوقفة الأُولي: المخاطَب

يفيد نصّ ابن أعثم أنّ يزيد أرسل الكتاب إلي أهل المدينة، وفي هذا التعبير من الغموض والشـمول والعموميّة ما يجعل المخاطَب مجهولاً تماماً، هـذا غير ما في نفس العبارة من ارتباك: «وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلي أهل المدينة علي البريد من قريش وغيرهم من بنيهاشم»، فما هو المقصود بالضبط من قوله: «من قريش وغيرهم من بني هاشم»؟! فربّما كان شرحاً وتفسيراً للمقصود من أهل المدينة، وكأنّ المخاطَب بالكتاب هم قريش المدينة وبني هاشم، أو أنّ البريد هو من قريش وبني هاشم.

وكيف كـان، فـإنّ في العبـارة ارتباكاً يلوح للناظر، سـيّما إذا لاحظنا أنّ بني هاشم من قريش وليسوا «غيرهم»! وإن كان في ذكر الخاصّ بعد العام تأكيد.

والحال أنّ الّذين نظروا فيه هم أهل المدينة حسب النصّ: «فنظر أهلُ المدينة إلي هذه الأبيات..»، وأنّ الّذي وجّه الأبيات والكتاب هم أهل المدينة: «ثمّ وجّهوا بها وبالكتاب إلي الحسين بن عليّ»..

فمَن ذا الّذي استلم الكتاب مِن أهل المدينة؟

ص: 107

ومَن قرأه؟

ومَن قرّر إرساله؟

ومَن أرسله؟

ومَن كان الرسول؟

ولو كان المخاطَب هم قريش وبنو هاشم علي وجه الخصوص، يبقي المخاطَب مجهولاً عامّاً لم يُحدَّد، فمَن الّذي استلم الكتاب منهم؟ ومَن الذي قرأه؟ ومَن الّذي أرسله إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ؟

الوقفة الثانية: معني النظر في الكتاب

كأنّ قوله: «فلمّا نظر فيه عَلِم أنّه كتاب يزيد بن معاوية» يفيد أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) تأمّل الكتاب الحاوي علي الأبيات، وعلم من خلال قراءته أنّه من يزيد، ومقتضي أن يكون الكتاب مبعوثاً من يزيد أن يكون مختوماً بخاتمه، فلا يحتاج معرفة مرسله إلي النظر في الكتاب!

أجل، قد يُقال أنّ المقصود من (النظر) الرؤية، وهو خلاف ظاهر النصّ.

بَيد أنّ الخوارزميّ الّذي اعتاد نقل المتون التاريخيّة في (المقتل) من كتاب ابن أعثم نقل النصّ نفسه بعبارةٍ أوضح وأكثر تماسكاً، ومع ذلك تبقي فيه بعض الثغرات الّتي لم تعالجها صياغة الخوارزميّ أيضاً.

الوقفة الثالثة: ابتداء القرد بالهجوم

لا يبدو _ حسب النصوص المتوفّرة ومجريات الأحداث المرويّة في المتون التاريخيّة _ أنّ سيد الشهداء (عليه السلام) قد أعلن علي رؤوس الأشـهاد وتكلّم بوضوحٍ وصـراحةٍ بين جموع أهل مكّة وأهل الموسم عن مواجهته للقرد الأُمويّ ووقوفه في صفّ المحارب الّذي يريد أن ينقضّ عليه وعلي حُكمه..

بل لم يتوفّر لدينا نصٌّ يفيد أنّ سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) هاجم القرد، ومارسما يسمّي ب (الحرب الإعلاميّة) ضدّه شخصيّاً كقردٍ أُمويٍّ متميّعٍ خليعٍ علي رؤوس الأشهاد وفي التجمّعات العامّة.

أجل، روي لنا المؤرّخ أنّه ذكر يزيـد بمثالبه عنـد أشـخاص معيَّنين في حـديثٍ خاصٍّ جري بينهم، كحـديثه (عليه السـلام) مع العبدَين ابنِ عبّاسٍ وابنِ عمر في بعض النقول.

فيما أقـدم يزيـد المخمور المسـعور لإعلانه الحرب وتهديده بالإبادة، مُعلِناً ذلك علي أهل الموسم وأهل المدينة وقريش وبني هاشم.. فهو كان يسـعي جاهداً لترويض الناس، وتجييش الغوغاء علي ريحانة النبيّ (صـلي الله عليه و آله) ، لتحقيق غرضه المشؤوم ورسم المشهد في العقول الخاويـة والأذهان الكليلـة الباليـة، من خلال الإعـذار لها وتجريم العـدوّ قبل أن يُقـدِم علي أيّ خطوة، ليتسـنّي له تنفيذ خطّته الّتي رُسمَت له من قبل، والّتي تهدف إلي إبادة آل

النبيّ (صلي الله عليه و آله) وكلّ مَعْلَمٍ من معالم الدين والإسلام والتوحيد ومعدنٍ من معادن الحقّ والهداية..

الوقفة الرابعة: مؤدّي الأبيات

اشارة

لا نريد تناول أبيات العُتلّ الزنيم بالدقّة والدخول في تفاصيل ما هذر به، ونكتفي بالإشارة السريعة إلي أهمّ ما تضمّنته، ونستغفر الله ونعتذر مسبقاً من ساحة القدس الإلهيّ خامسِ أصحاب الكساء (عليه السلام) ، ومن القارئ الكريم، إذأنّ الأبيات فيها من الجسارة وسوء الأدب الّذي ينمّ عن كوامن القرد المخمور، وإنّما اضطرّنا إلي الخوض فيها ضرورة البحث:

المؤدّي الأوّل: كتابٌ أبتر

يبدو من لفظ ابن أعثم أنّ كتاب يزيد كان يخلو من السلام والتحيّة والمقدّمة، وهو _ حسب النقل _ يبتدئ بالأبيات، حيث يُخبر عن وصول الكتاب وفيه هذه الأبيات، من دون الإشارة إلي المخاطَب أو البسملة والحمد والثناء والصلاة علي النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وما شاكل ممّا هو مرسومٌ في مقدّمات الكتب والرسائل، ولا يبدو أنّ الناقل قد اختصر وبادر إلي أصل الموضوع.

وهذا النمط من المكاتبة ينمّ عن مدي غطرسة المرسِل وتجبّره وتكبّره وطغيانه وعتوّه واستكباره، وقل ما شئت من الألفاظ والمعاني الّتي تعبّر عن

مثل هذه الأخلاقيّات المذمومة، ولن تبلغ!

المؤدّي الثاني: تظلّم يزيد!

يتظلّم يزيد الخمور عند قريش، ويشكو إليهم ريحانة النبيّ الإمام الحسين (عليه السلام) ، ويتظاهر بمناشدة الإمام بالله والرحم، ويعاهد الله له، وبكلّ ما يمكن أن توفي به الذمم من قيَمٍ وملزمات..

والحال أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) هو الّذي يتظلّم من فعل القرد المسعوروجِرائه وزبانيته، الّذين لاحقوا الإمام (عليه السلام) وأزعجوه وأخرجوه من وطنه إلي حيث لا مأوي ولا مأمن!

المؤدّي الثالث: حصر مورد المفاخرة

ثمّ سحّت نفسُه بصديد الجاهليّة وأوحالها الّتي نشأ وترعرع وكبر علي قيمها ومفاهيمها، وزعم أنّ أهل البيت (عليهم السلام) عنّتوا قومهم تفاخراً بأُمّهم، تماماً كما يتفاخر شاعرٌ جاهليٌّ علي خصومه أو ينازعهم، وكأن ليس الإمام الحسين (عليه السلام) هو سبط النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وسيّد شباب أهل الجنّة والإمام المنصوب من الله المفترض الطاعة علي الخلق الّذي دلّ عليه النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وكأن ليس الإمام (عليه السلام) بنفسه مفخراً للخلق أجمعين!

ولا شكّ أنّ الافتخار بفاطمة بنت النبيّ أُمّ الحسين حقّ، وقد اعترف به حتّي يزيد وغير يزيد من أسلافه وأتباعه.. بيَد أنّ المراوغة والتلوّن

والالتواء في كلام الوغد أنّه حصر سبب كلّ ما جري علي الإسلام والمسلمين وظلم آل الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) في إلحاحهم بالفخر، بحيث عنّتوا قومهم وأجبروهم علي ما فعلوا نتيجة العنت الّذي لحقهم من مفاخرة آل البيت (عليهم السلام) بأُمّهم (عليها السلام) .

كما أنّه حصر _ إيماءً _ حقّ سيّد الشهداء (عليه السلام) في رفع قامته والوقوف في وجه الطواغيت، وجميع حقوقه الأُخري المسلوبة ومناصبه المغصوبةبفخره بأُمّه، أي: أنّ المسوغ الوحيد الّذي يدعو سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي اتّخاذ أيّ موقفٍ يريده إنّما هو باعتباره يشعر أنّه ابن (أُمٍّ) تختلف عن سائر الأُمّهات، وبها يسمو ويعلو ويرتفع ويقول ما يقول ويفعل ما يفعل..

أجل، أن يكون الإمام الحسين (عليه السلام) ابن بنت النبيّ فاطمة سيّدة نساء العالمين مفخراً، وأيّ مفخر، ولكنّه ليس هو السبب الوحيد، بل لأمر الله وأمر رسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) وتعاليم القرآن وحاجة الإسلام والمسلمين وشخص الإمام المعصوم خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) ، وغيرها من الأسباب الأُخري الّتي فرضت علي الخلق أجمعين الطاعة والتسليم له.. لكنّ القرد المخمور حصر الأمر بافتخارهم بأُمّهم!

المؤدّي الرابع: منازعة مورد التفاخر

يزعم أنّ أهل البيت (عليهم السلام) عنّتوا قومهم فخراً بالزهراء (عليها السلام) ، ثمّ يُقرّ له إقرار مجادلٍ أنّ فضل الزهراء (عليها السلام) يعلمه الناس كلّهم، فلا داعي للتفاخر والتأكيد

علي شيءٍ يُقرّ به الناس جميعاً.

ثمّ يحاول أن ينسب هذا الفخر لنفسه ولغيره، فيقول: إنّ غيركم من قومكم لهم من فضلها قسم. وقد كذب اللعين ودلّس، لكي لا تكون لسيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) خصوصيّةٌ وفخرٌ بالزهراء (عليها السلام) يميّزه عن غيره إلّاقليلاً.

المؤدّي الخامس: التهديد

ثمّ جعل يتوقّع ويرجم بالغيب، ويقول: إنّ الظنّ يصدق أحياناً. في إشارةٍ إلي أنّ ظنّه هذا صادق، وأنّ هذا الفخر سيؤدّي بهم إلي القتل، فتكون أبدانهم طعاماً للعقبان والرخم.

هذا التفاخر الّذي لا يراه ابن آكلة الأكباد إلّا سكرةً تُخمّر الفكر فتجعله لا يبصر العواقب، فيرسم لها العاقبة هو في صورةٍ مفزعةٍ مرعبةٍ تستغرق في التهديد المهول، لأنّها تنتهي بالمتفاخِر إلي أن تمزّق أشلاءه السيوفُ وتتناوشه الرماحُ والأسنّة، فيقع صريعاً تحوم عليه النسور ووحوش الطيور، لتنتهش أجسادهم..

إنّه تهديدٌ صريح، وتصويرٌ وقح، وتعبيرٌ لا يصدر إزاء معادن الطهر إلّا من أولاد البغايا النتنات..

وهو مصرٌّ ومستمرٌّ في تهديده من خلال الأبيات المتتابعة الّتي تصوّر عاقبة مَن حاربوا مِن قبل كما يزعم، وأنّ الحرب قد عضّت السابقين

وأبادت الأمم، ويشهد لذلك قول الشعبيّ الّذي رواه الخوارزميّ كتعليقٍ علي الكتاب: «قال الشعبيّ: لَكأنّه ينظر إلي مصارع القوم»!

ويختم أبياته بالدعوة لإنصاف القوم وتجنّب البذخ، فالبذخ قد يزلّ بهقدم الباذخ.

المؤدّي السادس: العزم علي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) والاعتذار منه

إنّ الأبيات تتضمّن _ بخبثٍ _ إنكار الوصاية والولاية، وحصر أسباب الخلاف في الروح الجاهليّة والتفاخر بالأصل والأُمّهات، وتتضمّن تهديداً صريحاً وقحاً، وتضليلاً للعقول وحرفاً للأذهان، واتّهاماً لسيّد الشهداء (عليه السلام) بالبذخ والبطر والأشر والفساد، وهذا هو بالضبط الّذي نفاه الإمام (عليه السلام) في وصيّته لأخيه محمّد ابن الحنفيّة: «وإنّي لم أخرج أَشِراً ولا بطراً ولا مُفسداً ...».

وتريد أن توحي للناس أنّ يزيد الخليع الماجن قد أعذر وأنذر، وأنّ الحرب قد أقدم عليها سيّد الشهداء (عليه السلام) طلباً للحكم والدنيا، وأنّ ذلك سيتركه قتيلاً تتهاداه العقبان والرخم، وفي ذلك إعلانٌ صريحٌ لما ينويه الخبيث من الإقدام علي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) .

وبعبارةٍ أُخري: إنّ يزيد الخمور كان عازماً علي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وقد أرسل هذا الكتاب إلي أهل المدينة يعتذر إليهم من قتل الإمام (عليه السلام) مقدّماً.

يؤكّد ذلك ما رواه الطبريّ، قال:

دخل عيسـي بن دأب علي موسـي بن عيسـي عنـد منصـرفه من فخّ، فوجده خائفاً يلتمس عذراً مِن قتْل مَن قَتَل، فقال له: أصـلحالله الأمير، أُنشدك شـعراً كتب به يزيد بن معاوية إلي أهل المدينة يعتذر فيه مِن قتل الحسـين بن عليّ (عليه السلام) . قال: أنشِدْني. فأنشده فقال: يا أيّها الراكب الغادي لطيّته ... إلي آخر الأبيات.

قال: فسرّي عن موسي بن عيسي بعضَ ما كان فيه ((1)).

الوقفة الخامسة: جواب الإمام (عليه السلام)

اشارة

بعد أن نظر الإمام (عليه السلام) في الكتاب وعلم أنّه من يزيد، كتب جواباً. قال:

وكتب إليهم في الجواب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. فإنْ كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم، أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا بريءٌ ممّا تعملون» ((2)).

وهنا إشاراتٌ سريعةٌ يمكن التلويح إليها:

الإشارة الأُولي: المخاطَب

يظهر من قوله: «وكتب إليهم في الجواب» أنّ المخاطَب هم أهل

1- تاريخ الطبري: 6 / 420، معجم الأُدباء لياقوت: 16 / 158.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 218.

المدينة الّذين أرسلوا إليه الأبيات.

فيكون المكـذِّب ـ حينئـذٍ ـ هم أهل المدينـة، والآيـة تنطبق عليهم، ويكون أهل المدينـة كأنّهم قد تبنّوا ما في الأبيات، وإنّما اصـطفّوا في صفّالقرود وصاروا يتكلّمون بلسانهم ويزقحون بزقحهم، ويخاطبون الإمام (عليه السلام) بنفس الخطاب الّذي ضمّنه يزيد الخمور في أبياته.

فهم قد عبّروا عن موقفهم تجاه سيّد الشهداء (عليه السلام) من خلال أبيات العتلّ يزيد، فكان الجواب موجَّهاً إليه وردّاً عليهم!

وهـذا يعنّي أنّ إرسال الكتاب من قِبَل أهل المدينـة لم يكن لا بأمر يزيد ولا عملٌ عفويٌّ غير مقصود، وإنّما يكون تعبيراً عن موقفٍ وتحذيراً للإمام (عليه السلام) تبنّاه أهلُ المدينة من خلال هذه الأبيات.

ويمكن أن يكون الجواب موجَّهاً إلي يزيد باعتباره ردّاً علي الخطاب المتضمّن في الأبيات، وهي أبياته.

ولا يمنع أن يكون ردّاً للجميع.

وعلي كلّ تقدير، فإنّ مضمون الجواب واحدٌ بغضّ النظر عن المخاطَب.

الإشارة الثانية: مضمون الجواب

لقد أجاب الإمام (عليه السلام) بآيةٍ واحدةٍ فقط، وهي الآية 41 من سورة يونس، ولم يزدْ علي ذلك شيء.

ص: 116

وخلاصة مؤدّي الآية الشريفة _ كما قال الفيض الكاشانيّ _ :

(وإِنْ كَذَّبُوكَ): وإن يئست من إجابتهم، وأصرّوا علي تكذيبك، (فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُوَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ): لا تُؤاخَذون بعملي، ولا أُؤاخذ بعملكم، يعني: تبرّأْ منهم وخلِّهم، فقد أعذرتَ إليهم ((1)).

وقال السيّد الطباطبائيّ صاحب (الميزان):

قوله (تعـالي): (وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ) إلي آخر الآيـة، تلقينٌ للتبرّي علي تقـدير تكـذيبهم له، وهو من مراتب الانتصار للحقّ ممّن انتهض لإحيائه، فالطريق هو حمل الناس عليه إن حملوا، وإلّا فالتبرّي منهم لئلّا يحملوه علي باطلهم.

وقوله: (أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) تفسيرٌ لقوله: (لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ) ((2)).

الإشارة الثالثة: تطبيق الآية علي المقام

تفيد الآية أنّ ثمّة تكليفٌ يتلخّص في ترك أهل الباطل والإعراض عنهم وعدم الاصـطدام بهم، وليعمل كلٌّ علي طريقته ويسير بسيرته، فلا يفرض

ص: 117

1- تفسير الصافي للكاشاني: 2 / 403.
2- الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي: 10 / 68.

الباطلُ نفسَه علي الحقّ، ويتبرّأ الحقُّ من الباطل وفعله.

بمعني: اتركوني وشأني، وأترككم وشأنكم، فلاـ أنتم تقبلون حقّي، ولاأنا أركع لباطلكم، وأنا أتبرأ من عملكم، وأنتم تبرّؤون من عملي، وأنا مسؤولٌ عمّا أعمل، وأنتم مسؤولون عمّا تعملون، وكلٌّ يتحمّل ما يترتّب علي عمله..

سواءً أكان المخاطَب أهل المدينة الّذين أرسلوا الأبيات إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) أو يزيد الخمور الّذي كتبها، فإنّ موقف الإمام (عليه السلام) الّذي يرسمه الاستشهاد بهذه الآية كجوابٍ يعني أنّي سأبقي ملتزماً بالحقّ، فلا أُبايع، وأنتم افعلوا ما تشاؤون من الخذلان أو اقتحام الهلكة بقتلي، فإن كنتم تريدون سفك دمي والهجوم علَيّ فإنّي لا أُعطيكم بيدي ولا أُؤثر طاعة اللئام علي مصارع الكرام..

فالأبيات _ كما هو واضحٌ _ تحمل التهديد الصريح بالقتل، وتحويل الرجال إلي طعامٍ تنتهشه مناقير الرخم والعقبان الحادّة، وتحذّر من الحرب، والإمام (عليه السلام) يجيب بما يشبه الصريح من خلال تطبيق الآية أنّه لا يقصد الحرب، وإنّما هو عازمٌ علي أن يتمسّك بحقّه ويعتزل الباطلَ وأهلَه.

الإشارة الرابعة: تحديد مصداق المكذّب

الاستشهاد بالآية الكريمة يفيد أنّ المخاطَب بالكتاب مصداقٌ ينطبق عليه عنوان المكذّب بالدين وبالرسل والأنبياء والأوصياء، ولا يبعد أن

يكون لفظ الجمع الوارد في قوله (تعالي): (وَإِنْ كَذَّبُوكَ) يفيد أنّالمخاطَب هو يزيد وأهل المدينة الّذين أرسلوا الكتاب، وأنّهم جميعاً اشتركوا في التكذيب ومحاربة الحقّ وأهله.

الإشارة الخامسة: ازدراء المخاطَب

بملاحظة ما ذكرناه قبل قليلٍ في المؤدّي الأوّل، يكون ردّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) بالمِثل علي مَن كتب ومَن أرسل الكتاب، فقد بدأ يزيد الفجور والخمور كتابه بالأبيات من دون حتّي البسملة كما هو معهود، ولا الحمد والثناء ولا تحديد المخاطَب.

فجاء جواب سيّد الشهداء (عليه السلام) علي نفس النسق، إلّا فيما يخصّ الخلُق العظيم الّذي امتاز به الأئمّة الطاهرون (عليهم السلام) ، فهو قد ابتدأ الرسالة بالبسملة، لتكون بدايةً للرسالة وبدايةً لتلاوة الآية المباركة.

بَيد أنّ الإمام (عليه السلام) ازدري المخاطَب بكتابه، سواءً كان يزيد أو أهل المدينة أو هما معاً، فلم يبدأهم بتحيّة، ولا أيّ مقدّمةٍ من مقدّمات الكتب المعهودة.

بل يُلاحَظ أنّه ازدري يزيد إلي حدٍّ لم يذكره أبداً ولا بالاسم، ولم يجعله بمستويً يمكن أن يوجّه إليه الخطاب، فهو أقلّ وأحقر وأدون من أن يكون مخاطَباً أو ينهض لمقابلة سيّد الشهداء (عليه السلام) .

وكما خلا كتاب ابن هند من التحيّة والسلام، فقد ردّ عليه ابن سيّدة

نساء العالمين (عليها السلام) بالمِثل، فلم يسلّم عليه ولا علي مَن كتب إليهم الكتاب.

ص: 120

النسخة الثانية: نسخة إلي ابن عبّاس

اشارة

روي ابن سـعدٍ وتبعه ابنُ عساكر وابن بـدران وابن منظور وابن العـديم وابن كثير والمزّي نصَّ الكتاب الّذي بعث به القرد المخمور إلي ابن عبّاس وجواب ابن عبّاس عليه، فقالوا:

وكتب يزيد بن معاوية إلي عبد الله بن عبّاس، يُخبره بخروج الحسين إلي مكّة:

ونحسـبه جاءه رجالٌ من أهل هـذا المشـرق فمنّوه الخلافة، وعندك علمٌ منهم خبرةً وتجربة، فإن كان فعل فقد قطع واشج القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكففْه عن السعي في الفرقة.

وكتب بهذه الأبيات إليه وإلي مَن بمكّة والمدينة من قريش ... ((1)).

ص: 121

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

ثمّ ذكر الأبيات الّتي سمعناها قبل قليل..

وروي الخبر الشجريّ مسنداً عن مجاهد ((1)) بشيءٍ من التفصيل، فقال:

لمّا امتنع الحسين (عليه السلام) وابن الزبير من البيعة ليزيد بن معاوية ولحقا بمكّة، كتب يزيد بن معاوية (لعنهما الله تعالي) إلي ابن عبّاس:

أمّا بعد، فإنّ ابن عمّك حسيناً وعبد الله بن الزبير لحقا بمكّة مرصدين للفتنة، معرّضي أنفسهم للهلكة.

فأمّا ابن الزبير: فهو صريع القنا وقتيل الله (عزوجل) .

وأمّا الحسين: فإنّي قد أحببتُ الإعذار إليكم أهل البيت فيما كان منه، وقد بلغني أنّ أقواماً من أهل الكوفة يكاتبونه، يمنّونه بالخلافة ويمنّيهم الإمارة، وقد علمتَ واشج ما بيني وبينكم من القرابة والإصارة والرحم، وقد قطع ذلك ابن عمّك حسينٌ وبَتّه،

1- وبه: قال: أخبرنا القاضي أبو القاسم عليّ بن المحسن بن عليّ التنوخيّ، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أحمد الدرويّ الورّاق من أصل كتابه يوم الثلاثاء لإحدي عشرة ليلةٍ خلت من شعبان سنة اثنتين وسبعين وثلاثمئة، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن القاسم بن نصر، قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ، قال: حدّثنا محمّد بن الحكم الشيبانيّ، عن أبي مِخنَف، عن الحارث ابن كعب الأزديّ، عن مجاهد قال: ...

وأنت كبير أهل بيتك وسيّد أهل بلادك، فألقِه، فاكففْه عن الفرقة ورَدِّ هذه الأمّة في الفتنة، فإن أقبل وأناب إلي قولك فنحن مجرون عليه ما كان نجريه علي أخيه، وإن أبي إلّا أن نزيده فزِدْه ما أراك الله، واضمن ذلك علينا ننفذ ضمانك، ونُعطه ما أحبّ من ذلك الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدةوما تطمئنّ إليه إن شاء الله (تعالي)، والسلام ((1)).

ورواه سبط ابن الجوزيّ عن الواقديّ، فقال:

ولمّا نزل الحسين مكّة، كتب يزيد بن معاوية إلي ابن عبّاس:

أمّا بعد، فإنّ ابن عمّك حسيناً وعدوّ الله ابن الزبير التويا ببيعتي، ولحقا بمكّة مرصدين للفتنة معرّضين أنفسهما للهلكة.

فأمّا ابن الزبير: فإنّه صريح الفناء وقتيل السيف غداً.

وأمّا الحسين: فقد أحببتُ الإعذار إليكم أهل البيت ممّا كان منه، وقد بلغني أنّ رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم، ويمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمرة، وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبتّه، وأنت زعيم أهل بيتك وسيّد أهل بلادك، فألقِه فاردده عن السعي في الفرقة ورُدَّ هذه الأُمّة عن الفتنة، فإن قَبِل منك وأناب إليك فله عندي الأمان والكرامة الواسعة، وأُجري

1- الأمالي للشجري: 1 / 182.

عليه ما كان أبي يجريه علي أخيه، وإن طلب الزيادة فاضمنْ له ما أراك الله، أَنفذْ ضمانك وأقوم له بذلك، وله علَيّ الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة بما تطمئنّ به نفسه ويعتمد في كلّ الأُمور عليه.عجّلْ بجواب كتابي وبكلّ حاجةٍ لك إليّ وقِبَلي، والسلام.

قال هشام بن محمّد: وكتب يزيد في أسفل الكتاب: ...

ثمّ ذكر الأبيات الّتي سمعناها قبل قليل ((1))..

*****

يمكن أن نتناول ما في هذه النسخة من خلال الإيضاحات التالية:

الإيضاح الأوّل: اتّحاد نُسَخ الكتاب!

قال ابن سعدٍ وغيره بعد أن روي نصّ كتاب ابن عبّاس:

وكتب بهذه الأبيات إليه وإلي مَن بمكّة والمدينة من قريش: ...

ثمّ ذكر الأبيات الّتي سمعناها قبل قليل ((2))..

1- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

2- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

وهو يفيد أنّ الأبيات كانت مشتركةً في نُسَخ الكتاب إلي ابن عبّاسٍ وإلي مَن بمكّة والمدينة من قريش، وإنّما أضاف في نسخة ابن عبّاس ما يخصّه من تكليفٍ ومهمّة!

الإيضاح الثاني: محاولة استبدال الرموز

كانت السقيفة بحاجةٍ إلي غطاءٍ شرعيٍّ يمكن أن يؤمّن لها البقاء فيدائرة النبيّ وآله، فجهدت علي بناء وجودٍ له علاقةٌ نَسَبيّةٌ قريبةٌ بالنبيّ (صلي الله عليه و آله) ، فجعلَت العبّاسَ عمّ النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) من أهل البيت، وابنَه عبدَ الله من أهل البيت، ونفخت فيه وضخّمَتْه حتّي صار حَبْرَ الأُمّة، وترجمان القرآن، وصاحب علم النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وغيرها من الألقاب الّتي سُرقَت من أمير المؤمنين (عليه السلام) ! وعلّقت علي ابن عبّاس ليكون المنافس والبديل عن أهل البيت (عليهم السلام) ، ويمكن الرجوع إليه والاستناد عليه والأخذ عنه، فلا ينحصر الأمر في العَلَم الّذي نصبه الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) للأُمّة!

والحال أنّ ابن عبّاس كان في حياة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) صبيّاً أو غلاماً غير يافع، فمِن أين أخذ؟ وكيف روي كلّ هذه الأعداد الهائلة من الحديث؟! وإن كان أخذها من أمير المؤمنين (عليه السلام) ونسبها إلي النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) مباشرةً بحذف الواسطة أو بذكرها، فهو إذن عيالٌ علي أهل البيت ((1)).

1- هذا البحث مفصَّلٌ وله شواهده وأدلّته المتينة، وليس هذا موضع ذِكرها.

ويُلاحَظ في سلوك رجال السقيفة الأصليّين وقرودها _ بما فيهم يزيد _ وأتباعها _ بما فيهم المؤرّخ الخؤون _ وابن عبّاسٍ نفسه، أنّهم يحاولون تقديم ابن عبّاسٍ كزعيمٍ وكبيرٍ لبني هاشم، وعلي ذلك شواهد كثيرةٌ جدّاً في التاريخ، منها هذه الرسالة الّتي يخاطب فيها يزيدُ ابنَ عبّاسٍ باعتباره: كبير أهل البيت، والمنظور إليه، وسيّد أهل البلد..

وليس الأمر كذلك، فابن عبّاسٍ لا يكبر الإمام الحسين (عليه السلام) من حيثالسنّ كثيراً، فهو إمّا مِن لدته، أو أكبر منه بسنتين أو ثلاث، لا أكثر.

ومن حيث الثِّقل الدينيّ والاجتماعيّ والنَّسَبيّ والعشائريّ، فلا يُقاس بابن رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) وسبطه وريحانته، وابن أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين (عليها السلام) ، وأخي الحسن المجتبي الأمين (عليه السلام) ، وأبي الأئمّة الميامين (عليهم السلام) ..

بَيد أنّ يزيد الخمور يصرّ في محاولةٍ بائسةٍ وقحةٍ أن يعرض ابن عبّاس باعتباره كبير أهل البيت الّذي يتظلّم عنده، ويشكو الإمام الحسين (عليه السلام) ، وعليه أن يوظّف نفوذه ككبير قومٍ في التأثير علي الإمام الحسين (عليه السلام) الّذي يحتاج إلي مَن يرشده ويسدّده ويعلّمه من الكبار!!!

وأنت كبير أهل بيتك.. وأنت زعيم أهل بيتك.. وسيّد أهل بلدك.. والمنظور إليه.. فإنّي قد أحببتُ الإعذار إليكم أهلَ البيت فيما كان منه. يعني الإمام الحسين (عليه السلام) !!

ص: 126

مقابل هذه الألقاب الرنّانة الضخمة يشكو إليه سيّد شباب أهل الجنة (عليه السلام) في صورةٍ لا يجرؤ المرء علي بيانها، ويمكن للمتأمّل في متن كتابه هذا وغيره من المواضع أن يري تفاصيلها.

الإيضاح الثالث: تصوير سلطة ابن عبّاس علي الإمام (عليه السلام)

حينما يخاطِب يزيدُ ابنَ عبّاسٍ باعتباره الزعيم والكبير والشيخ والمنظور إليه، ويوحي إليه أنّ ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وخامس أصحاب الكساء (عليه السلام) أحد أفراد زعامته ومشيخته الّذين ينظر إليهم ابن عبّاس ويحكمهم، لأنّه كبيرهم، فمن الطبيعيّ أن يقول له: «فاكفُفْه»، وكأنّ لابن عبّاس السلطة علي الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، وهو قادرٌ علي كفّه وردعه والتصرّف فيه؛ لأنّه يتحمّل مسؤوليّته باعتباره أحد أهل البيت الّذين يتزعّمهم ابن عبّاس، ولذا فهو يعتذر إليهم من سلوك أحد أفرادهم.

فالإمام الحسين (عليه السلام) ـ كما يريد تصويره يزيد (لعنه الله) ـ شخصٌ ثانويٌّ يتصرّف كفردٍ عاديٍّ من أهل البيت، وعلي كبيرهم وزعيمه أن يكفّه، فإن لم يكفّه فلا يعتب فيما بعد!!!

ولا نريد أن نفتح الكلام أكثر لما يصوّره القرد المخمور، ونستغفر الله!

وربّما كان هذا ممّا جرّأ ابنَ عبّاس، فجعله يتكلّم بوقاحةٍ مع إمام زمانه، فيحاول منعه عن المسير، ولو بشبك يده في شعر رأسه!!!

ص: 127

الإيضاح الرابع: يزيد يكلّف ابن عبّاس بالمهمّة

بايع عبدُ الله بن عبّاس يزيد وهو في مكّة ((1))، وأمر بمبايعته ((2)).. فدخل فيما دخل فيه الناس، وألزم نفسه الطاعة، فوظّفه يزيد القرود ليبثّ من خلاله ما أراد إلصاقه بسيّد الشهداء (عليه السلام) واتّهامه أنّه إنّما خرج ليطلب المُلك والخلافة ويواجه السلطة ونظام الحكم القائم، ليمهّد لقتله من خلال المسوّغات الّتي يسوّقها إلي الناس، باعتباره نازع القوم سلطانهم فاستحقّ القتل، والملكُ عقيم، وأمره أن يلقي الإمام (عليه السلام) ويكفّه حسب زعمه، ومنحه الصلاحيّات في مفاوضته وتقديم ما يحسبه القرد مُرغّباً يستهوي به إمام الحقّ _ والعياذ بالله _ فيميل إلي الباطل ويبايع.

فكتب يزيد إلي ابن عبّاسٍ يأمره أن يلقي سيّد الشهداء (عليه السلام) : «فالقِه»، ويكفّه عن السعي في الفرقة، وردّ هذه الأُمّة في الفتنة..

وهذا الكتاب الواصل من يزيد يُعَدّ مرسوماً خوّل من خلاله ابنَ عبّاس، وكلّفه بمهمّةٍ رسميّةٍ مِن قِبَل السلطان، تتوفّر علي ما يحتاج إليه من صلاحيّاتٍ لكفّ الإمام (عليه السلام) ومنعه والتصدّي له بأيّ وسيلة.

1- أُنظر: الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 1 / 173، تاريخ الطبري: 5 / 343، الكامل لابن الأثير: 3 / 265، نهاية الإرب للنويري: 20 / 3852، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 151.

2- أُنظر: الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 1 / 173.

وأقلّ ما يُقال فيه: إنّه تخويلٌ رسـميٌّ للقيام بالوساطة، كما يُعبَّر عنه في هذه الأيام.وإنْ أبي إلّا أن نزيده فزده ما أراك الله، واضـمن ذلك علينا ننفذ ضمانك، ونُعطه ما أحبّ من ذلك الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة وما تطمئنّ إليه إن شاء الله (تعالي) ((1)).

وإن طلب الزيادة فاضـمن له ما أراك الله، أُنفـذ ضـمانك وأقوم له بـذلك، وله علَيَّ الأيمان المغلّظـة والمواثيق المؤكّدة بما تطمئنّ به نفسـه ويعتمد في كلّ الأُمور عليه. عجّلْ بجواب كتابي وبكلّ حاجةٍ لك إليّ وقِبَلي ((2)).

وبهذا منح يزيد لابن عبّاس كافّة الصـلاحيّات، وخوّله تخويلاً مفتوحاً لتقديم الوعود الّتي يراها مناسبة، وقد ضمن له ما سيضمنه هو للإمام (عليه السلام) ، وقدّم له الأيمان المغلّظة الّتي يطمئنّ لها ابن عبّاس.

وقد قبل ابن عبّاس هذه المهمّة ووعد بالمباشرة:

فاستجاب له ابن عبّاس، ووعده أن لا يدع النصيحة فيما يجمع الله به الأُلفة والكلمة ويُخمد به الفتنة!!! ويحقن به دماء الأُمّة

ص: 129

1- الأمالي للشجري: 1 / 182.
2- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

ويطفئ النائرة! ((1))

وقال: وسألقاه فيما أشرتَ إليه ((2)).

ومضـي فيهـا بكـلّ مـا أُوتيَ من قوّة، وبـذل فيهـا جهـده، وكـأنّه اقتنع أنّه كبير أهـل البيت وزعيمهم، والمخوَّل للأـمر والنهي فيهم، والقادر عليصـدّهم ومنعهم عمّـا لا يريـد ولا يري، حتّي صار يتكلّم مع الإمام (عليه السـلام) كأنّه النـدّ، بل كأنّه الكبير الّـذي ينبغي للإمام (عليه السـلام) أن يطيعه، كما هو واضـحٌ لمن راجع نصوص الحوارات الّتي دارت بينهما، وشاهـد المواقف الّتي وقفها ابن عبّاسٍ مع الإمام (عليه السلام) ، وتصريحاته في تقييم موقف الإمام (عليه السلام) معه بعد أن عجز عن ثنيه عن الخروج من مكّة.

فربّما يُسـتفاد من هـذا الكتاب أنّ اعتراضات ابن عبّاس ولقاءاته بالإمام (عليه السـلام) إنّما كانت تنفيـذاً للأوامر الصادرة إليه من يزيـد، ولا يمنع أن

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسـين (عليه السـلام) من الطبقات لابن سـعد: 59، تاريـخ مدينـة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164، سيَر أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 304، الأمالي للشجري: 1 / 182، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

2- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

تكون له شخصيّاً دوافع ذاتيّة أيضاً.

الإيضاح الخامس: هجوم العدوّ

لم يبدر من سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) لا في المدينة ولا في مكّة أيّ سـلوكٍ أو تصريحٍ هجوميّ أو تعرّضٍ للسلطة ولا للأُمويّين كحكّام، وغاية ما فعله _ بشهادة جميع النصوص التاريخيّة _ أنّه امتنع عن البيعة امتناعاً أكيداً شديداً، غير قابل للمسامحة ولا المساومة، وحينما هُدّد بالقتل إذ امتنع خرج من المدينة، ثمّ من مكّة، وأقصي ما يُستفاد من أجوبته في جميع المراحل:

إنّه لا يعطي الدنيّة، وسيختار القتل الكريم علي البيعة الذليلة الصاغرة..

هذا هو موقف الإمام (عليه السلام) إلي يوم وصول كتاب يزيد إلي ابن عبّاس!

فيما يعتبر القرد المسعور يزيد مجرّد ما يسمّيه هو (الالتواء بالبيعة)و(الخروج إلي مكّة) إرصاداً للفتنة، وتعرّضاً للهلكة، وتسبيباً للفرقة، وشقّاً للعصا، وموجباً للقتل المبرّر المعذور.

فهو لم يذكر أيّ نشاطٍ لسيّد الشهداء (عليه السلام) يستدلّ به علي ما ذهب إليه سوي أنّه التوي بالبيعة ليزيد القرود ولحق بمكّة، واستنتج أنّه يرصد بذلك للفتنة ويعرّض نفسه للهلكة..

فلا خُطَب، ولا تجييش، ولا تصريحات مهيّجة، ولا تجمّعات، ولا

تحريك مجتمعات، ولا أيّ دليلٍ آخَر يمكن أن يـذكره القرد الهائج الطاغي سوي أنّه (التوي علي بيعته ولحق بمكّة)، وما سـيذكره بعد قليلٍ من المكاتبة بينه وبين بعض الرجال من شيعة الإمام الحسين (عليه السلام) من أهل العراق.

وبهذا أراد يزيد الخمور أن يبرّر هجومه علي ريحانة النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سـلم) وتولّعه في الولوغ بدمه المقدّس الزاكي، إذ أنّه ابتدأ التهديـد والهجوم، وراح يُلقي باللائمـة علي سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ، فزعم أنّه ابتدأ بالتحرّك ضدّه، والحال أنّ مجريات الأحداث لم تسجّل علي سيّد الشهداء (عليه السلام) أيَّ موقفٍ زعمه اللئيم كذباً في تلك الأيام، بل لم يستدلّ بها هو نفسه في كتابه لابن عبّاس أو لغيره.

الإيضاح السادس: وضع الإمام (عليه السلام) وابن الزبير في موقفٍ واحد

شنشنةٌ نفثتها السقيفة منذ أن جرّت الدواهي علي الإسلام وعلي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وخليفة رسول ربّ العالمين (صلي الله عليه و آله و سلم) ، حتّي صار يُقرَن بتلك النظائر!

وهكذا عمل القرد الهائج في ظِلال السـقيفة، حتّي صار يقرن إمامَ الخلق بأمر الله وسـيّد شـباب أهل الجنّة وخامس أصحاب الكساء (عليه السلام)

ص: 132

بابن الزبير!

فإنّ ابن عمّك حسيناً وعبد الله ابن الزبير لحقا ...

حسب رواية الشجريّ وسبط ابن الجوزيّ.

ثمّ يكتفي بتكليف ابن عبّاسٍ بمهمّة التعامل مع الإمام الحسين (عليه السلام) ومعالجة الموقف معه، إذ أنّه يعتبر نهاية ابن الزبير وخاتمته معلومة، وليس ثَمّة من يطالب له إذا قُتل، ولا يحتاج للاعتذار من قتله إلي أحد..

فإمّا ابن الزبير: فهو صريع القنا وقتيل الله.

وفي لفظ سبط ابن الجوزيّ:

فإنّه صريع الفناء وقتيل السيف.

هذا هو التضليل والخداع، وقلب الموازين، وتزييف الحقّ وتمويه الباطل، إذ يوحّد يزيد اللئيم الصورة، ويحشر فيها خير الخلق وشرّ الخلق، والحقّ المطلق والباطل النزق، ويصوّرهما في صفٍّ واحد، ويُجري عليهما حكماً واحداً، بَيد أنّه يتريث مع سيّد الشهداء (عليه السلام) بمقدار ما يسعي به ابن عبّاس.

فهو يوحي من خلال هذا الدمج المشوّه إلي المتلقّي أنّ يزيد الخمور هو الحقّ، وهو الحاكم الإلهيّ، وأنّ ابن الزبير من العُصاة العتاة المردة الّذين يأمر الله بقتلهم، لشقّهم العصا وتفريقهم الأُمّة، ثمّ يُجري ذلك علي سيّد الشهداء وريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) .

نستغفر الله ونستجير به وبآل بيت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) من هذا التصوير!

ص: 133

وربّما أفاد أنّ ابن الزبير يقدّم لهم الذرائع الكافية لقتله، من خلال تمرّده وإعلانه الخروج عليهم وسعيه المكشوف للاستئثار بالسلطة ومجاهرته في طلب الدنيا، أمّا سيّد الشهداء (عليه السلام) فليس ثَمّة ذريعةٌ في قيامه من هذه الذرائع.

الإيضاح السابع: النزاع علي السلطة

يبدو من نصّ الكتاب أنّ القضيّة محصورةٌ عند يزيد القرود بالمُلك فقط، والمُلك عقيم، فلا يريد أن يري له منازعاً في ذلك، فالقصّة كما يرويها يزيد المخمور أنّ جماعةً (منّوا الإمام بالخلافة، ووعدهم هو (عليه السلام) بالإمارة)، وقد قبل منهم هذا الوعد، وسعي إليهم، وبهذا نازع يزيد مُلكه، وغضّ النظر عن واشج القرابة والرحم والحرمة، وبالتوائه عن البيعة،والتحرّك لسلب الملك من يزيد القرود قطع الإمام _ حسب زعم يزيد فضّ الله فاه _ الرحم وبَتّه..

لا تسمع في كلامه سوي حديث المُلك والسلطان، والعلاقات القبليّة والعشائريّة، وكأنْ لا نبيّ بُعث، ولا قرآن نزل، ولا دين شُرّع، ولا خلافة ولا وصاية.

وكانت أُنشودته الّتي يتغنّي بها:

لعبت هاشمُ بالمُلك فلا

خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلْ

ص: 134

الإيضاح الثامن: الافتراء علي الإمام (عليه السلام)

اشارة

تضمّن الكتاب جملةً من الافتراءات والأكاذيب الخطيرة جدّاً الّتي رمي بها القردُ القاذورة معدنَ الطهر ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) بكلّ صراحةٍ ووقاحةٍ ودناءةٍ لتحقيق أغراضه المشؤومة، وسنتابعها من خلال الإشارة إلي ما تضمّنَته من مخازٍ وآفاتٍ ودنيّةٍ ورذائل وعارٍ وشنارٍ وصغار، علي قائلها لعائن الله:

الدنيّة الأُولي:

تضمّن الكتاب جملةً من الافتراءات والأباطيل الّتي ينبغي أن تُعالَج كلُّ واحدةٍ تحت عنوان، لولا أنّها أكاذيب مستهلكة ممجوجة تافهة رخيصة، يعلم مَن يُطلقها قبل مَن يسمعها أنّها كذبٌ وافتراءٌ ومكرٌ وختلٌ وعتوٌّ وطغيانٌ علي الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) وأهل بيته (عليهم السلام) .

إنّ القوم منذ يوم السقيفة وقبلها أسرعوا في قلب الموازين ونكس القيَم، ولبس الدين لبس الفرو مقلوباً، وتحريف القرآن ومعانيه، وتشتيت القلوب والأذهان، وتهديم بناء العقل البشريّ والبناء النفسيّ والروحيّ والعاطفيّ الّذي بناه سيّد الأكوان وأشرف الخلق النبيّ محمّد الأمين (صلي الله عليه و آله و سلم) ووصيّه الناصح، وبناء عقلٍ حشوه الشرك وطلاؤه الإسلام، يرضي بالمتناقضات ويخنع للترّهات، فزيّفوا وحرّفوا وشكّكوا، ودخلوا قرية الدين

فدمّروها تدميراً، وهذا هو شأن الملوك والطواغيت إذا دخلوا قرية..

فنثروا هـذا البيـدر العفن من الأكاذيب والقيَم الزائفـة الباطلـة، ودار حمار طاحونتهم علي نفس المنوال، فجعلوا عصـيانهم عصا الطاحونة، وجعلوا القلوب الّتي تطحنها فتحوّلها إلي دقيقٍ مسمومٍ يعادي الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) ويبغض أهل بيته (عليهم السلام) ، وجعلوا أصنامهم هو الحبل الّذي ينبغي التمسّك به مقابل حبل الله الممدود بين الله وبين عباده (كتاب الله والعترة).

وقـد جهد الأعداء علي تصوير ذلك وتسويغه يوم سـلبوا الإسـلام عزّتهوبزّته، وأخّروا مَن قدّمه الله ورسوله (صـلي الله عليه و آله و سـلم) وقدّموا الذنابي، واغتصبوا حقّ أمير المؤمنين (عليه السلام) فعبدوا العِجْل بأمر السامريّ من دون الله..

فجعلوا أيّ مطالبـةٍ بالحقّ المغصوب ولو بالكلمـة شـقّاً للعصا وتفريقاً للجماعـة، وسـمّوا العام الّـذي خـذل الناس فيه ريحانـة النبيّ الإمام المجتبي (عليه السـلام) وأفلتوا من التمسّك بالعروة الوثقي واسـتبدلوا غصن شـجرة طوبي بعود الشـجرة الملعونـة في القرآن (معاوية): عام الجماعة!

والكلام في هذا يطول، وقد أتينا عليه في مواضع كثيرة من كتاب (المولي الغريب مسـلم بن عقيل (عليهما السـلام) _ وقائع السـفارة)، وقد جاء في موضعٍ منه عند ذِكر المحاججة بينه وبين ابن الأَمة الفاجرة _ حينما دخل عليه القصـر قبل شهادته، وافتري عليه الجرو الأُمويّ بهذه الافتراءات _ ردٌّ عنيفٌ من المولي الغريب (عليه السلام) ، ردٌّ أتي علي بنيانه من القواعد وصعقه، وأبان الحقّ

وكشف الدجي بنيّر كلماته الّتي أثبت فيها أنّ ابن زيادٍ ومَن سلّطه علي رقاب المسلمين هم الّذي شقّوا العصا وفرّقوا الكلمة وشتّتوا الجماعة ((1)).

الدنيّة الثانية:

إنّ مَن تسلّط علي الناس بالحيلة والغلبة والقهر، ولم تكن الأُمّة مُجمعةٌعليه، فهو لم يصل إلي سدّة الحكم والسلطان بجعلٍ وتسديدٍ من الملِك المنّان، بل اختلسها اختلاساً، وغصبها غصباً من الولي الّذي جعله الله إماماً مفترض الطاعة وأَولي بالمؤمنين من أنفسهم، والإمام العدل الّذي جعل الله له الولاية علي الخلق لم يُخلَع، ولن يُخلع بالغلبة والحيلة، ولم تسقط ولايته بإعراض جميع الخلق عنها، كيف وقد كان فيهم الكثير ممّن يعتقد بها ويدين الله بإمامته وحاكميّته وولايته!

فيزيد ـ ومَن سبقه وحمله علي رقاب الناس ـ لا يمكن أن يكون إماماً مجعولاً من الله، وإنّما أخذها بالغلبة والقهر والحيلة والغدر، فلا هو منصوبٌ بالنصّ من الله (تعالي)، ولم يجتمع عليه مَن يسمّونهم بأهل الحلّ والعقد، ولا أفرزته شوري، ولا اجتمعت عليه الأُمّة.. فبأيّ معيارٍ استولي علي الحكم؟ ومن أيّ شريعة استمدّ قوّة السلطان؟

فإذا كان الإمام وصيّ النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وخليفته الإمام الحسين والحسن

1- أُنظر: مسلم بن عقيل، وقائع السفارة (المجموعة الكاملة): 6 / 239 وما بعدها.

المجتبي (عليهما السلام) ومن قبلهما الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وسيّد الوصيّين هم أئمّة الحقّ المنصوص عليهم من الله والمفروضة طاعتهم بنصّ رسول الله، فمخالفهم يُسمّي خارجيّاً مفارقاً للجماعة وشاقّاً للعصا!

الدنيّة الثالثة:

معاوية _ ومن سبقه _ ليس بخليفة، وبالأولويّة لم يكن ابنه يزيد خليفة،لأنّ معاوية لم يأخذ الحكم وفق شريعةٍ أقرّها الإسلام، ولا نصّ عليها النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، ولا ارتضاها ربّ العالمين، فكيف يخلّف عليها ابنه؟! أضف إلي ذلك أنّ وثيقة الصلح قد نصّت علي عدم توريثه.

والإمام الحسين (عليه السلام) هو الخليفة بالحقّ، والوصيّ المنصوب عليه، فمَن تمسّك به وأطاعه فهو في طاعة الله، ومَن خالفه فقد هوي وغرق وشقّ العصا.

الخارجيّ هو معاوية ويزيد وابن زياد، ومَن تبعهم ولهث خلفهم ولحس قيأهم..

أمّا الإمام المعصوم، فهو الصراط المستقيم، ومَن كان في طاعة الحسين (عليه السلام) فهو في طاعة ربّ العالمين، فهو المحور وبهم الجماعة، ومن فارقها شبراً أو فتراً أو أقلّ من ذلك فقد شقّ العصا ودعا إلي الفرقة وشتّت الكلمة، ورجع إلي الجاهليّة القهقري، وأكبّه الله منكوساً في جهنّم واللظي.

وهذه هي سنّة الله وسنّة نبيّه (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وليس كما يصوّره يزيد وأسياده،

والإمام الحقّ المنصوب من الله هو الجماعة، وبه ومعه تكون، وكلّ من خالف سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) وقاتله وأعان عليه فهو خارجيٌّ خرج علي إمام زمانه.

الدنيّة الرابعة:

يزيد وأسلافه هم أتون الفتنة، وكانون النار الخبيثة المشتعلة من عظام الأبرياء والمؤمنين والأتقياء، ولهيب العار الّذي يشرّد بالناس في عقائدهم وأفكارهم ودينهم وكتابه ونبيّهم وإمامهم، لقد كذبوا علي الله ورسوله، وغيّروا وبدّلوا دين الله، ولا زالت صفحات التاريخ تأنّ من احتواء ما فعلوه، ولا زال المُراجع للتاريخ يصيبه الدوّار ويفغر فاه ويغلبه الغثيان من التردّد علي سطور الكتب الّتي استعرضت فعالهم الّتي أرجعوا بها الناس إلي الجاهليّة الأُولي وعبادة الأوثان الّتي أنشأتها السقيفة..

لقد اعتبر يزيد المتوحّش اجتماع الأُمّة المنكوسة المنقلبة علي أعقابها علي سلطان أبيه وسلطانه جماعة، وجعل مَن يعترض عليه ويأبي التسليم والخضوع والخنوع لسلطانه دعوةً للأُمّة للرجوع إلي الفتنة والحروب والتشتّت، وحذّر من (ردّ الأُمّة إلي الفتنة) بعد أن استوسقت له ولأبيه الدنيا بعد أن قتلوا الإمام أمير المؤمنين وولده الإمام الحسن المجتبي الأمين (عليهما السلام) .

الدنيّة الخامسة:

بماذا استحلّ الخبيث النجس نسبة الإرصاد للفتنة وشقّ العصا والسعي في الفرقة إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ؟بل حسب ما ورد في شعره نسب إليه البذخ والأشر والبطر، والّذي تزلّ به القدم، ويتّهمه بالتخطيط للحرب والشروع بها: «يا قومنا لا تشبّوا الحرب إذ سكنت»، ويدعوه للتمسّك بحبال السلم: «وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا»، باعتبار أنّ الحرب قد أبادت مَن قبلهم، وزعم أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) يجانب الإنصاف مع قومه، ويطلب ما يطلب فخراً بأُمّه لا غير.

علي ماذا اعتمد، وإلي ماذا استند، فرمي سيّد الشهداء (عليه السلام) ومعدن الطُّهر بهذه الافتراءات الوقحة؟!

وغاية ما ذكره القرد المخمور المسعور أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) قد التوي ببيعته ولحق بمكّة!

تماماً كما هم أسلافه الّذين حملوه علي رقاب الناس حينما رموا أباه أمير المؤمنين (عليه السلام) ومولي الموحّدين بهذه (الصفة البائسة الثابتة عندهم يوم تقبّض عن بيعتهم.

الدنيّة السادسة:

إنّ يزيد القرود يريد أن يرسم لعصره وللتاريخ أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) هو

الّذي خالف وخرج وشرع في الحرب والهجوم؛ ليبرّر فعلته ويسوّغ قتله.. ولو كان سيّد الشهداء (عليه السلام) باقياً في المدينة مغلِقاً عليه بابه، فإنّ الالتواء بالبيعة كافٍ لتوجيه جميع ما ذكره، ولهجم عليه داره كما هجموا علي دارأبيه، ولَقَتَلَه!

هو لا يريد إلّا أن يقتل سيّدَ الشهداء (عليه السلام) ، بَيد أنّه يريد أن يجعل قتله تحت عناوين رنّانةٍ تصلح أن تُقنع الأجلاف والزبد المتراكم تحت قدميه من أتباعه وأتباع السقيفة والمتخاذلين..

كلّ واحدةٍ من العناوين الّتي ذكرها _ وسيّد الشهداء (عليه السلام) منها براء _ هي كافيةٌ لتسويغ محاربته للإمام (عليه السلام) وقتله، من شقّ العصا، والسعي في الفرقة، وإعادة الناس في الفتنة، ويعني بها أنّ الناس قد خضعوا لأبيه وساروا علي منهاج السقيفة ودين الأُمويّين بعد أن قتلوا أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأخذوها عنوةً من الإمام الحسن المؤتمن (عليه السلام) ، وصفا لهم الملك، فلماذا يريد أن يُرجع الناس إلي حربٍ أتت علي أهله من قبل؟ فهو يريد أن يقدّم الإمام الحسين (عليه السلام) باعتباره البادي بالحرب والمخطّط للهجوم علي المُلك الّذي خضع له الناس، فيفرّقهم ويشتّتهم عن سلطان القرود..

وبهذا يبرّر فعلته في الإقدام علي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) في الشهر الحرام، باعتباره هو البادئ، والحال أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) يقول في حديث:

«إنّ المحرّم شهرٌ كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستُحلّت فيه دماؤنا، وهُتك فيه حرمتنا، وسُبي فيه ذرارينا ونساؤنا،

وأَضرمت النيران في مضاربنا، وانتُهب ما فيها من ثِقلنا، ولم تُرعَلرسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) حرمةٌ في أمرنا ...» ((1)).

وفي كلامه الشريف إشارةٌ واضحةٌ إلي أنّ القوم هم الّذين بدؤوا وقاتلوا جدّه الحسين (عليه السلام) في الشهر الحرام وهجموا عليه، وليس هو الإمام الحسين (عليه السلام) الّذي بدأهم وقاتلهم!

الإيضاح التاسع: مكاتبة أهل الكوفة

في هذا الكتاب _ كما هو في كتب يزيد الأُخري الّتي أشار فيها إلي مكاتبة أهل الكوفة _ إقرارٌ صريحٌ من يزيد الخمور أنّ أهل الكوفة _ أو علي حدّ لفظ ابن سعد: «أهل هذا المشرق» _ هم الّذين دعوا الإمام (عليه السلام) ، وهم الذين بدؤوا بالكتابة له، وليس هو الإمام (عليه السلام) الّذي دعاهم وحرّضهم واستنصرهم واستنهضهم فأجابوه!

وثَمّة فرقٌ كبيرٌ جدّاً بين الفرضين، إذ أنّ الإمام (عليه السلام) _ حسب الفرض الثابت تاريخيّاً، وقد أقرّ به الخبيث هنا وفي مواضع أُخري _ لا_ يكون قد قصدهم وبني علي استجابتهم وخطّط للقيام بهم ومعهم من قبل، وليس الإمام (عليه السلام) هو الّذي حرّضهم وأثارهم وجيّشهم ودعاهم إلي أمرٍ أراده، فبحث له عن أنصارٍ وأعوانٍ وسيوفٍ وجيوشٍ وعساكر وغير ذلك!

1- الأمالي للصدوق: 128 المجلس 27 ح 2.

وقد سمعنا سليمان بن صُرَد الخزاعيّ وهو يخطب علي مَن اجتمع فيبيته فيقول:

وهذا الحسين بن عليّ قد خالفه، وصار إلي مكّة خائفاً من طواغيت آل أبي سفيان، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلي نصرتكم اليوم، فإنْ كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه.

فقال القوم: بل ننصره ونقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه، حتّي ينال حاجته ((1)).

فهو يصرّح لهم أنّ النصرة المطلوبة منهم لسيّد الشهداء (عليه السلام) إنّما هي الذبّ عن إمامهم، لأنّه خرج إلي مكة خائفاً من طواغيت بني أُميّة!

فالإمام (عليه السلام) لم يستنصر، ولم يستنهض، ولم يرصد الكوفة، وإنّما أهل الكوفة بلغهم الخطر المُحدِق بالإمام (عليه السلام) ، فرأوا أن يعلنوا نصرتهم له بالدفاع عنه ومنع طواغيت بني أُميّة عن قتله وسفك دمه.

الإيضاح العاشر: إقرار القرد المخمور بقلّة مَن كاتب ودعا

لقد تبيّن لنا في غير موضع، سيّما في مجموعة (المولي الغريب مسلم بن

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38، مقتل الحسين (عليهما السلام) : 1 / 190، تسلية المجالس لابن أبي طالب: 2 / 164.

عقيل (عليهما السلام) _ وقائع السفارة)، أنّ الكوفة كانت معسكراً موالياً للسقيفة ودينها ورموزها، وأنّ الأكثريّة الساحقة الّتي تغطّي كلّ الجغرافيا السكّانيّة كانوا من أتباع العجل والسامريّ، وأنّ الّذين كاتبوا وأعلنوا النصرة في الغالب كانوا من الزبد الطافح الضائع في رحلته علي أمواج المصالح.

أمّا الشيعة في الكوفة، فبالرغم من كونهم أكثريّةً بالنسبة إلي باقي البلدان الّتي لم يكن فيها محبٌّ لآل رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) إلّا نادراً، فإنّهم في الكوفة أقلّيّةٌ إذا قيسوا إلي سكّانها.

وقد تبيّن لنا في دراساتٍ سابقةٍ أنّ العدد المشهور المعروف (18 ألفاً) لم يشكّلوا يومها حتّي خُمس عدد السيوف المقاتلة في الكوفة، ولا يكونوا إلّا أقلّ بقليلٍ من عدد أتباع هاني إذا ركب بأحلافه من كِندة، إذ أنّه كان يركب في ثلاثين ألف دارع، والحال أنّ هاني زعيمٌ من زعماء مراد من مِذحج..

وأنّ الكوفة كانت بالأساس ثكنةً عسكريّةً مكتظّةً بالمقاتلين وعوائلهم وأُسَرهم، وهم مكتوبون في ديوان الدولة ويستلمون منها رواتبهم واستحقاقاتهم، ويتّبعون أوامرها وينتظم رجالها في قطعاتٍ وراياتٍ تتحكّم الدولة بهم في إرسالهم في المشاتي والمصايف والمغازي والحروب..

وأنّ هذه التشكيلة لم تُمسّ ولم تتضعضع، وإنّما بقي العسكر متماسكاً ثابتاً بكلّ قطعاته واختصاصاته من جيشٍ وشرطةٍ وحرسٍ وقوّات أمنٍ

داخليّ ((1))..

فلا يكون مَن كاتب وبايع إلّا أقلّيّة ليس أكثرهم من الشيعة، وقد تبيّن لنا موقفهم لحظة رفع المولي الغريب (عليه السلام) شعاره في الكوفة.

كيف كان، فإنّ هـذه الحقيقـة، بالإضافـة إلي ما يدلّ عليها من نصوصٍ تاريخيّةٍ ومشاهد تتجلّي للمتأمّل بمجرد تصـفّحه للتاريخ، بعيداً عن الضوضاء الّتي تحدثها حركة 18 ألف من الرجال في وضع متأزّم مكفهر..

فإنّ ما في هذا الكتاب من تعبير القرد المسعور يشير إلي ذلك بوضوح، مع ما يُلاحَظ في كتبه وكلامه دائماً من محاولة تهويل الأحداث بما يخدم مصالحه، ويحاول الإيحاء أنّ الإمام (عليه السـلام) قد جيّش وحرّض وجمع وأعدّ واسـتعدّ وأثار عليه، ممّا اضـطرّه للدفاع عن نفسـه وحماية مُلكه وسلطانه.

فالمفروض به _ وهو يحاول أن يرسم صورةً لحركـة الإمام الحسـين (عليه السـلام) باعتباره مهاجماً _ أن يزعم هنا أنّ سـيّد الشـهداء (عليه السلام) هو الّذي حرّك وحرّض ودعا وكاتب، والحال أنّه يصرّح أنّ أهل الكوفة هم الّذين كاتبوا ودعوا.

وينبغي حسب ما يريد تصويره أن يهوّل الموقف ويحشّد في المشهد خطراً ملحوظاً، كما صنع عمّالُه في كتبهم وتقاريرهم المرفوعة إليه من

1- أُنظر للتفصيل: (المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) _ وقائع السفارة).

التهويل، وزعم أنّ الناس يجتمعون حول سيّد الشهداء (عليه السلام) وما شاكل.. فيزعم هنا يزيد أنّ بلداً من البلدان بحجم الكوفة _ باعتبارها موطن عسكره وثقله المقاتل _ قد تضعضع كلّه وانصاع ودعا الإمام (عليه السلام) ، لتكون له حجّةً ودليلاً علي ما يريد أن يلصقه بالإمام (عليه السلام) من السعي لتقويض حكمه والانقضاض عليه واقتلاع الشجرة الملعونة وقطع امتداداتها لتبقي جذورها في قاع جهنّم.

قال في لفظ ابن سعد:

(ونحسبه جاءه رجالٌ من أهل هذا المشرق).

وفي لفظ غيره:

(أقواماً من أهل الكوفة).

(أنّ رجالاً من شيعته من أهل العراق).

«رجال»، «أقواماً».. كلاهما دالّا ن علي التبعيض بوضوح.. «أنّ رجالاً من شيعته من أهل العراق» تبعيضٌ في تبعيض؛ فهم رجالٌ من شيعته، وليس كلّ شيعته، ومن شيعته من أهل العراق بالخصوص، فلا أهل العراق جميعاً كتبوا، ولا شيعته من أهل العراق جميعاً كتبوا!

الإيضاح الحادي عشر: يمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمارة

اشارة

لقد طفح التضليل والكذب والافتراء من بين سطور الكتاب، وهو حلقةٌ من حلقات الحرب الإعلاميّة الضخمة المجرمة الّتي مارسها يزيد

المجون ومَن سلّطه علي رقاب المسلمين ضدّ سيّد الشهداء (عليه السلام) ، لعرض الإمام (عليه السلام) في مشهد الطالب للسلطة والحكم والدنيا، وتصويره خارجيّاً، والعياذ بالله.

ويمكن الإشارة إلي ما في هذا الإيضاح من الاستطالة علي الإمام (عليه السلام) المظلوم من خلال الاستطالات التالية:

الاستطالة الأُولي: الكذب الصريح

لقد عهدنا الكذب في كلام المضلّين من أمثال آل أبي سفيان ومَن سلّطهم علي رقاب العالمين، وما أكثر الموارد الّتي تجد فيها الكذب المفترع والافتراء المفضوح الّذي مارسه يزيد الفسق والفجور وأزلامه وجِراؤه بحقّ سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته.

وقد مارسوا الكذب والافتراء وجهاً لوجهٍ معهم أحياناً، كما فعل ابن الأَمة الفاجرة مع المولي الغريب (عليه السلام) حينما دخل عليه في القصر، ولو أردنا أن نسرد لذلك الأمثلة لَطال بنا المقام، ويكفي أن نشرع من هنا بتعداد الموارد لنتبع قبل أن نمضي قدماً في متابعة الأحداث إلي شهادة أبي الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) .

وربّما كان هذا المورد الّذي نحن بصدد الحديث عنه من أوضح وأبرزالنماذج، إذ يزعم القرد المتميّع الخليع أنّ القوم كانوا يكاتبون الإمام الحسين (عليه السلام) فيمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمارة!!

وهذه كتب أهل الكوفة بنصوصها المأثورة وصلت بأيدينا، كما وصلت بأيدينا ردود سيّد الشهداء (عليه السلام) عليها، فأين كان فيها ما يزعم هذا الوغد الحقير؟

الاستطالة الثانية: محاولات التضليل

لقد صرّح الإمام (عليه السلام) في أكثر من موضعٍ ومع أكثر من شخصٍ أنّه إنّما خرج من المدينة تجنّباً لملاحقة كلاب بني أُميّة المسعورة، وابتعاداً عن مخالب القرود البغيّة الباغية المغرورة الّتي أبت إلّا أن يُحمَل إليها رأس سيّد الشهداء (عليه السلام) .

ثمّ صرّح في أكثر من موضعٍ ومع أكثر من شخصٍ أنّه إنّما خرج واستعجل الخروج من مكّة لأنّه إنْ بقي سُفك دمه واغتاله القوم أو أُخذ أخذاً.

بالرغم من ذلك، فإنّ الوحوش الأُمويّة الكاسرة ما تفتر عن التضليل وتلوين خروج الإمام (عليه السلام) بلون الخارجيّ، لتتمكّن من استهدافه فيسوغ لها قتله بموافقة الرأي العام.

وما فتر اللعين يصبغه بصبغة الدنيا والصراع علي حطامها، ممّا يحيّدالناس (العقلاء)، ويطمع فيه أهل الدنيا والإغراء، وينفر منه أهل الزهد والحياء.

لقد حاولوا جهدهم أن يحوّلوا مظلوميّة الإمام الحسين (عليه السلام) وملاحقته

وقتله إلي حقٍّ مسـلّمٍ لهم في محاربته، فهو الّذي يريد أن يسـلب منهم سـلطانهم، والملك عقيم، فهاجمهم فدافعوا عن أنفسهم فقتلوه، لأنّه حاربهم بأماني الخلافة، وحارب مَن معه بأماني الإمارة!

الاستطالة الثالثة: منّوه الخلافة!

ورد اللفظ عند ابن سعد _ وهو من أقدم المصادر _ :

ونحسبه جاءه رجالٌ من أهل هذا المشرق فمنّوه الخلافة ((1)).

ثمّ ورد في مصادر متأخّرة عنه بلفظ:

يمنّونه بالخلافة ويمنّيهم الإمارة ((2)).

ويفيد نصّ ابن سـعدٍ أنّ ثمّة رجالاً جاؤوا إلي الإمام (عليه السـلام) من أهل هذا المشـرق، وربّما قصد باسم الإشارة (الكوفة) بالخصوص، فهم مشرقه، وربّما استخدم كلمة «أهل هذا المشرق» للتهويل والتضخيم.

وزعم أنّ رجالاً أتوا إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ولم يشر النصّ إلي الكتب

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

2- الأمالي للشـجري: 1 / 182، تـذكرة الخواصّ لسـبط ابن الجوزي: 136، مقتـل الحسـين (عليه السـلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

والرسائل الّتي وردت إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فمَن هم هؤلاء الرجال الّذين قصدهم من دون تحديد؟ والحال أنّ كلّ مَن جاء الإمام (عليه السلام) من أهل هذا المشرق كانوا رسلاً، ليس إلّا.

مَن ذا كان يمنّي الإمام (عليه السلام) بالخلافة؟ ولو اعتبر دعوات أهل الكوفة وكتبهم وُعُوداً منهم بالخلافة للإمام (عليه السلام) ، فمن أين زعم أنّ الإمام (عليه السلام) يمنّيهم بالإمارة؟

سبحانك اللّهمّ، إنّه إفكٌ عظيم! إنّه كذبٌ عظيمٌ يهتزّ له عرش الله، واتّهامٌ صريح وقح للإمام (عليه السلام) ، وافتراءٌ عليه، ليؤكّد أنّ الإمام (عليه السلام) إنّما كان (يطلب السلطان).. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الاستطالة الرابعة: شاهدٌ علي كذب يزيد

لا يخفي أنّ ظاهر النصّ الوارد لرسم هذا الخبر يكاد يصرّح أنّ يزيد أرسل الكتاب بعد خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة، أو إبّان وصوله إلي مكّة.

فقد جاء في الكتاب _ حسب لفظ ابن سعد ومَن والاه _ : (يخبره بخروج الحسين إلي مكّة).

وفي خبر الشجريّ: (كتبه لمّا امتنع الحسين من البيعة ولحق بمكّة).

وفي لفظ سبط ابن الجوزيّ عن الواقدي: (لمّا نزل الحسين مكّة).

فمتي وصلت كتب أهل الكوفة ورسلهم إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وسيّد

الشهداء (عليه السلام) في الطريق أو أنّه دخل مكّة توّاً؟

أضف إلي أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يردّ علي رسائل الكوفيّين ورسلهم إلّا متأخّراً بعد أن اجتمعت عنده الكتب، فردّ عليهم جميعاً في الخامس عشر من شهر رمضان علي يد سفيره المولي الغريب (عليه السلام) وآخر رسولين قدما عليه من أهل الكوفة، أي: بعد زهاء الشهر ونصف الشهر من دخوله إلي مكّة، ولم يصل المولي الغريب بكتاب الإمام سيّد الشهداء (عليهما السلام) إلّا في الخامس من شهر شوّال.

فكيف قرّر يزيد فريته علي سيّد الشهداء (عليه السلام) في قصّة مكاتبته مع أهل الكوفة؟

وإن قصد القرد المخمور ما جري من مكاتباتٍ بين الإمام (عليه السلام) وبعض أهل الكوفة أيّام مُلك أبيه معاوية بعد شهادة الإمام المجتبي (عليه السلام) ، فهو بعيد، ومع ذلك فقد كذب وأثم وافتري علي الله وعلي الإمام (عليه السلام) ، لأنّ الإمام (عليه السلام) أمرهم يومها بالسكوت ولزوم الأرض، ولم يَعِد أحداً بالإمرة.

الاستطالة الخامسة: اغترار الإمام (عليه السلام) بوعود الناس!

أشار القرد الأهوج الأرعن من خلال كلامه إلي جسارةٍ وقحة، ومارس جلفيّةً جافية، حيث حاول عرض الإمام (عليه السلام) في صورة غرّته أماني القوم بالخلافة، وراح يمنّيهم هو بالإمارة.ولا نشكّ أنّه كان يعلم أنّ الخلافة حقّ الإمام المنصوب من الله، وأنّ

رسول الله (صلي الله عليه و آله) قد أعلن ذلك علي رؤوس الأشهاد، وأنّ الإمام (عليه السلام) هو خليفة الله لا غيره، وأنّه لا يعنيه دعوة الناس له ما لم تكن طاعةً لله ولرسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، تماماً كما فعل أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام) ومولي الموحّدين المنصوب يوم الغدير إماماً وخليفةً ووصيّاً علي العالمين، يوم جاءه القوم يهرعون وانثالوا عليه من كلّ جانب، فردّهم؛ لأنّهم لم يبايعوا علي طاعة الله، و إنّما بايعوا وفق سياقات السقيفة، ورأوا فيه تالياً لرجال السقيفة، ورابعاً بعد ثلاث، أفرز أحدهم السقيفة، والثاني التعيين، والثالث الشوري.

ولو بايع الناس يومها أمير المؤمنين (عليه السلام) امتثالاً لأمر الله وطاعةً لما أمر به رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) يوم الغدير، لما تأخّر الإمام (عليه السلام) لحظةً واحدة.

أيغترّ الإمام (عليه السلام) بأماني يعده بها الناس، والدنيا عنده أهون من عفطة عنز؟

وهل ينتظر الإمام (عليه السلام) أن يعده الناس بالخلافة؟

وهل يغترّ الإمام (عليه السلام) ـ بغضّ النظر عن الإمامة وعلم الإمام ـ بوعودٍ كاذبةٍ باهتةٍ من قومٍ يعرفهم، وقد عاش معهم محنة أبيه وأخيه، وعرف تاريخهم سابقه وحاضره؟

إنّه افتراء موجع أن يفترض في الإمام (عليه السلام) أنّه إنّما تحرّك اغتراراً بوعود قومٍ كاذبين، سعياً إلي سلطان الدنيا، حتّي يبادلهم الوعود بالوعود، والمصلحةبالمصلحة، والمنفعة بالمنفعة، وانتهاز الفرصة بتوفير الفرص الدنيوية!

الإيضاح الثاني عشر: قطع الرحم وبتّه

وصـل الكتـاب إلي ابن عبّاس إبّان وصول الإمام (عليه السـلام) إلي مكّـة، وزعـم الرجس العاقّ الشاقّ الغشوم الظلوم أنّ ثمّـة رحماً واشـجاً وإصارةً بينه وبين بني هاشم.

وقد علمت واشج ما بيني وبينكم من القرابة والإصارة والرحم.

وكأنّه يريد أن يقول: إنّه ملتزمٌ بهذه الرحم، مهتمٌّ بها، حريصٌ عليها، وأنّ خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) هو الّذي يسعي في قطعه..

وقد قطع ذلك ابن عمّك حسين وبتّه.

قتـلُ ريحانـة النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سـلم) وأهـل بيته وسبيهم ليس قطعاً للرحم، فيما يكون مجرّد خروج الإمام (عليه السـلام) من المدينـة إلي مكّـة حمايـةً لحرمـة حرم النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سـلم) وصَوناً لـدمه المقـدّس قطعاً للرحم عند هذا المسخ المنكوس المتعوس!!!

ما الّذي فعله سـيّد الشـهداء (عليه السلام) حتّي افتري هذا الوغد الكاسر هذه الفرية النتنة وزعم هذا الزعم الوقح؟ لم يفعل سوي أنّه تقبّض عن البيعة وأبي أن يناول القرود.

إنّ ما يريد أن يوصـله ابن آكلة الأكباد إلي ابن عبّاس ـ ومَن بلغ ـ من خلال هذه الفرية أنّ قتله لسـيّد الشـهداء (عليه السـلام) وسبيه لعيال النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) إنّماكان سببه هو الإمام (عليه السلام) نفسه، لأنّه هو الّذي أبي أن يناول، فصار سبباً

لهجوم القرود عليه وسفك دمه المقدّس الزكيّ، فهو الّذي كان سبباً لقطع الرحم، وإنّما كان يزيد في موقف المدافع المضطرّ لحماية سلطانه ووجوده وكيانه، في محاولةٍ بائسةٍ منه لتدليس الموقف بالإشارة إلي أنّ الإمام (عليه السلام) كان هو البادئ..

بل ربّما أراد أن يوحي للمتلقّي أنّ إقدامه علي ارتكاب الجناية العظمي وسفكه الدم المقدّس الّذي سكن الخلد إنّما كان يهدف إلي حماية الرحم وتوحيد الأُمّة ولمّ شملها وجمع كلمتها!

الإيضاح الثالث عشر: الأمان والمساومة بالدنيا

اشارة

يمكن متابعة ما يتضمّنه هذا الإيضاح من خطيئةٍ وتجنٍّ من خلال الأُمور التالية:

الأمر الأوّل: تأخّر المقايضة

إنّ النصّ الّذي ذكره ابن سعد _ وهو من أقدم المؤرّخين _ ومَن تلاه كابن كثيرٍ وغيره يخلو من عروض الترغيب وطرح المساومة بالمال وغيره، واحتوت التهديد والتهويل والإنذار بدقّ طبول الحرب وسفك الدماءوالقتل، وقد ختم كتابه بالأبيات الّتي مرّ ذكرها ((1)).

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

وقد وردت عروض الترغيب والإغراء والتغرير في كتبٍ تُعَدّ متأخّرةً بالنسبة لابن سعد، ومع ذلك فإنّ نسخة الكتاب المتأخّرة أيضاً جاء الترغيب فيها في ذيل الكتاب الّذي صدّره الخبيث بالتهديد والوعيد والإعلان عن الجرأة علي الله والاستعداد الكامل التامّ لسفك الدم الزاكي الحرام من أجل الملك والسلطان.

الأمر الثاني: المقايضة

لقد هدّد القرد المسعور من خلال ما عبّر عنه بتعريض الإمام (عليه السلام) نفسه للهلكة لمجرّد التوائه بالبيعة، وغيرها من التعابير الوقحة الهابطة الّتي ذيّل بها كتابه، كما في المصادر، وبالأبيات الّتي مرّ ذكرها، وهي مشحونةٌ بالتهديد والوعيد والجرأة والعتوّ والطغيان علي الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) وأهل بيته (عليهم السلام) ..

ثمّ عقّب كتابه بعد التهديد والوعيد والافتراءات والأكاذيب، فأعطي الأمان للإمام (عليه السلام) مشترطاً أن يُقبِل ويَقبل ويُنيب!

فإن قبل منك وأناب إليك فله عندي الأمان والكرامة الواسعة، وأُجري عليه ما كان أبي يجريه علي أخيه، وإنْ طلب الزيادة

فاضـمنْ له ما أراك الله، أنفذْ ضمانك وأقوم له بذلك، وله علَيّ الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة بما تطمئنّ به نفسه ويعتمد في كلّ الأمور عليه.

عجِّلْ بجواب كتابي وبكلّ حاجةٍ لك إليّ وقِبلي، والسلام ((1)).

ويقصد بالإقبال أن يأتيه ويقبل به وينيب ويرجع إليه..

أفٍّ لهـذا الكلام مـا دامت السـماوات والأرض، أن يولي الإنسان وجهه صوب القرود، إنّما هو الإدبار بعينه والارتكاس والانقلاب والرجوع إلي الحضيض.

أيُقال مثل هذا الكلام لسيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) ، ويُطلَب من وجه الله الإقبال علي العتلّ الزنيم يزيد؟!

لو أراد الإمام (عليه السـلام) الـدنيا لسـخّرها كيف يشاء، ولما احتاج إلي عطاء الأنـذال واللئام، بَيـد أنّ عبيد الدنيا يتكلّمون بما يحسـنون، وينطلقون من قيعان الغرائز وأوحال الشهوات ومستنقعات اللذّات، ويتكالبون علي المال لأنّه مادّة الشهوات..

معاملةٌ هابطةٌ سافلةٌ ذليلةٌ لئيمةٌ عفنة، تُزكم الأُنوف وتجفّف الأرواح وتميت الحياة، وتشي بنذالة المتقدّم بها.

ص: 156

1- أُنظر: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، الأمالي للشجري: 1 / 182، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

يا له من حقيرٍ دنيٍّ متهالكٍ تافهٍ خبيثٍ خسيسٍ رجسٍ دنس! يكتبهذا الهراء، وهو يعرف سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ويعرف جدّه وأباه وأخاه، وقد شاهد بعينه المخمورة إباء آل أبي طالب وسموّهم وشموخهم وكرمهم وسخاءهم وعطاءهم وجلالة قدرهم وسموقهم ونَداهم.. وما قدر ما يريد أن يجريه علي الإمام (عليه السلام) والدنيا كلّها طوع إرادته وخاضعةٌ لأمره؟

وهو لا يريد من الإمام (عليه السلام) أكثر من أن يناول ويقبل البيعة ولا يأبي عليه، فهو يخيّر الإمام (عليه السلام) بين القتل والمال! أيكون ملِكٌ متجبّرٌ عنيدٌ بهذا المستوي الصفيق المتدنّي من الحمق، ويكون أهوجاً إلي هذا الحدّ؟

والأدهي والأمرّ من ذلك أن يقول له: إن أبي إلّا الزيادة!! لا يدري أيضحك المرء أم يبكي من هذا الكلام الّذي جاوز حدود السخف وتسافل عن هراء، إنّه أشبه ما يكون بخنخنة القرود وزقحها منه بكلام مخلوقٍ يمكن أن يُطلق عليه اسم الإنسان.

فله عندي الكرامة!!

أتكون الكرامة عند أولاد البغايا ومعاقري الخمرة في دِنانها؟!

أتكون الكرامة عند مَن كرامتهم لا تعدو كرامة القرود والكلاب وخيام الدعارة وحارات البغاء وحانات الخمور وملاهي القمار؟!

فله عندي.. عند يزيد! يا لله! يا للكرامة الّتي أُهينت واحتُقرت، وهبطوا بها إلي قاعٍ لا قاع بعده، حتّي صارت الكرامة للحسين (عليه السلام)

خامس أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهمتطهيراً عند يزيد!!!

الحسين (عليه السلام) .. الإمام.. خامس أصحاب الكساء.. سيّد الشهداء.. زين السماوات والأرض.. شنف العرش.. سيّد شباب أهل الجنّة.. حبيب الله وريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) .. معدن الكرم والكرامة وأصلها وفرعها وأُسّها..

الحسين (عليه السلام) .. الحسين (عليه السلام) .. الحسين (عليه السلام) ..

تكون له الكرامة عند ابن صخرٍ وهندٍ وكلّ فاحشٍ بذيءٍ سافلٍ ساقطٍ سكّيرٍ مخمورٍ منبوذٍ حقيرٍ رجسٍ نجسٍ دنسٍ قبيح؟!!

إنّا لله وإنّا إليه راجعون!

إنّها محاولةٌ بائسةٌ أُخري لتحويل القضيّة إلي قضيّة مالٍ وسلطانٍ ومُلكٍ وراعٍ ورعيّةٍ ومساوماتٍ دنيويّة، من خلال منطق الإغراء وتأمين الغرائز والشهوات.. و«كلّ إناءٍ بالّذي فيه ينضحُ»..

الأمر الثالث: تقديم المواثيق

قدّم البغيّ يزيد المواثيقَ المؤكّدة والأَيمان المغلّظة الّتي يطمئنّ إليها ابن عبّاس، ويزعم أنّها ستكون بمستويً تطمئن إليها نفس سيّد الشهداء (عليه السلام) القدسيّة..

ص: 158

– ونُعطه ما أحبّ من ذلك الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدةوما تطمئن إليه، إن شاء الله (تعالي) ((1)).

– وله علَيّ الأَيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة بما تطمئنّ به نفسه ويعتمد في كلّ الأُمور عليه ((2)).

تجاهل هـذا الوغـد ما فعله معاويـة بالإمام أبي محمّدٍ الحسن المجتبي (عليه السـلام) ، وما أعطاه من عهودٍ ومواثيق، وأعطاها لأخيه سـيّد الشهداء (عليه السلام) ، ثمّ جعلها جميعاً تحت قدميه، ونسي أو تناسي الكتاب الّذي أرسله سيّد الشهداء (عليه السلام) لأبيه معاوية حينما قتل الصحابيّ الجليل الشهيد المغدور عمرو بن الحَمِق الخزاعيّ!

وهل لبغيٍّ دعيٍّ سكيرٍ مخمورٍ مهارشٍ بالكلاب والقرود معاقرٍ للخمرة والقمار يمينٌ ومجالٌ للوثوق؟!

وقد حذّر أهل البيت (عليهم السـلام) أن يُزوَّج المعاقر للخمرة أو يُشارك في تجارةٍ أو مال، فضـلاً عن مثل هذه الأُمور العظيمة الّتي تتعلّق بالدماء الزاكية والأنفس القدسيّة!

وهل وفي أبوه أو أسلافه من مرتادي السقيفة المشؤومة وإفرازاتها كي

1- الأمالي للشجري: 1 / 182.

2- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

يفي هو؟!

ألم يصالح الإمام الحسن الأمين المجتبي (عليه السلام) ، ثمّ قتله الأدعياء وأبناءالأدعياء؟

ألم يغلق أمير المؤمنين (عليه السلام) بابه ويتاركهم، فهجموا عليه وهتكوا حرمة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وحرمة بيته، حتّي قتلوا ابنته وحبيبته وبضعته قتلةً فضيعةً اهتزّ لها عرش الله؟

أيّ مواثيقٍ وأيمانٍ لكَذوبٍ مارس الكذب في نفس هذا الكتاب؟!

أيّ مواثيقٍ وأيمانٍ مغلّظةٍ أو مخفّفةٍ لدعيٍّ انعقدت نطفته من حرامٍ في سلسلة أنساب اللئام، ونشأ في بيت دعارةٍ علي موائد الخمرة تحت ظلال الأصنام، وترعرع في أحضان المومسات، وملأ كيانه عربدة القيان الثملات وغناء الجواري والغلمان، وازدحمت لحظات عمره بالموبقات واكتظّ سجلّه بالجرائم والآثام، وكان أكبر همّه في الدنيا أن يجالس (أبا قيس) قرينه ويراه سابقاً غيره من القرود، ويخاف من فراقها وفراق كلابه إذا فقد الحكم والسلطان؟!

الإيضاح الرابع عشر: إغراء ابن عبّاس

لقد وظّف القرد المهارش الأهوج أساليب الإغراء والنفخ والتضخيم والاستدراج مع ابن عبّاس، حيث وصفه بأوصافٍ ليست فيه جزماً،

ص: 160

وجعله كبير أهـل البيت والمنظور إليه، وأشـعره أنّه بمكانٍ من الوجاهـة بحيث يمكنه أن يكفّ الإمام سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ويمنعه ويأمره وينهاه،وغيرها من الموارد الّتي ذكرناها قبل قليل.

ثمّ ذكر في ذيل الكتاب ـ حسب رواية سـبط ابن الجوزيّ ـ ما يُثير الطمع ويسـيل اللعاب المتكاثف من بريق الفضّة ولمعان الذهب ومادّة الشهوات وضامن بهارج الدنيا وزخارفها، فأكّد عليه أن يكتب له بكلّ حاجةٍ له إلي الوحش المتربّع علي خزائن المال، فقال: «عجِّلْ بجواب كتابي وبكلّ حاجةٍ لك إليّ وقِبَلي» ((1)).

1- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

جواب ابن عبّاس

اشارة

روي ابن سعد فقال:

فكتب إليه عبـدُ الله بن عبّاس: إنّي أرجو أن لا يكون خروج الحسـين لأمرٍ تكرهه، ولستُ أدع النصـيحة له فيما يجمع الله به الأُلفة وتطفأ به النائرة ((1)).

وروي الشجريّ جواب الكتاب بتفصيل، كما فصّل في الكتاب نفسه:

فكتب إليه ابن عبّاس:

أمّا بعد، فقد بلغني كتابك تذكر حسيناً وابن الزبير ولحاقهما بمكّة.

فأمّا ابن الزبير: فرجلٌ منقطعٌ عنّا برأيه وهواه، يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرّها علينا في صدره، ويوري وري الزناد، لا حلّل الله إسرارها، فأري في أمره ما أنت راء.

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

وأمّا حسـين: فإنّي لقيتُه، فسألته عن مقـدمه، فأخبرني أنّ عمّالك بالمدينة حرفت به وعجّلت عليه، وأنظره رأيه، ولن أدع أداء النصـيحة إليه في كلّ ما يجمع الله به الكلمة ويطفئ به الفتنة ويحقن به دماء الأُمّة.

وأنا آمرك بمثل الّذي آمره به إن شاء الله، فاتّقِ الله في السـرّ والعلانية، ولا تبيتنّ ليلةً مريداً مسـلماً بغائلة، ولا مُرصداً له بمظلمة، ولا حافراً له مهواة، فكم من حـافرٍ حفيراً لنفسه، وكم من آمـلٍ لم يؤتَ أمله، وكم من راجٍ لطول العمر مبسوطٌ له في بُعـد الأمـل، فبينا هو كـذلك إذ نزل القضاء، فقطع أمله ونقص عمره، وأخرجه من سـلطان الدنيا الفانية إلي سلطان الله وعدله في الآخرة. وخُذْ مع ما أوصـيك به من النصـيحة لهذه الأُمّة بحظّك من الركوع والسجود آناء الليل وتارات النهار، ولا يشغلك عن ذكر الله (تعالي) شيءٌ من ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإنّ كلّ مـا أنت مشـتغلٌ به مِن ذات [الله] ينفع ويبقي، وكـلّ ما أنت مشـتغلٌ به عن ذات الله يضـرّ ويفني، فاجعل همّك فيما يُرضـي ربّك، يكفك همّك.

داج حسيناً، وارفقْ به، ولا تعجّل عليه، ولا تنظره رأيه، عسي الله (عزوجل) أن يُحدث أمراً يلمّ به شعثاً ويشعب به صدعاً ويرتُق به

فتقاً، والسلام ((1)).

وروي سبط ابن الجوزيّ لفظ الجواب كتالي:

فكتب إليه ابن عبّاس:

أمّا بعد، فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكّة.

فأمّا ابن الزبير: فرجلٌ منقطعٌ عنّا برأيه وهواه، يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرّها في صدره، يوري علينا وري الزناد، لا فكّ الله أسيرها، فاراًْ في أمره ما أنت راء.

وأمّا الحسين: فإنّه لمّا نزل مكّة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه سألتُه عن مقدمه، فأخبرني أنّ عمّالك بالمدينة أساؤوا إليه، وعجّلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلي حرم الله مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرتَ إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويطفئ به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن به دماء الأُمّة.

فاتّقِ الله في السرّ والعلانية، ولا تبيتنّ ليلةً وأنت تريد لمسلمٍ غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافرٍ لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمّلٍ أملاً لم يُؤتَ أمله، وخذ بحظّك من تلاوة القرآن ونشر السنّة، وعليك بالصيام والقيام، لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإنّ كلّ ما اشتغلتَ به عن الله يضرّ ويفني، وكلّ ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقي،

1- الأمالي للشجري: 1 / 182.

والسلام ((1)).

*****

إحتوي جواب ابن عبّاسٍ مضامين ومحتوياتٍ يمكن إجمالها من خلال الإشارات التالية:

المحتوي الأوّل: ما يراه ابنُ عبّاسٍ في نفسه

لقـد أشار إليه يزيـد في كتابه أنّه كبير أهل البيت والمنظور إليه، وكأنّه الآمر الناهي والشـيخ المطاع والسـيّد المحميّ والرأس في أهل البيت! فصـدّق ابن عبّاسٍ ما نحله يزيـد من ألقابٍ وصـفاتٍ ومقامات، ويبدو أنّه كان يعتقد ذلك في نفسه دائماً، خصوصاً بعد الإمام أمير المؤمنين (عليه السـلام) ، ويبدو مِن تتبّع سلوكه وتعامله مع الإمامين الحسنين (عليهما السلام) أنّه كان يري نفسه ندّاً لهما علي الأقلّ، إنْ لم تفضحه تصرّفاته فتنمّ وتشي باعتقاده أنّه أكبر منهما وله عليهما درجة..

ولهذا استجاب بكلّ ترحيبٍ بالمهمّة الموكولة إليه مِن قِبَل القرد المسعور، من دون أيّ إشارةٍ في كتابه إلي فضل سيّد الشهداء (عليه السلام) عليه وعلي العالمين جميعاً، ولا الاعتراض عليه، ولا بيان أنّ الإمام الحسين (عليه السلام)

1- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

إمامُه والأكبرُ منه في أهل البيت مقاماً وجاهاً ومنزلة، وأنّه أفضل منه وأعظم، بل لم نجد في كتابه ما يفيد مدح الإمام (عليه السلام) بفضيلةٍ أو منقبةٍ أو حتّي قرابةٍ ورحمٍ برسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ومنزلةٍ عند الله، ولا بحديثٍ واحدٍ ممّا ذكره فيه رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، ولا إشارةٍ إلي وجوب مودّته وحبّه، والاستدلال له بحرمة أذاه والتعدّي عليه وإضمار البغض والعداوة له، وما إلي ذلك من أُمورٍ يمكن أن يذكرها ليزيد في مقامه وهو يسعي لقتل ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ويحفر له ويبيّت له الغوائل.

بل نسمعه في نصّ الشجريّ يسمّي الإمام بالاسم المجرد «حسين، حسيناً»، خلافاً للأدب المتعارف الّذي تسالم عليه المسلمون قديماً وحديثاً، وهو ما تعلّموه من سيّد الرسل وخاتم الأنبياء (صلي الله عليه و آله) .

المحتوي الثاني: تصريح الجواب بسبب الخروج من المدينة

مرّ معنا الحديث عن هذا المحتوي ضمن الكلام عن ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة، وغيره من المواضع، ونكتفي هنا بذكر النصّ للتذكير والتأكيد.

روي ابن سعدٍ ومَن تلاه، قال:

إني أرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمرٍ تكرهه ((1)).

وروي الشجريّ فقال:

وأمّا حسين: فإنّي لقيتُه، فسألته عن مَقدمه، فأخبرني أنّ عمّالك بالمدينة حرفت به وعجّلت عليه، وأنظره رأيه ((2)).

وروي سبط ابن الجوزيّ:

وأمّا الحسين: فإنّه لمّا نزل مكّة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه سألتُه عن مَقدمه، فأخبرني أنّ عمّالك بالمدينة أساؤوا إليه وعجّلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلي حرم الله مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرتَ إليه ((3)).

يا لله! هكذا هي بيانات سيّد الشهداء (عليه السلام) دائماً، فلماذا يؤخذ بقول أيّ أحدٍ ولا يُلتفَت إلي كلامه (صلوات الله عليه) وهو يحكي عن نفسه ويصوّر ما يجري عليه ويشرح أسباب خروجه من المدينة أو من مكّة؟!!

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

2- الأمالي للشجري: 1 / 182.

3- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

بأيّ لغةٍ يتكلّم الإمام (عليه السلام) مع الناس ومع التاريخ كي يفهمونه؟!

أوَ ليس هو أمير الكلام وسـيّد البيان وسـلطان الفصاحة وملك البلاغة ومالكها؟ فما هي الضرورة الّتي تدعو القارئ للتاريخ أن يحمّل كلام الإمام (عليه السلام) ما لا يحتمل، أو يقوّله ما لا يقول، أو يفسّر بيانه بخلاف ما يبيّن؟

المحتوي الثالث: أداء النصيحة ومفادها

اشارة

إحتوي الكتاب موادّاً مهمّةً للنصيحة الّتي زعم ابن عبّاس أنّه لن يدَعها، يمكن أن نشير إليها ضمن الموادّ التالية:

المادّة الأُولي: النائرة، الفتنة، حقن الدماء..

المفردات الّتي وظّفها ابن عبّاسٍ في هذا المقطع من كلامه.. جمع الأُلفة! إطفاء النائرة! جمع الكلمة! إطفاء الفتنة! حقن دماء الأُمة! ((1))

فهو قد اعتقد بنشوب نار الأحقاد والعداوات (النائرة)، وأقرّ أن قد اختلفت الكلمة، ولقحت الفتنة، وهذا سيؤدّي إلي سفك دماء الأُمّة!

- مَن الّذي شبّ نار النائرة؟

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164، الأمالي للشجري: 1 / 182.

- مَن الّذي أثار الأحقاد والعداوات الدفينة؟

- مَن الّذي فرّق الكلمة؟

- مَن الّذي ألقح الفتنة؟

- مَن الّذي تسبّب في تعريض الأُمّة للهلاك وسفك الدماء؟

هـذا ما لم يـذكره ابن عبّاس، ممّا يجعل الصورة مشوّشـةً مغبّشةً موهومـةً مظلمةً قاتمةً عاصفةً قاصـفةً مدمّرةً مُهلكةً لمن يعتقد به أو يُقيم لكلامه وزناً!هو لم يجرؤ علي تجريم القرد المتهوّر، ولم يُشِر في كلامه إلي ما يفيـد تجاوز يزيـد وتطاوله وعبوره حـدود المنطق والعقل والدين في الجاهليّة والإسلام.

وإذا لاحظنا كون رسالته إلي يزيـد إنّما كانت ردّاً علي مزاعم يزيد وتهديداته، وجواباً علي كتابه إلي ابن عبّاس الّذي يذكر فيه سـيّد الشـهداء (عليه السلام) ، يمكن أن يُستفاد بوضوحٍ أنّ ابن عبّاسٍ قد ماشي يزيد وتماهي معه وسايره فيما يزعم، ويتّهم به سيّد الشهداء (عليه السلام) .

سيّما أنّ ابن عبّاسٍ يعامل يزيـد معاملة الحاكم والوالي ووليّ الأمر، وقد بايعه منذ البداية، فلا يمكن أن يحمل معني الفتنة واختلاف الكلمة وإشعال النائرة والتورّط بدماء الأُمّة إلّا علي من (خرج) علي السلطان الحاكم!

كيف يمكن لمثل ابن عبّاسٍ ـ إنْ بمنطق العشائر أو بمنطق الدين ـ أن

يعدّ موقف سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) فتنة، نائرة، تفريق كلمة؟!! وغيرها من العناوين الّتي ركّز عليها يزيد والأمويُون ورجال السقيفة منذ اليوم الأوّل مقابل أهل بيت رسول الله (صلي الله عليه و آله) ..

ألم يروِ ابنُ عبّاسٍ نفسُه ما سمعه من سيّد الشهداء (عليه السلام) عن سبب خروجه من المدينة؟ فلماذا ينصح الإمام الحسين (عليه السلام) حينئذ؟ وقد صـرّح ليزيد أنّ سـيّد الشـهداء (عليه السلام) خرج من المدينة تحت ضغوط وتهديدات عمّاله، وهو قد قدم مكّة مستجيراً ببيت الله لائذاً عائذاً بالله..فلماذا يتكلّم مع سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ويَعِد أن لا يدع النصيحة له حتّي يأد الفتنة؟!

أوَ ليس كان الأحري به أن يقول ليزيد: إنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) قد دخل مكّة مستأمناً، فدَعْه فيها آمِناً؟

كيف ما كان، فإنّ حديث ابن عبّاسٍ حمّالٌ ذو وجوه، والوجه الأوّل فيه بما يكاد يكون صـريحاً واضـحاً أنّه تحامل علي سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ، ووصفه بالأوصاف الّتي يصفه بها باغي الأُمويّين ونغل معاوية وعدوّ الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) يزيد الخمور، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

المادّة الثانية: يأمر يزيد بما يأمر به الإمام (عليه السلام)

اشارة

وفق نقل الشجريّ، فإنّ ابن عبّاسٍ يقول:

وأنا آمرك بمثل الّذي آمره به إن شاء الله، فاتّقِ الله في السرّ

والعلانية، ولا تبيتنّ ليلةً مريداً مسلماً بغائلة، ولا مُرصِداً له بمظلمة، ولا حافراً له مهواة ((1))..

إلي آخر وصيّته له..

لا ندري إنْ كان يريد أنّه يأمره بمثل ما يأمر به سيّد الشهداء (عليه السلام) ممّا مرّ من كلامه، أو ممّا يأتي فيما بعد، أي: الأمر بتقوي الله في السرّ والعلانية،إلي آخر الوصيّة..

وعلي كلا التقديرين، فإنّه قد ارتكب ما لا ينبغي له أن يرتكبه:

أوّلاً: جعل نفسه في موضع الآمِر للإمام (عليه السلام)

مَن هو ابن عبّاسٍ كي يجعل نفسه في مقام الآمر لسيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) وإمام زمانه وإمام الأُمّة؟

وما هو المسوّغ له الّذي شجّعه علي التطاول علي سيّد الشهداء (عليه السلام) ؟ هل قربه من رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ؟ فسيّد الشهداء (عليه السلام) أقرب، وهو بضعةٌ منه وابنه وريحانته! أم معرفته بالدين؟ وسيّد الشهداء (عليه السلام) إمام المسلمين، ووصيّ رسول الله! أم سنّه؟ وهو إمّا أن يكون مِن لِدة الإمام (عليه السلام) ، أو علي أقصي التقادير أكبر منه بسنتين أو ثلاثٍ أو خمسةٍ في غاية ما يمكن أن يفترض له من العمر!

1- الأمالي للشجري: 1 / 182.

إلّا أن يقال: إنّه بني مقامه من تأمير القرد المخمور والتفويض الّذي منحه إيّاه من خلال هذا الكتاب، أو من المقام الّذي روّجت له السقيفة.

وسواءً كان له مسوّغٌ أو لم يكن، فإنّ في تعبيره من الغرور والمجازفة وإساءة الأدب الّذي تجاوز الحدّ!

ثانياً: جمعه الإمام (عليه السلام) ويزيد في مستويً واحدٍ من الخطاب

ثمّ إنّه تطاول علي الإمام (عليه السلام) من حيث جعله في صفٍّ واحدٍ مع يزيد في خطابه، وجمع الطهر كلّه في مستويً وصعيدٍ مع العهر كلّه، بحيثخاطب يزيد وسيّد الشهداء (عليه السلام) في جملةٍ واحدة: «وأنا آمرك بمثل الّذي آمره به».

فهو يخاطب يزيد الخمور والفجور بنفس العبارة الّتي يخاطب فيها سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) ، ويجعل مؤدّيات أمره لكليهما واحد، ولو لم تكن المؤدّيات واحدةٌ فإنّ مخاطبتهما في عبارةٍ واحدةٍ والتسوية بينهما من دون الفصل في الخطاب بينهما يكفي في انفجار قلب المؤمن حزناً علي مظلوميّة سيّد الشهداء (عليه السلام) .

عجبٌ والله لا ينقضي!

أمّا إذا قلنا أنّ قوله: «وأنا آمرك بمثل الّذي آمره به إن شاء الله» يعني أنّه يوجّه الخطاب لسيّد الشهداء (عليه السلام) ولو فرضاً بقوله الّذي ذكره بعد ذلك مباشرة:

فاتّقِ الله في السرّ والعلانية، ولا تبيتنّ ليلةً مريداً مسلماً بغائلة، ولا

ص: 173

مُرصداً له بمظلمة، ولا حافراً له مهواة، فكم من حافرٍ حفيراً لنفسه ...

إلي آخر وصيّته.

فهو كلامٌ له دلالاتٌ ونتائج لا يمكننا التصريح بها، وهي أوضح من أن نذكرها وننوّه إليها لكلّ مَن اعتقد عصمة الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) وإمامته، بل حتّي لو افترضه صالحاً من صلحاء المسلمين، والعياذ بالله..ونحن نقول: ليس هذا هو مراده إن شاء الله، رغماً عن ظاهر العبارة ومفاد السياق.

المادّة الثالثة: تبييت يزيد وإرصاده وحفره لسيّد الشهداء (عليه السلام)

ورد في الكتاب ـ برواية الشجريّ ـ قول ابن عبّاس:

ولا تبيتنّ ليلةً مريداً مسلماً بغائلة، ولا مُرصداً له بمظلمة، ولا حافراً له مهواة، فكم من حافر حفيراً لنفسه، وكم من آملٍ لم يُؤتَ أمله، وكم من راجٍ لطول العمر مبسوطٍ له في بعد الأمل، فبينا هو كذلك إذ نزل القضاء، فقطع أمله ونقص عمره، وأخرجه من سلطان الدنيا الفانية إلي سلطان الله وعدله في الآخرة ((1)).

وروي سبط ابن الجوزيّ نفس المعني بعبارةٍ مختصرة ((2))..

ص: 174

1- الأمالي للشجري: 1 / 182.

2- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245: ولا تبيتنّ ليلةً وأنت تريد لمسلمٍ غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافرٍ لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمّلٍ أملاً لم يُؤت أمله.

ونحن لا نريد أن نبسط الحديث في نصائح ابن عبّاس لرجلٍ يعاقر الخمر ولا يصحو إلّا حين ينتشي بالسكر ويعبّ الكأس بعد الكأس غارقاً في الدنان..

بَيد أنّ فيها معنيً يشير إلي نكتةٍ مهمّةٍ جدّاً يمكن أن تُستفاد من جملة هذا المقطع من موعظته..

وخلاصة الكلام:إنّ ابن عبّاس يحذّر يزيد الحقد والعداوات من أن يبيت ليلةً وهو يريد بمسلمٍ غائلةً أو يرصده بمظلمةٍ أو يحفر له حفيراً..

ولا ننسي أنّ كلام ابن عبّاسٍ كلّه في سياق الردّ علي كتاب يزيد في قضيّة سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فهو يقرّ من خلال هذه الموعظة الّتي حذّر فيها يزيد أنّ يزيد قد فعل أو عزم علي فعل هذه الخصال القذرة، وقد بيّت لسيّد الشهداء (عليه السلام) غائلةً ورصده بمظلمةٍ وجعل يحفر له حفيراً.

وفي ذلك دلالةٌ واضحةٌ _ أو علي الأقلّ إشارةٌ صريحة _ إلي المخطّط الّذي رسمه يزيد وأسلافه للقضاء علي سيّد الشهداء (عليه السلام) وقتله، واستئصال شأفة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وآله (عليهم السلام) ، وأنّ القرد المسعور هو البادئ في

ملاحقة سـيّد الشـهداء (عليه السلام) والعازم علي إنشاب أظفاره في الهيكل المقدّس، والمبيِّت له والحافر له حفيرةً تشفي الأحقاد الأمويّة وتستوفي ثارات الجاهليّة..

فابن عبّاس لا يشـهد علي سـيّد الشـهداء (عليه السلام) أنّه خارجٌ علي يزيد، بعد أن أكّد له أنّه لم يكن ليخرج لأمرٍ يكرهه، ولم يقرّ أنّ سيّد الشـهداء (عليه السـلام) يبيّت القيام علي السـلطان والخروج بالمعني المصـطلح، وإنّما أقرّ أنّ يزيد يريد قتل سـيّد الشهداء (عليه السلام) ويبيّت له، ويسعي من أجل تحقيق ما يبيّته.

بمعني: أنّه يدعو يزيد ويعظه أن يكفّ عن ملاحقة سـيّد الشهداء (عليه السلام) ؛ لأنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) لم يأتِ _ علي الأقلّ إلي حين كتابة الكتاب _ بمايمكن أن يكون تهديداً ليزيد وحكمه وسلطانه.

وإن قلنا: إنّ النصيحة موجّهةٌ للطرفين _ والعياذ بالله _ كما قال ابن عبّاس من تماثل نصيحته لهما، فنستغفر الله ونتوب إليه، ولا نزيد.

المادّة الرابعة: النصيحة لأولاد البغايا

قال الشجريّ:

وخُذْ مع ما أُوصيك به من النصيحة لهذه الأُمّة بحظّك من الركوع والسجود آناء الليل وتارات النهار، ولا يشغلك عن ذكر الله (تعالي) شيءٌ من ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإنّ كلّ ما أنت مشتغلٌ به من ذات [الله] ينفع ويبقي، وكلّ ما أنت مشتغلٌ به عن ذات الله يضرّ

ويفني، فاجعلْ همّك فيما يُرضي ربّك، يكفك همّك ((1)).

وقال سبط ابن الجوزيّ:

وخُذْ بحظّك من تلاوة القرآن ونشـر السنّة، وعليك بالصيام والقيام، لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإنّ كلّ ما اشتغلتَ به عن الله يضـرّ ويفني، وكلّ ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقي، والسلام ((2)).نحسب أنّ ترك التعليق على هـذه الموعظة المؤثّرة خيرٌ من الانسياب معها، إذ أنّ ابن عبّاسٍ جعل يعظ ابن ميسون وحفيد هند المتولّد من سيلانات النطف القذرة الممزوجة بالخمرة في بيوت الدعارة وحانات السـكاري، الّتي تكاثفت في وجوده العفِن أعيانُ النجاسات متراكمـةً بعضـها فوق بعض، حتّي شبّ قرداً يلاعب أمثاله من القرود، وكبر مولعاً بالدماء الزاكية يلغ فيها ثملاً طروباً فرحان جذلان، ويري الدنيا رقعة شـطرنج يلعب عليها كما يمارس القمار، وقد نصحه أبوه من قبل وأصـحابه ليرعوي ويحفظ سلطانه ويتظاهر أمام الملأ بالنسك والصلاح، تماماً كما كان يفعل أبوه وغيره ممّن سبقوه من ملوك الإسلام، بما يضمن له راحة الانغماس في

1- الأمالي للشجري: 1 / 182.

2- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 144، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 245.

مستنقعات غابة القرود الآسنة الّتي تشيع فيها الرذيلة والنزوات..

أمثل يزيد يوعظ بهذه الموعظة؟!

لكن قد يقال: إنّ أداء التكليف في النصيحة يدعو لإسدائها، باعتباره قد تربّع علي تخت السلطان واستقرّ علي عرش الملك.

بَيد أنّ هذا النصح إنْ كان مباحاً، فلماذا أُبيح لمثل ابن عبّاسٍ وحُرّم علي سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) ، ولزم من إبدائه قتله؟

المادّة الخامسة: خاتمةٌ تفرّد بها الشجريّ

داجِ حسيناً، وارفقْ به، ولا تعجلْ عليه، ولا تنظره رأيه، عسي الله (عزوجل) أن يُحدث أمراً يلمّ به شعثاً ويشعب به صدعاً ويرتُق به فتقاً، والسلام ((1)).

داجي الرجلَ: ساتَرَه بالعداوة وأَخْفاها عنه، فكأنّه أتاه في الظُّلمة، وداجاه أيضاً: عاشَرَه وجامَله.

ويُقال: داجَيْتُ فلاناً، إذا ماسَحْتَه علي ما في قلبه وجامَلْتَه.

والمُداجاةُ: المُداراةُ، والمُداجاةُ: المُطاولة، وداجَيْتُه: أي داريته، وكأنّك ساترته العَداوة.

المُداجَاةُ _ أيضاً _ : المَنْعُ بين الشِّدَّةِ والإرْخاء.

1- الأمالي للشجري: 1 / 182.

والدَّجْيَةُ _ بالضمّ _ : قُتْرةُ الصائد ((1)).

وباقي المفردات واضحة، إلّا قوله: «ولا تنظره رأيه»، فلا ندري ما يقصد بقوله: «تنظره»؟ هل هو من النظرة، أي: التأخير، أو النظرة بمعني التناظر والمقابلة، فلابدّ أن يقول تناظره، أو النظرة بمعني التقبيح، فقد ورد استعمال النظرة في المرأة القبيحة، أو أيّ معنيً آخر يمكن أن ينطبق علي هذهاللفظة ممّا ورد في كتب اللغة عند تتبّع الاستعمال، فإنّنا لم نجد معنيً محصّلاً من هذا، ولعلّ أهل الاختصاص يعرفون ذلك.

علي العموم، فإنّ مؤدّي هذه المادّة هو استمهال يزيد الخمور ودعوته للتحلّم وضبط النفس والتريّث والتربّص بالإمام الحسين (عليه السلام) ، عسي أن تتحقّق الأغراض دون إثارة الفتن، فيلمّ الله بأمرٍ هو يُحدثه شعثاً ويشعب به صدعاً ويرتق به فتقاً.

فالأمر أشعث، والشعب منصدع، والرتق حاصل، وعسي الله أن يفعل أمراً يسدّ به هذه الخلال المتحقّقة، ويكون الفضل في ذلك ليزيد الخمور!

ص: 179

1- أُنظر: لسان العرب: دَجَو.

النسخة الثالثة: نسخة إلي عمرو بن سعيد

اشارة

روي الخوارزميّ فقال:

ثمّ أتي كتابٌ من يزيد بن معاوية إلي عمرو بن سعيد، يأمره فيه أن يقرأه علي أهل الموسم، وفيه: ... [وذكر الأبيات المذكورة]

ثمّ قال: وأتي مثله إلي أهل المدينة من قريش وغيرهم.

قال الشعبيّ: لَكأنّه ينظر إلي مصارع القوم ((1)).

ثمّ ذكر توجيه أهل المدينة الأبيات إلي الإمام (عليه السلام) وجواب الإمام (عليه السلام) ، مثل ما ذكره ابن أعثم.

*****

لقد مرّ الحديث عن أكثر مفاصل هذا النصّ، والّذي يهمّنا هنا بعض الإضافات الّتي وردت فيه:

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 218.

الإضافة الأولي: نسخة الأشدق

يبدو من النصّ أنّ هذه هي نسخةٌ أُخري للكتاب أرسلها القرد المخمور إلي الأشدق، ويبدو أنّ نسخته مع ما أرسله إلي أهل المدينة من بني هاشم واحدة، وهو يتضمّن الأبيات فقط، أمّا الزيادات الواردة في نسخة ابن عبّاسٍ فهي خاصّةٌ به دون غيره.

الإضافة الثانية: المخاطَب في هذه النسخة

يبدو أنّ المخاطَب بالكتاب ليس هو الأشدق بنفسه، وإنّما هو وسيلةٌ باعتباره الوالي والممثّل للقرد المسعور، وهو مكلَّفٌ بقراءته علي أهل الموسم، إذ أنّ الأبيات تتضمّن الاعتذار إلي أهل الموسم عن قتل ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، تماماً كما فعل مع قريش وبني هاشم وأهل المدينة في النسخة الأُولي، وليس الأشدق ممّن يُعتذَر إليه في ذلك ليكون مخاطَباً.

أضف إلي ما في صريح عبارة الخوارزميّ من أمر الأشدق بقراءته علي أهل الموسم.

وهو يحمل نفس الروح الخبيثة الّتي حملها الكتاب المرسل إلي أهل المدينة من الغطرسة والكبر والغرور علي الله وعباده، إذ لا سلام ولا بداية ولا ختام ولا بسملة، وإنّما تهديدٌ ووعيدٌ وإصحارٌ عمّا في الكامن العفن، والإعلان عن العزم الجادّ علي قتل سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) .

ص: 182

الإضافة الثالثة: قول الشعبيّ

روي الخوارزميّ قول الشعبيّ: «لَكأنّه ينظر إلي مصارع القوم» ((1)).

كلام الشعبيّ هذا يفيد أنّ يزيد القرود قد عبّر عن عزمه علي قتل الإمام (عليه السلام) ومَن معه تعبيراً واضحاً، وأنّه عازمٌ عن علمٍ وإصرارٍ مسبقٍ علي رسم المشهد الّذي يريد تحقيقه وينوي تنفيذه، حتّي لَكأنّه ينظر إلي مصارع القوم، وهو تعبيرٌ آخَر عن التحقّق والوقوع!

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 218.

لقاء ابن عبّاس وابن عمر بالإمام (عليه السلام)

اشارة

لا نريد الدخول في الحديث عن الإخبارات الغيبيّة والأحاديث الشريفة والنصوص المقدّسة، لأنّنا بنينا البحث هنا علي النصوص التاريخيّة وسياقات البحث التاريخيّ فقط.

بَيد أنّ النصّ التاريخيّ تضـمّن مفاداً قد يفاد منه الإخبار الغيبيّ، فنحن سوف نتناوله هنا ضمن الفهم والمذاقات التاريخيّة، ونترك البحث فيه كنصٍّ فيه إخبارٌ غيبيّ إلي محلّه.

فقد روي لنا ابن أعثم وعنه الخوارزميّ لقاءً جمع الإمام سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) وابن عبّاس وابن عمر، قالا _ في خبرٍ طويل _ بعد أن ذكر دخول سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي مكّة:

وبمكّة يومئذٍ عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن عمر، وقد عزما أن ينصـرفا إلي المدينة، فأقبلا حتّي دخلا علي الحسـين (عليه السـلام) ، فابتدأ ابن عمر بالكلام وحذّر الإمام، فقال: يا أبا عبد الله، اتّقِ الله! رحمك الله

الّذي إليه معادك، فقد عرفتَ عداوة هذا البيت لكم وظلمهم إيّاكم، وقد وليَ الناسَ هذا الرجل يزيدُ بن معاوية، ولستُ آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء، فيقتلوك ويهلك فيك بشرٌ كثير، فإنّي سمعتُ رسول الله (صلي الله عليه و آله) يقول: «حسينٌ مقتول، فلئن خذلوه ولم ينصروه لَيخذلنّهم الله إلي يوم القيامة».

وأنا أُشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، وتصبر كما صبرتَ لمعاوية من قبل، فلعلّ الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين ((1)).

*****

يمكن أن نستنطق النصّ المذكور من خلال الإضاءات التالية:

الإضاءة الأُولي: دخلا وقد عزما علي الانصراف

يُفهَم من النصّ أنّ العبدين كانا في مكّة، وكانا قد عزما علي الانصراف إلي المدينة، وكأنّهما قد قضيا عمرتهما، وهما ينويان العودة، فأقبلا قبل الخروج من مكّة حتّي دخلا علي سيّد الشهداء (عليه السلام) .

ويفيد تعبير المؤرّخ أنّهما دخلا علي سيّد الشهداء (عليه السلام) عند عزمهما

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

علي الرجوع إلي المدينة أنّهما لم يكونا قد اهتمّا بشأن سيّد الشهداء (عليه السلام) اهتماماً خاصّاً، فهما قد عزما علي العودة رغم دخول سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي مكّة دخولاً تحت طائلة الملاحقة وفي ظروفٍ حرجةٍ وحسّاسةٍ للغاية.

ولا نـدري إن كان دخولهما علي سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) تبرّعيّاً من عنـد أنفسـهما، أو كان تنفيذاً لأمر يزيد وتحقيقاً لما طلبه من ابن عبّاس في كتابه!

الإضاءة الثانية: محاولة الإبقاء علي سيّد الشهداء في الحرم

يبدو من صـياغة النصّ أنّهما قد أقبلا إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) محذّرَين معترضَين، في محاولةٍ منهما لثني أبي عبد الله (عليه السلام) عن الخروج إلي العراق وحبسه في مكّة والمدينة.

هـذا في ظاهر العبارة، وربّما أفاد التأمّل أنّهما إن أفلحا في إقناع الإمام (عليه السـلام) علي الإقامـة في مكّة أو الرجوع إلي المدينة، فإنّ ذلك سيؤول عاقبةً إلي تنفيذ المخطّط المرسوم، إذ أنّ الإمام (عليه السـلام) _ لا شكّ _ لا يقاتل في الحرم، فإمّا أن يتمكّنون من تحشـيد العسكر والهجوم عليه، تماماً كما فعلوا مع ابن الزبير، أو أنّهم سيغتالونه، كما أفادت النصوص وصرّح به سيّد الشهداء (عليه السلام) .

وهذا يعني أنّهما قد انساقا مع يزيد واستجابا لأمره ورغباته في الإبقاءعلي سيّد الشهداء (عليه السلام) في أحد الحرمين، سواءً قصدا ذلك أم لم يقصداه،

وقد أمر يزيدُ ابنَ عبّاس في كتابه إليه.

فكانت هذه المحاولة في نفس السياق والنسق، إذ أنّ الجميع يعلم أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) سيبقي مطوّق اليد محاصَراً في مكّة، يصبر عنهم ويحاول إبقاء سيفه في غِمده ما استطاع إلي ذلك سبيلاً، لئلّا تُهتَك به حرمة البيت الحرام، ويمكنهم حينئذٍ توظيف هذا العامل إلي أقصي ما يمكن توظيفه والاستفادة منه في حربهم مع سيّد الشهداء (عليه السلام) .

الإضاءة الثالثة: بدايةٌ وقحة!

إبتدأ العبد ابن عمر كلامه مع سيّد الشهداء (عليه السلام) بعبارةٍ تنمّ عن مدي وقاحته وسوء سريرته ومستوي انحطاطه الأخلاقيّ في عدم معرفته بالرجال ومنازلهم ومراتبهم ومقاماتهم..

تجرّأ في مفتتح الكلام، وابتدأ حديثه بقوله: «اتّقِ الله»!

مَن هو هذا العبد الّذي اتّخذ إلهه هواه، حتّي يأمر الإمام خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) بهذا الخطاب ويأمر بتقوي الله؟!

لا يقال: إنّ هذه الصيغة معتادةٌ في الحديث، وهي تعبيرٌ عن التحذير ودعوةٌ للتأمّل والتفكير والتريّث وما شاكل..

فإنّ وقوف مثل ابن عمر موقف المحذّر والداعي للتأمّل والتريّثوتقمّص شخصيّة الناصح المشير العاقل مقابل سيّد العقلاء وسيّد

الكائنات في عصره الإمام الحسين (عليه السلام) هو أيضاً ينمّ عن عدم معرفةٍ أو يكشف عن الغرور والتكبّر والتجبّر.

ليس لمثل هـذا العبد الحقير إلّا الإذعان أو الاقتداء بسـلفه، والفرار من الزحف والابتعاد عن ساحة المواجهة الّتي لا تليق بأمثاله، والاختفاء بعيداً عن بريق السيوف ووميض الرماح والأسنّة وشهب النبال والسهام.

مِن هوان الـدنيا علي الله أن يقف هـذا القزم هذا الموقف من سـيّد الخلق في عصـره، ويفوه أمامه بمثل هذه الكلمة ويأمره بمثل هذا الأمر، وكأنّه يذكّر الإمام (عليه السلام) بالله وبالقيامة والمعاد والوقوف بين يدَي الله.. «اتّقِ الله، رحمك الله الّذي إليه معادك».

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. لك الله يا أبا عبد الله، وما أعظم خُلقك وأوسع صدرك وأكبر حلمك!

الإضاءة الرابعة: ترتيب المقدّمات في كلام ابن عمر

اشارة

لقد قرّر ابن عمر في هذا النصّ جملةً من المقدّمات، ورتّب عليها نتيجةً خطيرةً لها علاقة بسيّد الشهداء (عليه السلام) من جهةٍ وبالناس من جهةٍ أُخري، مستدلّاً لذلك بما سمعه عن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) .ويمكن جمعها في المقدّمات التالية:

المقدّمة الأولي:

قـد قرّر ابن عمر أنّ بني أُميّـة لا زالت علي عـداوتها للحسـين (عليه السـلام) وآل الحسـين (عليهم السـلام) ، فيزيـد يتحرّك بـدافع العداوة والبغضاء والأحقاد والإحَن والشقاء القديم الّذي تجذّر في الشجرة الملعونة.

وقـد تبيّن من أسـلاف يزيـد _ والأشـياء تُعرَف بنظائرها _ أنّهم سـعوا في عـداواتهم وأحقادهم حتّي ترجموها بالقتل والقتال مع الحقّ، فقد حارب أبو سفيان رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، ولم يدخل الإسلام عمره إلّا ما تظاهر به حقناً لدمه، فدخل صاغراً طليقاً.

وقاتل معاوية الإمامَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، ولم تهدأ أحقاده حتّي قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وقاتل الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) ، حتّي قتله.

واليوم وصـلت النوبة لتبرز هذه الأحقاد في يزيد، فهو يريد قتل الإمام (عليه السـلام) لعداوته وحقده، ساعياً في نفس الطريق المظلم الّذي سلكه آباؤه ومَن سلّطهم من قبل.

كمـا قرّر أنّ بني أُميّة قـد ظلموا أهـل البيت (عليهم السـلام) ، وأنّهم علي هـذا المنوال لا ـ يفترون ولا يتراجعون، وهـم ماضون في ظلمهم لأهلالبيت (عليهم السـلام) ، فيزيد ظالمٌ لسـيّد الشـهداء (عليه السـلام) قبل أن يبدو من سيّد الشهداء (عليه السلام) موقف، وهو ظالمٌ له كأسلافه، سواءً اتّخذ سيّد الشهداء (عليه السلام) موقفاً أو لم يتّخذه، فظلم

الأمويّين ـ وخصوصاً يزيـد ـ لأهل البيت ليس سـببه ما يدّعونه من تحريض سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ضدّه وسـعيه للانقضاض علي سلطانه.

كما أكّد ابن عمر أنّ سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) عارفٌ بذلك عالمٌ به، يعرف الأُمويّين وعداوتهم وبغضـهم وأحقادهم علي أهل البيت (عليهم السلام) ، فالأمر ليس خافياً عليه.

فقد عرفتَ عداوة هذا البيت لكم وظلمهم إيّاكم..

هذا ما يخصّ يزيد والأُمويّين، وهو من الثوابت الّتي يعرفها الجميع، ويقرّ بها القريب والبعيد، وقد عرفها سـيّد الشـهداء (عليه السلام) كما عرفها ابن عمر!

المقدّمة الثانية:

قرّر أنّ الناس قد ولّوا يزيد ورضوا به، بمعني أنّ سلطنة القرد المخمور قد استقرّت ببيعة الناس له، وفراغهم من هذا الأمر المنجَز.

يبدو من كلام ابن عمر، وهو يخبر عن الجوّ العامّ ويتحدّث عن وضع الناس والمجتمع، ويؤكّد أنّ البيعة قد تمّت ليزيد، وقد دخلوا في طاعة القرود وانتهي الأمر، وقد وليهم يزيد، وتحكّم فيهم وتسلّط عليهم،فاجتمعت الأُمّة عليه، وإن كان ذلك بالباطل.

وهـذا يعني أنّ إباء سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) عن البيعـة في مدلول كلام ابن عمر يُعدّ خروجاً عن وحدة الأُمّة، وشـقّاً لعصاها، وتفريقاً لكلمتها، وابتعاداً عن جماعتها!!

ص: 191

المقدّمة الثالثة:

قد قرّر أنّ الناس يميلون إلي الصفراء والبيضاء، ويحبّون الدنيا ويحوطونها، ولا يمنعهم أن يكونوا يداً للقرد البطّاش، فيقتلون سيّد الشهداء (عليه السلام) لمكان الاحتفاظ بدنياهم، فيخذلون سبط النبيّ (صلي الله عليه و آله) ويقدّمونه للسيوف والرماح والسهام نهباً.

*****

وهذه المقدّمات الثلاث مسلَّمةٌ لا يناقش فيها أحد، وهي معلومةٌ لسيّد الشهداء (عليه السلام) ، وقد عبّر عنها هو بنفسه _ فداه العالمين _ في أكثر من موضع، كما هي معلومةٌ لكلّ المعاصرين، بل وغير المعاصرين ممّن يقرأ التاريخ ولو بعينٍ كليلة.

ومن هنا استخلص ابن عمر النتيجة:

النتيجة:

لمّا كان يزيد واحداً من بني أُميّة، بل هو وأبوه أخبثهم وأرجسهموأنجسهم، وكان قد وليَ الناس ودخل الناسُ في طاعته، والناس يميلون إلي البيضاء والصفراء والدنيا وعفنها..

ويزيد يريد قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، لشدّة عداوته ودوافعه الأُخري، فإنّ الناس سيميلون معه ويكونوا يداً علي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وسينتج من ذلك خطران عظيمان:

الخطر الأوّل: فيقتلوك..

الخطر الثاني: ويهلك فيك بشرٌ كثير..

ولا ندري إنْ كان الخطر الأوّل يهمّ ابن عمر أو الخطر الثاني؟

الإضاءة الخامسة: هلاك البشر!

الظاهر أنّه لا يقصد من (هلاك البشر الكثير في الإمام الحسين (عليه السلام)) أنّه سيُقتَل في الدفاع عنه بشرٌ كثير، إذ أنّه قرّر أنّ الناس سيميلون مع يزيد لمكان البيضاء والصفراء، وإنّما يعني الشقّ الثاني الّذي ذكره في حديث النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) الّذي رواه مستدلّاً له علي كلامه.

فالحديث قد أخبر ـ كما سنسمع ـ خبرين: أحدهما: قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، والآخَر: هلاك الناس بخذلانهم إلي يوم القيامة، لخذلانه وترك نصرته.

فهذا الّذي يعنيه ابن عمر من هلاك بشرٍ كثير، فكأنّه يقول لسيّدالشهداء (عليه السلام) : إنّ الناس سيخذلونك، ويتركوا نصرتك، وبهذا سيُخذَلون إلي يوم القيامة، وهذا يعني هلاكهم.

الإضاءة السادسة: حسينٌ مقتول!

بعد المقدّمة الّتي قدّمها ابن عمر، وأبان عداوة القوم وظلمهم لسيّد الشهداء (عليه السلام) ، ودأبهم وإصرارهم علي التوغّل في عداوتهم وظلمهم، وأنّ

النـاس قـد بـايعوا واستسـلموا، وهـم بطبعهـم يميلون إلي الـدنيا ويغترّون ببريق الصـفراء والبيضـاء، فمـا زال الناس أيـدٍ للقردة، يبطشون بها وينفّذون مآربهم.. استدلّ لما يقوله بحديثٍ سمعه عن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) :

«حسينٌ مقتول»!

كما قُتل النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وقُتلت فاطمة وقُتل أمير المؤمنين وقُتل الحسن (عليهم السلام) ، فالحسين مقتولٌ أيضاً!

مقتول.. لأنّ بني أُميّة الأعـداء الظـالمين لا زالوا مصـرّين علي القضاء علي آل البيت جميعاً.. لا زالت مراجل الحقـد والضـغينة والتِّرات والتشفّي بالانتقام للأشياخ تغلي في أعماقهم جيلاً بعد جيل، يوصي بها الغابرُ الحاضر..

مقتول.. لأنّ الناس لا زالوا يناولون القردة، ويتمسّكون بأعواد الشجرة الملعونة، ويتباعدون عن العروة الوثقي، وتتفلّت قبضاتهم عن أغصان شجرةطوبي..

مقتول.. لأنّ النـاس لا زالوا يمليون إلي الصـفراء والبيضاء، ولا زال الأعـداء يسـتقوون بالناس ويتّخـذونهم خولاً وأيـدٍ يبطشون بهم بالحقّ ورجاله بطش الجبّارين..

حسينٌ مقتول.. لأنّ العدوّ عازمٌ علي قتله، والناس عبيد الدنيا، وخول للسلطان..

حسينٌ مقتول.. لا لذنبٍ يرتكبه ولا لصوتٍ يرفعه، بل لأنّ العدوّ يريد قتله!

فالنبيّ (صلي الله عليه و آله) يُخبر عن أمرٍ مفروغٍ عنه بصيغة اسم المفعول: «مقتول»! ثمّ يُخبر عن موقف الناس، فيقول: «فلئن خذلوه ولم ينصروه»..

فالخذلان وترك النصرة مقابل القتل الواقع عليه، أي: تركوه ولم يدافعوا عنه، ولم ينصروه بمنع القتل عن الوقوع والتحقّق..

فالحديث كلّه يدور في مساحةٍ واحدة، وهو عزم العدوّ علي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) حتماً، وأنّ الناس لهم أن يمنعوا هذا القتل بنصره، والنصر هنا يعني دفع القتل عنه، والخذلان يعني التخلّي عنه ودفعه للسيوف الحاقدة..

فالحسين مقتول، وعلي الناس أن يدفعوا عنه القتل، فلا يخذلوه ولا يتركوا نصرته!

ليس في الحديث شيءٌ سوي الإخبار عن تحقّق وقوع القتل علي سيّدالشهداء (عليه السلام) ، أي: أنّه إخبارٌ عن عزم الأعداء علي ذلك وإصرارهم عليه، وتمكين الناس لهم من تحقيق هذه الجريمة العظمي.

وقد فهم ابن عمر هذا المعني من الحديث، فقدّم له تلك المقدّمات..

فليس في الأمر أكثر من الإخبار عن التعدّي علي سيّد الشهداء (عليه السلام) والعزم علي قتله، وخذلان الناس وتركهم نصرته والدفاع عنه.. فالحسين (عليه السلام) ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) .. مهجومٌ عليه.. مطارَد.. مطلوبٌ للقتل!

الإضاءة السابعة: فهم ابن عمر لموقف سيّد الشهداء (عليه السلام)

يبدو من كلام ابن عمر _ حسب هذا النصّ _ أنّه لم يفهم من سيّد الشهداء (عليه السلام) أنّه يريد شيئاً سوي أنّه يأبي البيعة، وأن يدفع عن نفسه وأهل بيته القتل الّذي عزم عليه العدوّ، ولذا قدّم له المقدّمات الّتي سمعناها قبل قليل، وعقّب علي الحديث الّذي رواه قائلاً:

وأنا أُشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، وتصبر كما صبرتَ لمعاوية من قبل، فلعلّ الله أن يحكم بينك وبينالقوم الظالمين ((1)).

تخيّل ابنُ عمر أن لو صبر الإمام (عليه السلام) كما صبر أيّام معاوية، فلعلّ الأمر ينتهي لصالح الإمام (عليه السلام) ، فلا يُقتَل، ثمّ يحكم الله..

لقد شهد ابن عمر كما شهد العالمون جميعاً أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) صبر أيّام معاوية، وهي الفترة الأطول من إمامته، فقد صبر زهاء عشر سنوات، طغي فيها الجبّار معاوية أيّما طغيان، ولم يكن يزيد ينزو علي الأعواد لأكثر من أيّامٍ قليلةٍ فقط.

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

الإضاءة الثامنة: إشارة ابن عمر!

اشارة

أشـار ابن عمر علي الإمـام (عليه السـلام) تبرّعـاً من دون أن يطلب منه الإمام (عليه السـلام) مشورةً ورأياً، إن لم نقل أنّه كان ينفّذ المهمّة الموكولة إليه مِن قِبل القرد المسـعور، أو سـعيه هو أيضاً لتحقيق مآربه في آل الرسول (صـلي الله عليه و آله و سـلم) في إقناع سـيّد الشهداء (عليه السلام) للبقاء في مكّة، حتّي يتسنّي لهم تنفيذ الاغتيال أو الأسر، فيقتلونه أو يأخذونه أخذاً كما قال الإمام (عليه السلام) .

وقد جمع رأيه في الأُمور التالية:

الأمر الأوّل: الدخول في صلح ما دخل فيه الناس

أن يـدخل في صـلح ما دخل فيه الناس، وهـذا يعني أن يناول القرد الخليع ويبايع له، فهو يدعو الإمام (عليه السـلام) إلي نفس ما دعاه إليه يزيد القرود، وكان من دون ذلك دم سيّد الشهداء (عليه السلام) الّذي سكن في الخلد.

الأمر الثاني: الصبر كما صبر علي معاوية

أن يصبر علي يزيد كما صبر علي معاوية من قبل، وقد نسي هذا الغبيّ أنّ يزيد لا يقبل من الإمام (عليه السلام) إلّا البيعة أو القتل، بل إنّه ـ بقرينة سير الحوادث وشهادة سابق التاريخ ـ لا يترك الإمام (عليه السلام) حتّي لو كان قد بايع، وسيقتله بأيّ ذريعة، ولو لم يتوفّر علي ذريعةٍ لَاغتاله بالسمّ كما اغتال أبوه الإمامَ المجتبي (عليه السلام) .

ثمّ إنّ هـذا الغبيّ نسـي أنّ معاويـة قـد تارك الإمامَ (عليه السـلام) فتاركه الإمامُ (عليه السـلام) ، أمّا يزيد فإنّه قد عزم على قتل الإمام (عليه السلام) وعدم متاركته.

الأمر الثالث: تهديد الإمام (عليه السلام)

لقـد حذر ابن عمر الإمام (عليه السـلام) وأمره بتقوى الله! وقدّم له مقدّمةً تفيد أنّه مقتولٌ بحسابات الظاهر المنظور من عداوة الأُمويّين وميل الناس معهم وسـلطنة يزيد، وأكّد ذلك بالإخبار الغيبيّ بما سـمعه من النبيّ (صـلى الله عليه و آله و سلم) ، فهو يريد أن يهدّد الإمام (عليه السلام) بالقتل ويقول له: إمّا أن تدخل في صلح ما دخلالناس فيه وتبايع، وأمّا أن تُقتَل لا محالة.

هـذا هو محصّل كلام ابن عمر، وهو نفس كلام يزيـد القرود، لا يختلف عنه بتاتاً إلّا في طريقة التعبير ومحاولة الإقناع بالنتيجة، فالمطلوب نفس المطلوب، والأُسلوب نفس الأُسلوب، والتخيير نفس التخيير، ومؤدّي الخطاب نفس مؤدّي الخطاب:

إمّا أن تبايع، أو تُقتَل!

الإضاءة التاسعة: ردّ الإمام (عليه السلام)

اشارة

ردّ عليه الإمام (عليه السلام) بجوابٍ يفيد أنّ ما فعله هو الامتناع عن البيعة ليزيد ليس إلّا، فقال:

«يا أبا عبد الرحمان، أنا أُبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال رسول

ص: 198

الله (صلي الله عليه و آله و سلم) فيه وفي أبيه ما قاله؟!».

وسيأتي بعد قليلٍ إقرار ابن عبّاسٍ بما قاله النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) في يزيد.

بَيد أنّ الملاحَظ في ردّ الإمام (عليه السلام) بعد الاستنكار الشديد علي ابن عمر:

الملاحظة الأُولي: إنكار الدعوة للدخول في صلح يزيد

إنّ الإمام (عليه السلام) لم يُنكر علي ابن عمر سوي دعوته للدخول في صلح يزيد ومناولته والبيعة له.. ولم يدّعِ الإمام (عليه السلام) شيئاً آخَر بعد ذلك!فليس ثمّة موضوعٌ تكلّم به ابن عمر سوي الدعوة للدخول في صلح يزيد ومبايعته، لذا كان جواب الإمام (عليه السلام) عن الموضوع نفسه.

بمعني أنّ تحذير ابن عمر إنّما كان يركّز علي ترك البيعة وعدم الاسترسال مع يزيد، وليس علي فعلٍ يريد الإمام (عليه السلام) الإقدام عليه، إذ ليس ثمّة عملٌ معيَّنٌ وإقدامٌ خاصٌّ يلوح في الأُفق ويبدو في كلام الإمام (عليه السلام) أو حركاته ونشاطاته كي يحذّره منه ابن عمر.

ويؤكّد ذلك أنّ ردّ الإمام (عليه السلام) انحصر علي دعوته، واستنكر عليه هذه الدعوة وقد قال النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) في يزيد ما قاله، ولم يبرّر له ما يريد الإقدام عليه، ولو كان ثمّة هجومٌ مبيَّتٌ لَبان في جواب الإمام (عليه السلام) ، ولَأشار إليه وكشف عن مسوّغاته ومبرّراته مثلاً أو استدلّ له.

الملاحظة الثانية: إذا كان الإمام مقتول، فلماذا يُدعي للبيعة الصاغرة؟

بناءً علي ما ذكره ابن عمر في كلامه من تصويرٍ للظاهر المنظور واستدلالٍ بحديث النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وكذلك ما سيذكره ابن عبّاس، فإنّ الإمام (عليه السلام) أراد الإشارة إلي أنّ يزيد عازمٌ علي قتله كيف ما كان وبأيّ حجّةٍ ولأيّ سبب، سواءً أبايع أم لم يبايع، فكيف يدعوه ابن عمر لاختيار القتل مع الدنيّة؟!

الإضاءة العاشرة: عزم يزيد علي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) بتقرير ابن عبّاس

اشارة

بعد أن استنكر الإمام (عليه السلام) علي ابن عمر دعوته لبيعة يزيد والدخول في صلح ما دخل فيه الناس، واحتجّ عليه بقول النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) في يزيد، قرّر ابن عبّاس كلام الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) بما قاله النبيّ الأعظم (صلي الله عليه و آله و سلم) .

فقال ابن عبّاس:

صدقتَ أبا عبد الله، قد قال النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) : «ما لي وليزيد؟ لا بارك اللهُ في يزيد! فإنّه يقتل وَلدي ووَلد ابنتي الحسين بن عليّ، فوَالّذي نفسي بيده لا يُقتَل ولدي بين ظهراني قومٍ فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم» ((1))..

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

يمكن أن نجد في كلام ابن عبّاسٍ عدّة إقراراتٍ وإفادات:

الإفادة الأُولي: تظافر الشهادات علي يزيد

تظافرت في هذا اللقاء عدّة شهاداتٍ رُويت عن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، شهد بها أطراف الحوار جميعاً:

شهادة ابن عمر أوّلاً، إذ روي عن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) أنّه قال: «حسينٌ مقتول، فلئن خذلوه ولم ينصروه لَيخذلنّهم الله إلي يوم القيامة»..

ثمّ جاءت شهادة سيّد الشهداء (عليه السلام) وأصدق الخلق: «وقد قال رسولالله (صلي الله عليه و آله و سلم) فيه وفي أبيه ما قاله؟!»..

وصدّق ابنُ عبّاسٍ سيّدَ الشهداء (عليه السلام) وشهد بما سمعه من النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) : قال النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) : «ما لي وليزيد؟ لا بارك الله في يزيد! فإنّه يقتل ولدي ...».

نجد هنا أنّ المتحاورين الثلاثة قد اتّفقوا علي الرواية عن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ما يخصّ يزيد ويذمّه ويقضي عليه باللعنة والإبعاد والتفريغ من أيّ بركةٍ وفائدة.

الإفادة الثانية: عزم الرجس علي قتل الطُّهر

يبدو واضحاً من هذا الحديث الّذي ذكره ابن عبّاس تأكيداً لموقف

ص: 201

سيّد الشهداء (عليه السلام) تقريراً منه أنّ يزيد عازمٌ علي قتل الحسين (عليه السلام) ، وقد أخبر النبيّ (صلي الله عليه و آله) بعزمه ودعا عليه، لأنّه سيفعل ذلك ويحقّقه، فيزيد مُقدِمٌ علي فعلته، سواءً توفّرت له المسوّغات المنظورة أو لم تتوفّر، إذ أنّ المسوّغات الظاهريّة الّتي سيعلنها علي رؤوس الملأ ممّا يسمّيه خروجاً علي السلطة وشقّاً للعصا بالامتناع عن البيعة إنّما هي لتفسير موقفه أمام الملأ في حاضره ومستقبله، أمّا العامل الأصليّ ـ والكلام هنا خارج دائرة العامل الغيبيّ ـ إنّما هو الأحقاد الذاتيّة والضغائن والعداوة، ونجاسة المعدن ورجس المنبت، والانتقام لجيفهم وفطائسهم في بدرٍ وما تلاها، وغيرها منالدوافع..

فيزيد لا ينفكّ عن إصراره علي الإقدام علي الجريمة العظمي، لعداوته وبغضه للنبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وللوصيّ وللأوصياء من بعده (عليهم السلام) ، أو لامتثال الأوامر وتحقيق ما صبا إليه أبوه ومَن سلّطهم علي رقاب الناس.

الإفادة الثالثة: موقف الناس

بعد أن ذكر النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) موقف يزيد، وتأوّه النبيّ (صلي الله عليه و آله) ونفث حزنه وألمه وقال: «ما لي وليزيد؟»، وأخبر أنّ يزيد عازمٌ بجدٍّ علي قتل الحسين (عليه السلام) من دون جُرمٍ يجترمه، ذكر ما يتعلّق بموقف الناس، فقال:

«فوَالّذي نفسي بيده، لا يُقتَل ولدي بين ظهراني قومٍ فلا يمنعونه ...».

يُقتل بين ظهراني قوم.. فلا يمنعونه! لا يمنعون القتل عنه!

يزيد يقتل.. والناس لا يمنعون القتل!

الإفادة الرابعة: المطلوب من الناس

ليس المراد من الناس أكثر من أن يمنعوا القتل عن سيّد الشهداء (عليه السلام) .

قتلٌ محقَّقٌ قصده العدوّ، فهو مطلوبٌ ومهدور الدم، ولم يُكلَّف الناسُ بأكثر من الوقوف دون وقوع هذه الجناية العظمي وصدّ العدوّ ودفع القتل عن سيّد الشهداء (عليه السلام) ..المطلوب ليس هو القيام مع الحسين (عليه السلام) إذا دعاهم لحرب العدوّ، وإنّما الوقوف مع الحسين (عليه السلام) إذا هجم عليه العدوّ ليقتله.. الوقوف معه لصدّ الهجوم عنه، إذ قال: «فلا يمنعونه»، يمنعوا القتل، أو يمنعوا الحسين (عليه السلام) ، فلا يكون المطلوب منهم أكثر من الدفاع عن الحسين ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ..

المطلوب ليس هو عدم خذلان سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) بالاصطفاف معه حينما يدعوهم لمواجهة السلطة ويدعوهم لإسقاط حكم القرود، وإنّما المطلوب هو خذلان الظالم والدفاع عن الإمام الحسين (عليه السلام) حينما يهجم عليه السلطان ويقصد القضاء عليه وقتله، ودفع القتل عن ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ..

لا تجد في حديث النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) في جميع الشهادات المذكورة في هذا اللقاء ما يفيد أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) سيهجم وعلي الناس أن يقوموا معه، وإنّما

ص: 203

سيهجمون علي الإمام (عليه السلام) ، وعلي الناس صدّ الهجوم عنه!

الإفادة الخامسة: أثر الخذلان

حينما يمتنع الناس عن الدفاع عن الإمام (عليه السلام) حتّي يُقتَل بين ظهرانيهم، فإنّ الله سيرميهم بداءٍ عضال، فيخالف بين قلوبهم وألسنتهم، وهو صورةٌ مجسّدة للنفاق والكذب، وهما أُمّ الرذائل وأصلها، ومَن تطبّع الكذبوالنفاق لا يمتنع عن أيّ رذيلةٍ ودنيّة، ويمضي أمره في سفال، والعياذ بالله.

الإضاءة الحادية عشر: بكاء الحسين (عليه السلام) وابن عبّاس!

بعد أن أكّد ابن عمر أنّ العدوّ عازمٌ علي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأنّ الناس موقفهم مع العدوّ لمكان ميلهم إلي الصفراء والبيضاء، وأنّ كلامه هذا صحيحٌ واستنتاجه صائب، بدليل إخبار النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) عن عزم العدوّ وإشارته إلي موقف الناس وخذلانهم حتّي يُقتَل بين ظهرانيهم، وتأكيد سيّد الشهداء (عليه السلام) أنّه لم يفعل سوي الامتناع عن البيعة، وليس له في مواجهة القرود قولٌ ولا فعل، وأكّد ابن عبّاسٍ ما قاله ابن عمر وقرّر ما قاله سيّد الشهداء (عليه السلام) بالحديث الّذي سمعناه، فحينئذٍ بكي ابن عبّاسٍ وبكي معه سيّد الشهداء (عليه السلام) ..

ويبدو أنّ تفسير هذا البكاء يكاد ينحصر في التعبير عن المظلوميّة،

وغربة سيّد الشهداء (عليه السلام) في هذه الأمّة ومحاصرته ومطاردته وبقائه وحيداً فريداً، وخذلان الأمّة لابن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وابن ابنته (عليهما السلام) ، وتسليمه إلي الطاغي ليقتله دونما رعاية لحقّ رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) فيه.

ولو كان ثمّة أفكارٌ واهتماماتٌ أُخري سوي المظلوميّة تجلّل الموقف وتغطّي الأجواء، لما كان للبكاء معنيً واضح! وممّا يؤكّد ذلك ما سنسمعهفي العنوان التالي.

الإضاءة الثانية عشر: إعلان سيّد الشهداء (عليه السلام) عن مطاردته وعزمهم علي قتله وإهدار دمه وإزعاجه بلا مسوّغ، وتظلّمه ومناشدته

بعد أن بكي ابن عبّاسٍ وبكي معه الإمام الحسين (عليه السلام) ، قال مخاطباً ابن عبّاس:

«أتعلم أنّي ابنُ بنت رسول الله؟»).

فقال: اللّهمّ نعم، لا نعرف في الدنيا أحداً هو ابن بنت رسول الله غيرك، وأنّ نصرك لَفرضٌ علي هذه الأُمّة، كفريضة الصيام والزكاة الّتي لا تُقبَل إحداهما دون الأُخري! ((1))

ص: 205

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

كأنّ سـيّد الشـهداء (عليه السلام) يقيم علي ابن عبّاسٍ ومَن بلغ الحجّة، ويسأله إن كنتُ ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وكلّهم يعلم ويقرّ ولا مناص له من الاعتراف بذلك، فلِمَ يلاحقوني ويريدون قتلي من دون جرمٍ ولا قصاص؟

فهو يسأل ابن عبّاس ليقرّره ذلك، فيجيب ابن عبّاس مقرّاً معترفاً عنهوعن غيره، إذ يردّ علي الإمام (عليه السـلام) بضمير الجمع: «لا نعرف»، مؤكّداً أن ليس علي وجه الأرض يومها ابن بنت نبيّ غير سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) ، وهذا لا ينفي أن يكون للنبيّ (صلي الله عليه و آله و سـلم) غير سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) أبناء، لأنّهما يتحـدّثان عن ذلك اليوم بالـذات لا عمّا مضـي من الأيّام، وهما يتحدّثان عن (الابن) علي وجه الخصوص، وإلّا فالصديقة الصغري وأُختها أُمّ كلثوم بنات رسول الله، والحكم جارٍ فيهما أيضاً.

ويقرّر ابن عبّاس أيضاً أنّ نصـر سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) فرضٌ علي الأُمّة، والنصـر هنا معلومٌ تماماً، وهو الذبّ والدفاع عنه ومنع قتله، ويشهد له ما احتجّ به سيّد الشهداء حيث قال (عليه السلام) :

«يا ابن عبّاس، فما تقول في قومٍ أخرجوا ابن بنت رسول الله من وطنه وداره وموضع قراره ومولده وحرم رسوله ومجاورة قبره ومسجده وموضع مهاجرته، وتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقرّ في قرارٍ

ولا يأوي إلي وطن، يريـدون بـذلك قتله وسـفك دمه، وهو لـم يُشـرك بالله شـيئاً ولا اتّخـذ دون الله وليّاً، ولـم يتغيّر عمّا كان عليه رسول الله (صلي الله عليه و آله) وخلفاؤه من بعده؟» ((1)).

اَلله أكبر! أتجد تصـريحاً أكثر وضوحاً وتعبيراً من هذا التصـريح؟سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) يفسّـر خروجه من المدينة ويعلّله بكلماتٍ واضحاتٍ بيّناتٍ صريحات، لا تكاد تقبل التأويل ولا الالتفاف عليها، ولا إقحام ما ليس منها فيها!

إنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) لم يخرج من المدينة طواعية، وإنّما أخرجوه وهو ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ..

أخرجوه من وطنه وداره..

أخرجوه من موضع قراره، فلم تعد المدينة له موضع قرار..

أخرجوه من مولده ومسقط رأسه..

أخرجوه من حرم الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) الّذي يعتقد به ويؤمن به (رسوله)، والظاهر أنّ الهاء في رسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) يعود علي سيّد الشهداء (عليه السلام) بقرينة السياق..

أخرجوه، وحرموه من مجاورة قبر جدّه ومسجده، وهو شرع لكلّ

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

المسلمين..

أخرجوه من موضع مهاجرة جدّه (صلي الله عليه و آله و سلم) ، الموضع الّذي بايع فيه المهاجرون رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) جدّه أن يدفعوا عنه وعن أهله كما يدافعون عن أهاليهم وذويهم..

تركوه خائفاً!

تركوه مرعوباً!تركوه لا يستقرّ في قرار!

لا تقلّه الأرض ولا تظلّه السماء! (فكأنّما الدنيا عليه محرّم)..

تركوه لا يأوي إلي وطن! (لا يدري أين يُريح بُدن ركابه)..

طاردوه هذه المطاردة، وحاربوه هذه الحرب القاسية، لا يريدون بذلك سوي شيءٍ واحد!

إنّهم جعلوا المطالبة بالبيعة ذريعةً ليس إلّا، لأنّهم يعلمون أنّه لن يُبايع، أمّا قصدهم الأساس هو ما صرّح به سيّد الشهداء (عليه السلام) وحصره..

إنّهم يريدون قتله وسفك دمه!

هم يريدون قتله، وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتّخذ دون الله وليّاً، ولم يخرج عن ملّة الإسلام، ولم يغيّر عمّا كان عليه رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) وخلفاؤه من بعده!

إنّه لم يفعل ما يستوجب القتل علي جميع المباني والشرائع.. لا علي

شريعة الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، ولا علي شريعة السقيفة..

لم يفعل ما يستوجب المطاردة وإهدار الدم والقتل..

هكذا تظلّم الإمام (عليه السلام) ، وصرّح بوضوحٍ عن سبب تركه المدينة ودخوله مكّة لائذاً عائذاً بالله وببيته..

إنّما ترك المدينة؛ لأنّهم أخرجوه واضطرّوه للخروج عن وطنه، لأنّهم يريدون قتله وسفك دمه.. لا ـ لأنّه يريد الخروج منها ليواجههم ويحاربهموقد خطّط لإسقاط حكمهم والانقضاض علي ملكهم، بل إنّما خرج لأنّهم أرادوا أن يستبيحوا حرمته وحرمة جدّه ومدينة جدّه الّتي جعلها النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) حرماً آمناً ما بين لابتَيها..

ولو كان ثَمّة سببٌ آخَر لَأشار إليه أبو الشهداء (عليه السلام) ولَنوّه إليه، ولَما اقتصر في تحريضهما علي الذبّ عنه شخصيّاً والدفاع عن دمه ومنع القتل عنه.

تصريحٌ واضحٌ جليٌّ من سيّد الشهداء (عليه السلام) أنّ القوم أرادوا قتله وسفك دمه، فخرج مضطرّاً لحفظ نفسه وحرمه، فهم أرادوا قتله فخرج، لا أنّه أراد قتلهم وقتالهم فخرج!

ولو كان ثمّة تخطيطٌ مسبَقٌ عند الإمام (عليه السلام) للانقضاض علي السلطة وتقويض دعائم بني أُميّة الحاكمة، لَأشار إليها ولو من بعيد! إنّه لم يذكر علّةً لخروجه من المدينة سوي الدفاع عن نفسه النفيس ـ فداه روحي ـ!

ص: 209

الإضاءة الثالثة عشر: إقرار ابن عبّاس بمظلوميّة الإمام (عليه السلام)

اشارة

يمكن الحديث في هذه الإضاءة ضمن اللمعات التالية:

اللمعة الأُولي: الإقرار بالمظلوميّة والحكم علي الناس

أجاب ابن عبّاسٍ مناشدة الإمام (عليه السلام) وتظلّمه دون اعتراضٍ عليه، فلم يقل له: أنت الّذي عزمتَ علي الخروج من المدينة بحثاً عن أنصارٍ ومبايعين يلتفّون حولك ويقاتلون بين يديك لتقاتل المتسلّطين علي الناس والغاصبين للحكم، وإنّ مَن يطلب مثل ما تطلب لا يخاف ولا يكلّ، وعليك أن تنظر إلي الناس، فإنّهم كما أخبرك ابن عمر عبيد الصفراء والبيضاء، وقد بايعوا يزيد وما لهم فيك مأرب.. وغيره من كلامٍ يشبه هذا.

وإنّما أقرّ بما جري لسيّد الشهداء (عليه السلام) من خذلانٍ ومطاردةٍ وتنجيزٍ لإرادة قتله وسفك دمه، وحكم علي الناس بقوله:

ما أقول فيهم (إِلّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَي) ((1))، (يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلّا قَلِيلاً * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَي هَؤُلاء وَلاَ إِلَي هَؤُلاء) ((2))_ الآية، فعلي مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبري.

ص: 210

1- سورة التوبة: 54.

2- سورة النساء: 142 و143.

وأمّا أنت أبا عبد الله، فإنّك رأس الفخار، ابنُ رسول الله وابنُ وصيّه، وفرخُ الزهراء نظيرة البتول، فلا تظنّ يا ابن رسول الله بأنّ الله غافلٌ عمّا يعمل الظالمون ...

فهم كفّارٌ بالله وبرسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، منافقون، لا يذكرون الله، ظالمون، تنزلعلي مثلهم البطشة الكبري..

والإمام خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) مظلوم، وهو ابن رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) وابن وصيّه (عليه السلام) ، وفرخ الزهراء نظيرة البتول (عليهما السلام) الّتي عاداها قومها لأنّها ولدت عيسي (عليه السلام) ..

والحسين (عليه السلام) بعين الله، واللهُ لا يغفل عمّا يعمل الظالمون.. فلا يظنّ!! الحسين (عليه السلام) أنّ الله يغفل عن ظليمته..

وربّما كان قصده مِن «لا تظنّ» المواساة والتعزية والتسلية لسيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأنّه بعين الله.

هذا، إنْ أحسنّا الظنّ بابن عبّاس، وإلّا ففي لحن كلامه سوء أدبٍ مع الإمام (عليه السلام) ، «فلا تظنّ..»، إذ لا ينبغي لمثل ابن عبّاس أن يعظ الإمام (عليه السلام) ويذكّره ويعلّمه أنّ الله لا يغفل عن الظالمين!

وما مدح به ابن عبّاس سيّد الشهداء (عليه السلام) كلّها حقائق لا ينكرها أحد، وقد ذكرها ابن عبّاسٍ للمقارنة بينه وبين أعدائه الّذين يريدون قتله.

اللمعة الثانية: تأكيد ما ذكره الإمام (عليه السلام)

ثمّ أكّد ما ذكره الإمام (عليه السلام) من إرادة قتله وسفك دمه بشهادةٍ قدّمها بين يدَي الإمام (عليه السلام) ، فقال:وأنا أشهد أنّ مَن رغب عن مجاورتك وطمع في محاربتك ومحاربة نبيّك ((1))، فما له في الآخرة من خَلاق ((2)).

فهم الّذين رغبوا عن مجاورة الإمام (عليه السلام) ، وطمعوا في محاربته ومحاربة نبيّ الله (صلي الله عليه و آله و سلم) وبنيه، وهؤلاء ليس لهم في الآخرة من خَلاق..

هم الّذين طمعوا في محاربة الإمام (عليه السلام) ، وليس الإمام (عليه السلام) هو مَن بادر إلي محاربة أحدٍ أو منافسة أحدٍ أو الدعوة إلي البيعة في مقابل بيعة أحد!

وقد أشهد سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) اللهَ علي شهادة ابن عبّاس، فقال: «اللّهمّ اشهدْ ...».

المقابلة في كلام ابن عبّاسٍ بين مجاورة الإمام (عليه السلام) ومحاربته، فهي مِن جانب الإمام (عليه السلام) مجاورة، ومن جانب الأعداء طمعٌ في محاربته، ويبدو واضحاً ما في الطمع من إشعارٍ عميق.

ويبدو أنّهما معاً (المجاورة والطمع في المحاربة) إذا اجتمعا تجعلان

ص: 212

1- في المقتل: (مجاورة نبيّك).

2- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

الفرد ما له من خَلاق.

اللمعة الثالثة: اللّهمّ اشهدْ

بعد أن أنهي ابن عبّاسٍ كلامه، قال الإمام (عليه السلام) : «اللّهمّ اشهدْ ...» ((1)).

أوَ ليس يعني ذلك: اللّهمّ اشـهد علي ابن عبّاس؟ اللّهمّ اشـهد أنّ ابنعبّاس يزعم أنّه يعرفني، وأنّي رأس الفخار، وأنّ مَن يرغب عن مجاورتي ويطمع في محاربتي كافرٌ منافقٌ يستحقّ أن تنزل عليه البطشة الكبري!

اللّهمّ اشهد أنّ ابن عبّاسٍ يزعم أنّ مَن يرغب عن مجاورتي ويطمع في محاربتي ما له من خَلاق..

اللّهمّ اشـهد أنّ ابن عبّاسٍ قال هذا كلّه، وهو يعلم ما يقول، وهو يعرف يزيد ويعرف ريحانة النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سلم) ، ويعلم أنّ ابن النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سـلم) والوصـيّ (عليه السـلام) والطاهرة البتول (عليها السـلام) في خطر، وأنّه مظلوم، وأنّ القوم لا يتركوه حتّي يقتلوه..

اللّهمّ اشـهدْ.. لا يمكن التفكيك بينها وبين كلام ابن عبّاس، وأنّها شـهادةٌ عليه فيما قال، وتسـجيلٌ وتثبيتٌ لما قال، وأنّه هو ابن عبّاسٍ الّذي قال، والله لا يضلّ ولا ينسي..

يبدو أنّ ابن عبّاس فهمها، فقال: كأنّك تريدني إلي نفسك ...

ص: 213

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

اللمعة الرابعة: كأنّك تريدني إلي نفسك!

فقال ابن عبّاس: جُعلتُ فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنّك [تنعي إليّ نفسك، و] تريدني إلي نفسك وتريد منّي أن أنصـرك! واللهِ الّذي لا إله إلّا هو أنْ لو ضربتُ بين يديك بسيفي هذا حتّي انخلع جميعاً من كفّي [خ ل: كتفي]، لَما كنتُ ممّن أُوفي من حقّك عُشر العشر! وها أنا بين يديك، مُرْنيبأمرك.

بعـد كـلّ الحُجـج الّتي أقامها عليهما سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ، أدرك ابن عبّاس علي نحو الاحتمال (كأنّك) أنّ سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) مظلومٌ معتديً عليه، وهو في خطر، وكأنّ سـيّد الشهداء (عليه السلام) يريده ليدفع عنه ويمنعه، وأنّه يريد منه أن ينصره! فأقسم بالله أن لو ضرب بين يديه حتّي ينخلع كتفه أو كفّه لما وفي من حقّه عُشر العشر، وأعلن أنّه بين يدَي سيّد الشهداء (عليه السلام) يأتمر بأمره..

فهل وقف يذبّ عن سـيّد الشهداء (عليه السلام) ؟ وهل كان صادقاً فيما قال بحيث يوافق قوله عمله؟! أو أنّه كأهل الكوفة وغيرهم ممّن أعلن النصرة أوّلاً، فلمّا جدّ الجدّ وكشّر العدوّ عن أنيابه وصرّت الحربُ أسنانها وقامت علي ساقٍ انكفأ؟!

أكان ابن عبّاسٍ علي استعدادٍ لبذل مهجته في الدفاع عن ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ؟

فلمَ لمْ يحضر كربلاء؟!

ص: 214

لم يحضر ابن عبّاس! ولا يبدو الاعتذار له أنّه كان كفيفاً اعتذاراً مقبولاً، فهو إنّما أعلن عن نصرته، لأنّه كان قادراً عليها ولو بما يناسبه.

لم يدفع أحدَ أولاده وإخوته وأولاد إخوته، أو أيَّ أحدٍ من رجال بني العبّاس وشبابهم وفتيتهم للحضور بين يدَي سيّد الشهداء (عليه السلام) !

إنّ القوم لا يردعهم رادعٌ عن ارتكاب الجناية العظمي، وقد عدَوا عليابن بنت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) فذبحوه، بَيد أنّهم ربّما تريّثوا أو تذبذبوا وارتجّ موقف بعضهم إذا رأي ابن عبّاسٍ في صفّ سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وهو صديق عمر، وله عند رجالات السقيفة المنزلة والمكانة والوجاهة الوجيهة..

هلّا نصر إمامه بخطبةٍ أو كلمة، أو مكاتباتٍ مستمرّةٍ مع يزيد القرود، أو حثٍّ وتشجيعٍ للحجيج ليعرّفهم بمظلومية إمامهم وابن نبيّهم، وغيرها ممّا كان بالإمكان أن يكون لو أراد أن يكون؟

لقد أذن سيّد الشهداء (عليه السلام) لأهل بيته وأصحابه بصراحةٍ وبوضوحٍ في أكثر من موقف، بَيد أنّهم لم يخذلوه.. ولم يحضر أحدٌ من بني العبّاس كربلاء!!

لقد قال له سيّد الشهداء (عليه السلام) :

«فامضِ إلي المدينة في حفظ الله، ولا تُخفِ علَيّ شيئاً من أخبارك ...».

قالها له سيّد الشهداء (عليه السلام) مبادراً مستدركاً كلامه بعد أن أنهي كلامه

مع ابن عمر، كما سنسمع بعد قليل.

«وأنت يا ابن عبّاس، فامضِ إلي المدينة».. وهذا الاستدراك والمبادرة بعد أن قطع ابن عمر كلام ابن عبّاس وتدخّل، وتداول الكلام مع الإمام (عليه السلام) ، فردّه الإمام (عليه السلام) ، ثمّ التفت إلي ابن عبّاسٍ فقال له: «وأنت.. فامضِ..»، يُشعر بعدم جدّيّة ابن عبّاسٍ في ما عرض، وأنّه أعلن ذلكليستفيد من حياء الإمام (عليه السلام) وإبائه وترفّعه واستغنائه، وهو يعلم _ لمعرفته بالإمام (عليه السلام) _ أنّه سيأذن له ويصرفه، والإمام (عليه السلام) أعرف الخلق بالخلق، وقد أطلعه الله علي نوايا العباد، والمواقف تكشف الرجال، وتقاسيم الوجه وتعابير العيون ومعاني الوجه قد تنطق بما لا ينطق به اللسان.

فإن كان الإمام (عليه السلام) قد أذن لابن عبّاسٍ في هذا الموقف، فلقد استنهضه في موقفٍ بعده حين كتب كتابه إلي بني هاشم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن عليّ إلي بني هاشم، أمّا بعد، فإنّه مَن لحق بي استُشهد، ومَن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح، والسلام» ((1)).

1- أُنظر: بصائر الدرجات للصفّار: 1 / 482 الباب 9 ح 5، كامل الزيارات لابن قولويه: 75 الباب 23 ح 15، دلائل الإمامة للطبري: 188، نوادر المعجزات للطبري: 245، المناقب لابن شهرآشوب: 10 / 98 _ بتحقيق: السيّد علي أشرف.

ولو كـان ابن عبّـاسٍ جادّاً فيما عرضه علي الإمام (عليه السـلام) من النصـرة حتّي ينخلع كفّه أو كتفه، لَلزم ركاب الإمام (عليه السـلام) وما فارقه، بل سارع إلي بيعة يزيد وهو في مكّة، كما أشرنا إلي ذلك فيما مضي من البحث وذكرنا مصادره.

ولا يصـلح الاعتـذار له بكبر السن؛ وذلك لأنّه لا يكبر الإمام (عليه السـلام) بحساب السـنين إلّا بضع سـنين بالاتّفاق، وقـد قاتل بين يدَي الإمام (عليه السلام) مَن هو أكبر منه سنّاً بكثير، وأبلي بلاءً حسناً، وهو من بني هاشم!

ولاـ يفيـد كلاـم الإمـام (عليه السـلام) أنّه قـد كلّفه بمهمّـةٍ تخلّفَ مِن أجلها فيالمدينـة، إذ أنّه قال له: «امضِ إلي المدينـة، ولا تُخفِ علَيّ أخبارك».. أخباره هو شخصـيّاً كابن عمٍّ للإمام الحسين (عليه السلام) ، ولم يطلب منه أن يخبره بما يجري في المدينة، كأن يكون عيناً له أو ما شاكل.

إنّها الأخلاق الحسينيّة، والمداراة، والاهتمام بالرحم أيّاً كان!

علي كـلّ حال، فإنّ عبارة الإمام (عليه السـلام) : «فامضِ إلي المدينـة في حفظ الله» قـد لا تفيـد حتّي الإذن، وإنّما عرض ابنُ عبّاسٍ علي الإمام (عليه السـلام) نصـرته عرضاً محرجاً بعـد أن أقام الإمام (عليه السـلام) عليه الحجـج والبراهين، من خلال كلامه معه مباشـرةً أو من خلال كلامه مع ابن عمر، وهو يسـمع، فأُحرج الرجل واضـطُرّ إلي عرض نصرته غير راغبٍ فيها، والإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) معدن الحياء وأصله، وهو لا يريد أن يقاتل معه أحدٌ محرَجاً، كما بان لنا

من خلال تعامله مع أصحابه وأهل بيته، فقال له: «وأنت يا ابن عبّاس، فامضِ إلي المدينة»..

فربّما أشعر ذلك أنّ الإمام (عليه السلام) أراد أن يرفع الحرج عنه، فقال له: «امضِ إلي المدينة»، فاستقبلها ابن عبّاس، ومضي.. ولو كان صادقاً فيما زعم لَأقام حتّي يكلّ عن فري أوداج الأعداء، ويُقتَل بين يدَي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، أو علي الأقلّ لَراجع الإمام (عليه السلام) ولو مرّةً واحدةً بعدها!

ويُلاحَظ أنّ ابن عبّاس لم يَعِد الإمام (عليه السلام) بالقتال بين يديه حتّي الموت، وإنّما قال له: «لو ضربتُ بين يديك بسيفي حتّي ينقطع وتنخلع يدايجميعاً، لَما كنتُ أبلغ من حقّك..»، فهو لم يفترض القتل بين يدَي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وقد افترض القتال افتراضاً مستخدماً (لو)! والحال أنّه قدّم له: «كأنّك تنعي إليّ نفسك»، فهو قد علم من كلام الإمام (عليه السلام) أنّ الإمام (عليه السلام) ينعي نفسه وأنّه سيُقتَل، ولكنّه لم يَعِد الإمام (عليه السلام) أن يُقتَل دونه، وإنّما وعده أن يقاتل ما استطاع إلي القتال سبيلاً.

*****

لكن يبقي هذا فرقٌ بين ابن عبّاسٍ وابن عمر؛ إذ أنّ ابن عبّاسٍ هاشميّ، وقد عاش في أجواءٍ قريبةٍ من سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وتعلّم من الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) شيئاً من الأدب، والهاشميّ _ في الغالب _ بطبعه دمث الأخلاق، رقيق، ليّن العريكة، مجامل، عذب البيان، ذَلِق اللسان،

مرهف الحسّ، حاذق، ذكيّ، حاضر البديهة، بليغ التعبير.

لذا انبري ابن عبّاسٍ ليعالج حرجه بعد أن لاحت الحجّة وتمّ البيان، ليعلن عن موقف، وإن لم يكن له بالحسبان، ولم يفكّر في الثبات عليه، وهو يعرف الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأنّه سوف لا يكرهه علي شيءٍ هو يعلم أنّه غير جدّيّ فيه، فيجعله بما عنده من حذق وخبرة له أماناً ورخصةً و إذناً وعذراً وفسحة.

بيد أنّ ابن عمر _ الّذي نشأ علي يدَي أبيه الّذي أجمع الناسُ علي وصفه بالغلظة والفضاضة وصلابة الوجه _ لم يُبدِ هذا القدر من المجاملة،ولم يتحرّج من الموقف، وكأنّه من أهل القبور.. (وما أنت بمسمعٍ مَن في القبور).

الإضاءة الرابعة عشر: سماجة ابن عمر، مع اعترافه أنّ العدوّ عازمٌ علي قتل الحسين (عليه السلام)

لقد سمع ابن عمر كلام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، والمفروض فيه أن يعيَ الأسباب الّتي ذكرها الإمام (عليه السلام) ، والدوافعَ الّتي اضطرّته إلي ترك المدينة والتوجّه إلي مكّة البلد الحرام، وكان في ما عرضه سيّد الشهداء (عليه السلام) ما يكفي لو لم يكن في العقل خفّةٌ وقدرةٌ علي التعايش مع التناقضات والتسليم للتخريف والمماحكات..

لقد بكي ابن عبّاس، وبكي سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ، ولم يحدّثنا الراوي أنّ ابن عمر بكي هنا، رغم حضوره في نفس المكان واشتراكه في الموقف، وبعد كلّ ما جري من حديثٍ يُفهِم الغبيّ فضـلاً عن الفطن، ويُدركه مَن له أدني مسكةٍ من عقل، عاد ابن عمر ليُقبِل علي سيّد الشهداء (عليه السلام) ويقول:

مهلاً أبا عبـد الله عمّا أزمعتَ ((1)) عليه، وارجعْ معنـا ((2)) إلي المدينـة، وادخلْ في صـلح القوم، ولا تغب عن وطنك وحرمجـدّك، ولا تجعل لهؤلاء القوم الّذين لا خَلاق لهم علي نفسك حجّةً وسبيلاً، وإنْ أحببتَ أن لا تبايع فإنّك متروكٌ حتّي تري رأيك، فإنّ يزيد بن معاوية عسي أن لا يعيش إلّا قليلاً، فيكفيك الله أمره ((3)).

*****

لا يُدري بماذا يُفسَّر كلام ابن عمر؟ كيف يعود إلي نفس الموقف ويعيد نفس الكلام؟!

أوَليس قد عرف أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) لن يبايع يزيد؟

أوَليس قد حكم علي نفسه حينما سأله سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأكّد

1- في (المقتل): (عزمت).

2- في (الفتوح): (من هنا).

3- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

بنفسه أن لا يجدر بمثل الحسين ابن بنت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) أن يكون علي خطأ، ولا يصلح لمثل الحسين (عليه السلام) أن يسلّم علي يزيد القرود والخمور بالخلافة؟!

أوَليس قد أبان له سيّد الشهداء (عليه السلام) أنّه خرج من المدينة مضطرّاً مهدَّداً مهدور الدم مباح الحرمة، لولا أن تداركها هو _ فداه روحي _ بخروجه؟!

أنسي الظليمة التي تظلّم بها سيّد الشهداء (عليه السلام) في نفس الموقف، أم تغابي عنها، أم أنّه غبيٌّ لا يسعه فهم الكلام؟

أم أنّه يريد أن يشكّك في كلام الإمام (عليه السلام) ؟أم أنّ الدنيا أعمته وأصمّته، وأفقده ميله إلي الصفراء والبيضاء صوابه؟!

أم أنّ مبادئ السقيفة تشرّبت في عروقه، وطرائق السلف عرّقت في كيانه ووجوده؟

أم أنّه أراد أن يتظاهر بزيّ المتنسّكين؟

أو حاول أن يُبدي نفسه في زمرة العقلاء والمدبّرين؟

أو أنّه كان يُفرغ عن لسان يزيد وطواغيته، ويسعي جاهداً لتحقيق أغراضه ليبلغ مآربه في قتل ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ؟

أو هي جميعاً مجتمعة؟! ربّما!

لقد عاد من جديدٍ يهوّن الخطب، وكأن لم تعد الدنيا محرّمة علي قرّة عين الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) وبضعته، وكأن لم يتقاذفه الفضاء الأعظم نتيجة ملاحقة القوم لسبط النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وكأن لم يزبد يزيد ويرعد ويتوثّب ويغلي بطبعه كقردٍ متوحّشٍ مسعورٍ ليلغ في الدماء الزاكية، فيطالب الولاة برأس الحسين (عليه السلام) !

ثمّ إن عاش يزيد طويلاً، فماذا سيصنع الإمام (عليه السلام) ؟ وهل كان ابن عمر مخوّلاً بهذا الكلام من قِبل يزيد؟ وهل كانت عنده عهودٌ ومواثيقٌ من الله أن سيقضي علي يزيد عاجلاً ويريح سيّد الشهداء (عليه السلام) منه؟!

الإضاءة الخامسة عشر: ردّ سيّد الشهداء (عليه السلام)

اشارة

ردّ عليه سيّد الشهداء (عليه السلام) ردّاً أبلغه فيه تذمّره من كلامه، ثمّ جعل يناشده ويحتجّ عليه، حتّي حَجَّه وأقام عليه الحجّة كاملةً تامّة، فقال (عليه السلام) :

أُفٍّ لهذا الكلام أبداً ما دامت السماوات والأرض! أسألك بالله يا أبا عبد الرحمان ((1))، أعندك أنّي علي خطأٍ من أمري هذا؟ فإنْ كنتُ عندك علي خطأٍ فردّني عنه، فإنّي أخضع ((2)) وأسمع وأُطيع.

فقال ابن عمر: اللّهمّ لا، ولم يكن الله (تبارك وتعالي) ليجعل ابن

1- في (الفتوح): (عبد الله).

2- في (المقتل): (أرجع).

بنت رسوله علي خطأ، وليس مثلك في طهارته وصفوته وموضعه من الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) أن يسلّم علي يزيد بن معاوية باسم الخلافة ((1))، ولكن أخشي أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وتري من هذه الأُمّة ما لا تحبّ، فارجعْ معنا إلي المدينة، وإن لم تحبّ أن تبايع ((2)) فلا تبايع أبداً واقعد في منزلك ((3)).

*****

تضمّن هذا المقطع من النصّ عدّة مضامين:

المضمون الأوّل: لو كان الحياء رجلاً لَكان الحسين (عليه السلام)

قال رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) في حديث: «لو كان الحياء رجلاً لَكان الحسين (عليه السلام) » ((4))، وهو إمام الخلق، ويجري فيه ما يجري في جدّه رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) .. (وَإِنَّكَ لَعَلي خُلُقٍ عَظِيمٍ)!

وما أوسع صدر سيّد الشهداء (عليه السلام) الّذي رضّته الخيل؟! كيف تعامل مع الوغد الغبيّ، والمتسافل المتملّق، المتمسّك بذيل القرد المخمور، ووسعه

1- في (الفتوح): (علي مثل يزيد بن معاوية لعنه الله باسم الخلافة).

2- في (المقتل): (وإن شئت أن لا تبايع).

3- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

4- أُنظر: مئة منقبة لابن شاذان: 136 المنقبة 68.

وتواضع له؟!

أوَ مثل سيّد الشهداء (عليه السلام) وسيّد شباب أهل الجنّة يقول له: «فإن كنتُ عندك علي خطأٍ فردّني، فإنّي أخضع وأسمع وأُطيع»؟!!

أيّ حلمٍ هذا؟ وأيّ تواضع؟ وأيّ يقين؟ لا والله لا يمكن أن يكون إلّا في المظهر الحقّ لصفات الله وجماله وجلاله.

أمّا أن يُفهم من هذا الكلام أنّ الإمام (عليه السلام) قد جعل في رأيه مساحةً للخطأ والصواب خارجةً عن الاختيار، فهو فرضٌ مرفوضٌ عند القائل بإمامة الإمام الحسين (عليه السلام) وعصمته، وسيأتي الكلام في ذلك عن قريب.

أجل، قد يكون ـ علي أقصي التقادير ـ من باب المحاجة والتسليم، علي وزان قوله (تعالي): (إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَي هُدًي أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ((1))،وحمل الأوّل للأوّل والثاني للثاني.

المضمون الثاني: أُفٍّ لهذا الكلام!

كانت دعوة ابن عمر تتلخّص في أن يتمهّل الإمام (عليه السلام) فيما عزم عليه، ويرجع الإمام (عليه السلام) إلي المدينة، ويدخل في صلح القوم، ولا يجعل للقوم عليه حجّةً وسبيلاً، ويترك الأمر حتّي يموت يزيد، وهو يأمل أن يعيش قليلاً.

1- سورة سبأ: 24.

فردّ عليه الإمام (عليه السلام) : «أفٍّ لهذا الكلام ما دامت السماوات والأرض..».

أُفٍّ لهذا الكلام أبد الدهر.. أُفٍّ لهذا الكلام كلّه بجميع فقراته..

أُفٍّ لهذا الكلام؛ لأنّه يتضـمّن الإفك علي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، والتعامي والتغافل والتغابي عن الحقائق والوقائع المنظورة لكلّ ذي عينين..

أُفٍّ لهذا الكلام؛ لأنّه ينمّ عن جهلٍ مطبق مطلَق بالإمام (عليه السلام) ..

أُفٍّ لقوله: «مهلاً عمّا أزمعتَ عليه»؛ لأنّه كـذبٌ علي الإمام (عليه السـلام) ، إذ أنّه لـم يزمع إلّا علي الدفاع عن نفسه، فكيف يدعوه للتمهّل في ذلك؟

أُفٍّ لقوله: «ارجع معنـا إلي المدينـة»؛ لأنّه صمّ أُذنه وطبع علي قلبه، ولـم يسـمع الإمام (عليه السـلام) وهو يتظلّم إليه ويشـرح له ظروفه في المدينة وسبب خروجه منها، وملاحقة القوم له وإزعاجه، فخرج مضطرّاً لا راغباً في الخروج!

أُفٍّ لقوله: «ادخل في صـلح القوم»؛ لأنّه يعرف سيّد الشهداء (عليه السلام) ،ويعرف القوم، ويعلم أنّ مثل الإمام (عليه السلام) لا يصلح له أن يدخل في صلحهم ويبايعهم ويناول القرود، ويعلم أنّ القوم لا يبغون الصلح، وإنّما يريدون قتل الإمام (عليه السلام) .

أُفٍّ لقوله: «لاـ تغب عن وطنـك وحرم جـدّك».. وهو يعلم مـا تجرّعه الإمام (عليه السـلام) من القوم قبل أن يخرج ويغيب عن وطنه وحرم جدّه، وهو يُوري بكلامه هذا الأحزانَ في قلوب مَن كان مع الإمام (عليه السلام) ، ويضاعف

وجْدَهم وألمهم الّذي خلّفه الفراق لتربة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ومسقط الرأس.

أُفٍّ لقوله: «لا ـ تجعل لهؤلاء القوم الّـذين لا خَلاق لهم علي نفسك حُجّـةً وسبيلاً».. إن كان يعترف ابن عمر أنّ هؤلاء القوم لا خلاق لهم، ويؤمن أنّ الإمام ابن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وسيّد المسلمين، فكيف يفوه بمثل هذا الهراء، إن كان يتلو كتاب الله العزيز وهو يقول: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَي الْمُؤْمِنينَ سَبِيلاً) ((1))؟

ثمّ بماذا يكون لهؤلاء الذين لا خلاق لهم علي سيّد الشهداء (عليه السلام) الحجّة والسبيل، وهو لم يفعل شيئاً، ولم يُعلِن شيئاً، ولم يتّخذ موقفاً سوي إباء البيعة؟

أيكون الدفاع عن النفس جرماً يؤاخَذ به الرجل؟أُفٍّ له؛ لأنّه صمّ سمعه عن كلام الإمام (عليه السلام) ، وهو يُخبره عن موقفه في المدينة.

أيُّ حجّةٍ لهم عليه أو سبيلٍ كي يريدون قتله وسفك دمه، وهو لم يُشرك بالله شيئاً، ولا اتّخذ من دون الله وليّاً، ولم يتغيّر عمّا كان عليه رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) وخلفاؤه من بعده؟

أُفٍّ لقوله: «إن أحببت أن لا تبايع، فإنّك متروكٌ حتّي تري رأيك»..

1- سورة النساء: 141.

فمَن هو ابن عمر هذا؟ أيقول ما يقول بتخويلٍ من يزيد؟ فقد كذب وكذب يزيد، إذ أنّ يزيد أبي إلّا أن يخيّر الإمام (عليه السلام) بين السلّة والذلّة، وبين المناولة والقتل، فكيف يزعم ابن عمر أنّه إن أحبّ أن لا يبايع، وأنّه متروكٌ حتّي يري رأيه؟

ألم يخبرهم سيّد الشهداء (عليه السلام) أنّه لن يبايع، فأبوا إلّا أن يبايع أو يُقتل؟ فكيف يزعم ابن عمر من عند نفسه ذلك، وقد سمع من الإمام (عليه السلام) ما أخبره به في نفس الموقف؟

أيكذّب هذا الصعلوك الواطي الإمامَ سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ويقول له: إنّك إن أقمت في المدينة ولم تبايع، فإنّهم سوف يتركونك؟

أم أنّه لا يفهم ولا يّدرك ولا يعقل، وقد أخبره الإمام (عليه السلام) بمجريات أحداث المدينة ومحاصرته هناك وتخييره؟ ألم يسمع كلام الإمام (عليه السلام) ؟ ألم يدرك كلام الإمام (عليه السلام) ؟ ألم يفهم كلام الإمام (عليه السلام) ؟بأيّ لغةٍ كلّمه سيّد الشهداء (عليه السلام) ؟ ألم يكلّمه باللغة العربيّة، وهو أميرها ومالكها، فلماذا لا يفهم ولا يُدرك؟

أُفٍّ لقوله: «فإنّ يزيد بن معاوية عسي أن لا يعيش إلّا قليلاً»؛ لأنّه يغالط ويراوغ مراوغة الثعلب الماكر الخبيث، لأنّه يريد أن يستمهل الإمام (عليه السلام) ، ويستبقيه في محلّه حتّي يتسنّي للقرد أن يفعل فعلته كما خطّط لها، فيقضي علي الإمام (عليه السلام) غيلةً أو أسراً في المدينة بين ظهراني الأنصار

والمهاجرين وفي حرم الرسول الأمين (صلي الله عليه و آله و سلم) .

فيزيد لا ـ يترك الإمام (عليه السلام) قطعاً جزماً، كما أخبر ابن عمر نفسه، وأخبر ابن عبّاس، وشهدت بذلك سلوكيّاته وتحرّيّاته وكتبه وفعّاليّاته، وبذلك فإنّ الإمام (عليه السلام) سوف لن يعيش إلّا قليلاً إن رجع إلي المدينة، فكيف يتعامي ويتغابي ويريد أن يُقنع الإمام (عليه السلام) بهذه الوسائل الطائشة الّتي تنمّ عن رعونته؟

ثمّ إنّه لم يكن هو ممّن يعرف الآجال والمنايا، فمَن ذا الّذي يضمن أنّ يزيد سيعيش قليلاً؟ فإن طال به الأمد، فهل سيكفّ عن الإمام (عليه السلام) ولا ينشب فيه أظفاره ومخالبه؟

وإن كفاه الله أمره فأماته، فستنتهي القضيّة وتصفو الأجواء ويكون البلد سلاماً علي ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وبنو أمية لا زالوا يتسلّقون الواحد تلو الآخَر علي أعواد المنبر، يرصدون لآل رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ويبيّتون القضاء عليهمواستئصالهم عن جديد الأرض؟

أُفٍّ لكلّ كلمةٍ من كلمات ابن عمر.. أُفٍّ لكلّ جملةٍ خرجت من فمه.. أُفٍّ لكلّ كلامه من أوّله إلي آخره..

أُفٍّ لأفكاره وطريقة عرضه وإقناعه.. أُفٍّ لإفكه وكذبه وغبائه وإعراضه عن استماع الحقّ وفهمه واتّباعه..

أُفٍّ لدعوته وبيانه ومغالطاته ومراوغته... أُفٍّ لكلامه.. أُفٍّ لا ينتهي

ولا ينقضي ما دامت السماوات والأرض.. أفٍّ له أبداً لا أمد له..

المضمون الثالث: القسَم علي ابن عمر

قال له الإمام (عليه السلام) : «أُفٍّ لهذا الكلام»، ولم يقل له: أُفٍّ لك.. إنّه الأدب والحلم الحسيني!

ثمّ ناشده الإمام (عليه السلام) ، وأقسم عليه بالله، وسأله وخاطبه باسمه: «أسألك بالله يا عبد الله».. وفي نسخة الخوارزميّ خاطبه بكنيته: «يا أبا عبد الرحمان!»، فالسؤال له بالذات دون غيره.

ثمّ سأله الإمام (عليه السلام) سؤالاً واحداً: «أنا عندك علي خطأٍ من أمري هذا؟».

يُلاحَظ أنّه سأله إن كان علي خطأٍ عنده، يعني إن كان ابن عمر شخصيّاً يعتقد أنّ الإمام (عليه السلام) علي خطأ! فالإمام (عليه السلام) هو إمامٌ عالمٌ عارفٌ بما أقدم عليه من أمره، فهو علي يقينٍ من أمره، إنّما يريد أن يقرّر ابن عمر ويحتجّعليه ويحكمه بما يعتقده هو بالذات.

ثمّ عاد الإمام (عليه السلام) ليؤكّد له نفس المضمون بعبارةٍ أُخري في نفس الجملة: «فإن كنتُ عندك علي خطأٍ فردّني».

وهذه العبارة تحمل روح العبارة الأُولي من الإشارة بوضوحٍ إلي اعتقاد ابن عمر شخصيّاً بخطأ الإمام (عليه السلام) .. «فإن كنتُ عندك»، ولم يفترض الإمام (عليه السلام) في موقفه خطأً كي يُقال: إنّ الإمام (عليه السلام) جعل في رأيه مسافةً لإمكان الخطأ والصواب!

ص: 229

المضمون الرابع: الأمر الّذي كان عليه الإمام (عليه السلام)

حينما يقول الإمام (عليه السلام) لابن عمر: «علي خطأٍ من أمري»، ينبغي أن نعرف هذا الأمر الّذي كان عليه الإمام (عليه السلام) إلي تلك اللحظة الّتي حصلت فيها المحاورة علي الأقلّ.

ومن الواضـح من خلال تتبّع النصّ وسـير الأحـداث أنّ غايـة ما كان من أمر الإمام (عليه السـلام) يومذاك إنّما هو الامتناع عن البيعة الّذي أعلنه الإمام (عليه السلام) عند والي المدينة، ولم نسمع في التاريخ أيّ نشاطٍ إلي تلك الساعة قد مارسه الإمام (عليه السلام) أو مَن كان معه من أهل بيته وأتباعه.

الامتناع عن البيعـة فقط! هذا هو الأمر الّذي كان عليه الإمام (عليه السـلام) ، لا غير، ويؤكّد ذلك أنّ حديث ابن عمر البائس إنّما كان يتركّز علي الدخولفي البيعة والدخول في صـلح يزيد وفي صـلح ما دخل فيه الناس.. ولم يكن ثَمّة أمرٌ آخَر تعرّض له ابن عمر في كلامه أو سجّله التاريخ غير الإباء عن البيعة.

فسؤال الإمام (عليه السـلام) من ابن عمر إنْ كان مخطأً في أمره علي اعتقاد ابن عمر إنّما ينحصر في هذا الأمر الوحيد إلي تلك الساعة، كما سنسمع ذلك واضحاً من جواب ابن عمر حينما ردّ علي هذا السؤال بالذات.

المضمون الخامس: فردّني..

يبدو أنّ قول الإمام (عليه السلام) : «فردّني، فإنّي أخضع وأسمع وأُطيع»، إن كان ابن

عمر يعتقد أنّ الإمام (عليه السـلام) علي خطأٍ في امتناعه عن البيعة، أشـبه ما يكون بالتعليق علي المسـتحيل، من قبيل: (فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ) ((1))، إذ يسـتحيل أن يكون الإمـام (عليه السـلام) علي خطـأ، وهو المعصوم المسـدَّد من الله، وخامس أصـحاب الكساء (عليه السلام) ، وقد فرض الله طاعته علي العباد، بل علي المخلوقات جميعاً.

فالإمـام معصومٌ من جهـة، ومفروض الطاعـة علي العبـاد من جهـةٍ أُخري، فلاـ يمكن أن يخطـأ، ولا أن يخضع أو يطيع غيره من الخطّائين المذنبين فيأمرٍ لا يعرفونه ولا يمكنهم إدراك كنهه.

غير أنّ الإمام (عليه السـلام) جري معه مجري التسـليم الجـدليّ ومـداراة الجاهل، وعبّر له عن ثقته ويقينه بصـحّة ما يفعله من الامتناع عن البيعـة، وسايره ليقرّره بنفسه، ويفسح له المجال ليعترف بخطئه هو (أي: ابن عمر) بلسانه، ويشـرح بنفسه مسوّغات الإمام (عليه السـلام) في الامتناع، وأنّ الإمام (عليه السلام) علي حقّ، وأنّ ابن عمر علي خطأٍ فيما يقول.

المضمون السادس: من فوائد التقرير

لقد قرّر سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ابن عمر علي صحّة موقفه، وأقسم عليه كي يستلّ منه هذا الاعتراف، فيكون حجّةً عليه، فلا يتقوّل فيما بعد علي

1- سورة الأنبياء: 63.

الإمام (عليه السلام) ، ولا يُقبَل منه إذا زعم أنّ الإمام (عليه السلام) كان علي خطأ، وأنّه قد نصح الإمام (عليه السلام) ليصحّح له موقفه، ويكفّ عن بثّ الشبهات ورمي الإمام (عليه السلام) بالتهم والإفتراءات الّتي كان الإمام (عليه السلام) يلحّ في دفعها عند خروجه من المدينة.

فلا يقولنّ ابن عمر فيما بعد أنّه كان أشراً أو بطراً أو مفسداً أو ظالماً، كما فعلها الخبيث فيما بعد!

الإضاءة السادسة عشر: جواب ابن عمر

اشارة

قال ابن أعثم:فقال ابن عمر: اللّهمّ لا، ولم يكن الله (تعالي) يجعل ابن بنت رسوله علي خطأ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) علي مثل يزيد بن معاوية (لعنه الله) باسم الخلافة، ولكن أخشي أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وتري من هذه الأُمّة ما لا تحبّ، فارجعْ معنا إلي المدينة، وإن لم تحبّ أن تبايع فلا تبايع أبداً واقعد في منزلك ((1)).

وقال الخوارزميّ:

فقال ابن عمر: اللّهمّ لا، ولم يكن الله (تبارك وتعالي) ليجعل ابن

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 _ 44.

بنت رسوله علي خطأ، وليس مثلك في طهارته وموضعه من الرسول أن يسلّم علي يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشي أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وتري من هذه الأُمّة ما لا تحبّ، فارجعْ معنا إلي المدينة، وإن شئت أن لا تبايع فلا تبايع أبداً واقعد في منزلك ((1)).

*****

تتضمّن هذه الإضاءة عدّة مطالب:

المطلب الأوّل: الارتباك في تعبير ابن أعثم

يُلاحَظ شيءٌ من الارتباك في تعبير ابن أعثم، سيّما في المقطع الأوّل منه في قوله: «وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول _ وفي نسخة: آل الرسول _ علي مثل يزيد بن معاوية (لعنه الله) باسم الخلافة»، إذ أنّ قوله: «باسم الخلافة» كأنّ الجار والمجرور لا متعلّق له.

أضف إلي أنّ لعن يزيد يبدو أنّه من ابن أعثم أو من الناسخ، ومن البعيد أن يكون اللعن صادراً من ابن عمر، لأسبابٍ لا تخفي علي مَن يعرفه، ولخلوّ متن الخوارزميّ منه.

بَيد أنّ نصّ الخوارزميّ الّذي يروي عن ابن أعثم خالياً من هذه

ص: 233

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 _ 193.

الملاحظات، وربّما كانت نسخ ابن أعثم المتعدّدة قد تعرّضت للتشويه، وسلمت النسخة الّتي وصلت إلي الخوارزميّ ونقل عنها، وربّما يشهد لذلك صورة النسخة الخطّيّة الّتي حصلنا عليها، فإنّ فيها تشويهاً بالحبر في مواضع كثيرة لا تروق أتباع السقيفة.

لذا سنعتمد متن الخوارزميّ هنا، إذ أنّ المضمون والمحتوي والمراد واحد رغم ارتباك عبارة ابن أعثم، إلّا أنّها تفيد نفس ما في عبارة الخوارزميّ تماماً.

المطلب الثاني: استشهاد ابن عمر بالله

لقد ناشد الإمام (عليه السلام) مخاطبه ابن عمر بالله، وأقسم عليه أن يقول ما يعتقد، لذا بدأ ابن عمر جوابه بالاستشهاد بالله: «اللّهمّ، لا»، فهو يُشهد الله أنّ الإمام (عليه السلام) ليس علي خطأ، وإنّما هو علي صوابٍ من أمره، ثمّ أخذ في ذِكر الدليل علي ما يعتقده من صحّة موقف الإمام (عليه السلام) .

فهو إذن يعتقد أنّ الإمام (عليه السلام) ليس علي خطأٍ من أمره! عجبٌ والله! ما سنسمعه منه بعد قليل..

المطلب الثالث: أدلّة ابن عمر علي صحّة مواقف الإمام

اشارة

بعد أن شهد ابن عمر لله أنّ الإمام (عليه السلام) ليس علي خطأ، وأنّه علي صوابٍ من أمره، أخذ يذكر لما أعلنه من أدلّةٍ تجعله واثقاً من موقف الإمام (عليه السلام) ، فذكر عدّة أدلّة:

الدليل الأوّل: العصمة والتسديد الإلهيّ

كأنّه أراد أن يعبّر عن العصـمة بطريقته من دون الإذعان بها للإمام (عليه السـلام) مباشـرة، فقال: «ولم يكن الله (تبارك وتعالي) ليجعل ابن بنت رسوله علي خطأ»، فهو ينفي الخطأ عن الإمام (عليه السـلام) هنا بسبب التسديد الإلهيّ الخاصّ لابن بنت رسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وهو تعبيرٌ آخَر عن العصمة، غير أنّ العبارة فضفاضةٌ واسعةٌ يمكن التنصّل عن الإقرار بالعصمة الّتي أثبتها الله لأهلالبيت (عليهم السلام) ، وإرجاع قوله إلي ما يذهب إليه الجمهور إذا اضطرّته الضرورة إلي تأويل كلامه.

وعلي كلّ حال، فقد أقرّ ابن عمر للإمام (عليه السـلام) أنّ الله يسدّده، ولم يكن الله (تعالي) ليجعل ابن بنت رسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) علي خطأ.

الدليل الثاني: موانع المناولة

أتبع التسديد الإلهيّ بالكمالات الذاتيّة في الإمام (عليه السـلام) ومقامه ومنزلته وموضعه من الرسول (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وطهارته الّتي شهد بها القرآن الكريم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ((1))، وهو ما أجمع عليه أهل القبلة، وليس ثمّة أحدٌ من أهل الأرض يُنكر أنّ سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) داخلٌ في (أهل البيت) المذكورين في الآية.

1- سورة الأحزاب: 33.

ومَن كان مثل سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) في الطهارة والمكان والمنزلة والموضع الخاصّ من الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، لا يسلّم علي يزيد بالخلافة.

فيزيد معدن النجاسة والنتن والعفن والدرن والقذر والكدر والوسخ والرجس والنذالة والانحطاط، والإمام (عليه السلام) معدن الطهارة والقداسة والنظافة والنقاء والسموّ والعظمة والجلال والجمال، وليس لمثل الإمام (عليه السلام) أن يسلّم علي يزيد بالخلافة.فالتسديد الإلهيّ والطُّهر الذاتيّ عند الإمام (عليه السلام) يمنعان عن بيعة الإمام (عليه السلام) ومناولته للقرد المخمور.

المطلب الرابع: مخاوف ابن عمر رغم إقراراته

اشارة

أقرّ إذن ابن عمر أنّ الإمام (عليه السلام) علي حقٍّ وصوابٍ من أمره، ولا ينبغي أن يكون علي خطأٍ أبداً، بَيد أنّه رغم إقراره هذا ورغم أنّه أشهد اللهَ علي أنّ هذا هو ما يعتقده شخصيّاً، أبدي مخاوفه الّتي جعلها مسوّغةً لما يريد أن يعرضه علي الإمام (عليه السلام) ، واختصرها في خوفين:

الخوف الأوّل: الخوف من ضرب وجه الإمام (عليه السلام) بالسيوف

إستدرك ابن عمر ب- (لكن)، بعد أن أكّد للإمام (عليه السلام) أنّه علي صواب، ليُصحِر للإمام (عليه السلام) عن سبب ما يدعوه إليه من المناولة والبيعة رغم امتناعها عليه، فقال:

ولكن أخشي أن يُضرَب وجهُك هذا الحسن الجميل بالسيوف.

ص: 236

وصف وجه الإمام (عليه السلام) وحليته بالحسن الجميل، ثمّ أبدي خشيته أن يُضرَب هذا الحُسن والجمال بالسيوف، فهو كلامٌ حمّالٌ يفيد العطف والتحنّن والخشـية، كما يحمل في طيّاته التهديـد والتخويف والتهويل والتحـذير من القتل المروّع، والتمثيل الّذي يجعل السـيوف تعبث بجمال الوجه وحُسنه.

لخوف الثاني: أن يري الإمامُ (عليه السلام) من الأمّة ما لا يحبّ

عاد ابن عمر ليؤكّـد ما جاء في الأحاديث الشـريفة عن النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سـلم) من خـذلان هذه الأُمّة المنكوسة لسـيّدها وابن سيّدها، فيري الإمام (عليه السلام) منها ما لا يحبّه.

فهو يخشـي علي الإمام (عليه السلام) القتل، كما يخشي خذلان الأُمّة، وإتيانها المنكر الّذي لا يحبّه الإمام (عليه السلام) في مواقفها ضدّه وانقلابها عليه.

المطلب الخامس: عودة العبد إلي هرائه

نتيجة ما يخشاه ابن عمر يفيد أنّ القوم سـيقدمون علي قتل الإمام (عليه السلام) ، وأنّ الأُمّة ستُريه ما لا يحبّ بمجرد إبائه عن البيعة لا أكثر، وعليه رجع إلي هرائه من جديد، فعرض علي الإمام (عليه السلام) أن يرجع إلي المدينة، وأن لا يبايع إنْ شاء، ويكتفي بالقعود في منزله.

عجبٌ والله أمر هـذا العبـد! كيف يحمل التناقضات والتهافت في عقله، إن كان له عقل؟! وكيف يتعامل مع الأُمور؟ وكأنّه لا يسـمع الإمام (عليه السلام)

يحدّثه، ولا يري الأحداث الجارية علي عينه، وكأنّه لا يسمع ولا يري إقدامات القرد المسعور! ولا ندري بماذا يمكن التعليق علي كلامه المعاند المملّ.

بَيد أنّ حِلم الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) وسع هذا العبد، وبقي يردّ عليهو يجيبه..

المطلب السادس: الدعوة إلي مجانبة الصواب

تبيّن من دعوة ابن عمر _ بعد إقراره بصواب الإمام (عليه السلام) وأنّه لا_ يمكن أن يكون علي خطأ _ أنّه يدعو الإمام (عليه السلام) إلي مجانبة الصواب الّذي هو عليه بالاتّفاق، وركوب الخطأ الّذي يدعوه إليه ابن عمر عن علم، وما ذلك إلّا لأغراضٍ تافهةٍ سخيفةٍ رخيصةٍ باردةٍ عقيمةٍ تتواءم مع ابن عمر، ولا يمكن أن تقترب من ساحة سيّد الكائنات (عليه السلام) وأشرفهم جميعاً بعد مَن استثناهم الله.

المطلب السابع: خلاصة كلام ابن عمر

يمكن تلخيص ما مرّ من كلام ابن عمر:

يبدو من كلام ابن عمر أنّه قد بدأ يُدرك أصل المشكلة، وعرف أنّ الأمر يدور بين البيعة الّتي ستضطرّ الإمام خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) أن يسلّم علي سليل البغاء يزيد القرود بالخلافة، وهذا ما لا يكون لمثل الإمام

سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فليس في الأمر شيءٌ وراء الامتناع عن البيعة الّتي يخشي ابن عمر أن تؤدّي إلي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وخذلان الناس له بحيث يري منهم ما لا يحبّ.

يبدو أنّه أدرك أنّ غاية ما فعله الإمام سبط النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) أنّه امتنع عنالبيعة، وهو لا يروم سوي أن يُترك لحاله، وأن لا يُكره عليها، وهو مع ذلك يعود ليدعو الإمام (عليه السلام) ليرجع إلي المدينة ولا يبايع ويقعد في منزله، والإمام (عليه السلام) يقول له: «أُفٍّ لهذا الكلام ما دامت السماوات».

أغباءٌ هذا، أم تغابي، أم شيءٌ وراء ذلك؟! ففي تعبير ابن عمر لحن التهديد يشي بمكامنه: «ولكن أخشي أن يُضرَب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وتري من هذه الأُمّة ما لا تحبّ».

هو يقبل أنّ الإمام (عليه السلام) لا يقصد في خروجه من المدينة سوي الخروج من بين براثن الأعداء ومخالب عُسلان الفلوات، والخلاص من البيعة الآثمة، وهو يعلم أنّ القوم إنّما اضطرّوا الإمام (عليه السلام) أن يخرج من المدينة، لأنّهم خيّروه بين القتل الأكيد أو البيعة، ولو كان القوم يتركونه لحاله ولا يُكرهونه علي البيعة لَما خرج من بلده ومولده وتربة جدّه وأُمّه وأخيه (عليهم السلام) ..

ومع ذلك تحمّله الإمام (عليه السلام) وداراه، وأجابه جواباً يكفي لمن ألقي السمع وهو شهيد، وأقنعه أنّ القوم لا يرومون سوي قتله علي أيّة حالٍ وفي أيّ مكان، وهو مطلوبٌ للقتل أو الذلّة، وهيهات منه الذلّة والرضوخ

والاستسلام إلي طاعة اللئام.. كما سنسمع فيما يلي:

الإضاءة السابعة عشر: إصرار القوم علي ملاحقة الإمام (عليه السلام) وقتله كيف ما كان

اشارة

لو ارتكب الإمام (عليه السلام) _ وحاشاه _ ما دعاه إليه العبد ابن عمر، فسيبقي القوم يلاحقون الإمام (عليه السلام) ولا يتركونه، ويستخرجونه أينما حلّ وارتحل أبداً، دون انقطاعٍ ولا مللٍ ما دام سيّد الشهداء (عليه السلام) حيّاً لم يُقتَل، فإن أصابوه فإنّهم سيقتلونه، لأنّهم يطالبونه بالبيعة وهو كاره، وهم يعلمون أنّه لن يبايعهم، فسيقتلونه من غير جُرمٍ ولا ذحل، تماماً كما فعلوا مع يحيي بن زكريّا المقتول من غير جرم، وتماماً كما كان بنو إسرائيل يفعلون مع أنبيائهم، إذ كانوا يتلذّذون بقتل الأنبياء (عليهم السلام) ، ويعاودون الكَرّة عليهم كلّ صباح، ويتبركون بذلك ولا يتأثّمون، فيمارسون أعمالهم ويطلبون دنياهم وكأنّهم لم يفعلوا شيئاً..

لو كان سيّد الشهداء (عليه السلام) قد خرج ليواجه قرود الأُمويّين ويقاتلهم ويحاربهم ويألّب عليهم ويجمع الجموع لمقابلتهم، لَما تمثّل بيحيي (عليه السلام) وأنبياء بني إسرائيل، ولَما استدلّ لابن عمر بفعال القوم، وأنّهم لا يتركونه أبداً حتّي يبايع أو يُقتَل، فهو لا يتكلّم بلغة المهاجم، وإنّما يتكلّم بلغة المدافع الّذي لا يريد منهم سوي أن يتركوه ولا يُكرهونه علي البيعة لهم.

ص: 240

فالقوم مثل بني إسرائيل في سلوكيّاتهم، وهو مثل يحيي بن زكريّا (عليه السلام) في الاعتداء عليه لإرضاء البغايا وإشباع الغرائز والاستجابة للشهوات والاستحواذ علي الدنيا واللذّات الرخيصة..

فإذا هم قتلوه فلا يستخفّنّهم المهل، فإنّ الله يأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدرٍ ذو انتقام، تماماً كما فعل ببني إسرائيل.

ثمّ أقام الإمام (عليه السلام) الحجّة علي ابن عمر بعد أن استطرد معه كثيراً في سرد الدليل تلو الدليل، ليبيّن له أنّ القوم يريدون قتله وسفك دمه، وما المطالبة بالبيعة إلّا ذريعةً مفضوحةً وحجّةً واهيةً ملفّقةً أرادوا بها إغواء أتباعهم الجاهلين، إذ أنّهم يعلمون علم اليقين أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) لن يبايع أبداً، فخيّروه بين الإثنين!

فدعاه إلي نصرته، وليس المقصود من الدعوة إلي النصرة هنا أكثر من تمييز ابن عمر ليكون مع المتّقين، فيدفع عن ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) القتل بأيّ وسيلةٍ يقوي عليها، وبين أن يكون جرواً سارحاً في غابة القرود، لاحساً قيأهم وجامعاً لفضلاتهم بلحيته، ليتاجر بها ويعيش أيّاماً قلائل بين الوحوش آمناً متثاقلاً مخلّداً إلي الطين.

لا تدعنّ نصرتي بعد أن سمعت إصرار القوم علي قتلي، وأنت تعرف مَن أنا _ كما زعمت _ من خلال كلامك وإقرارك أنّ مثلي لا يصلح له أن يسلّم بالخلافة علي مثل يزيد.

ص: 241

فقـال له الحسـين:«هيهات يا ابن عمر! إنّ القوم لا يتركوني إن أصابوني، وإن لم يصـيبوني فإنّهم يطلبوني ((1)) أبـداً حتّي أُبايع وأنا كاره، أو يقتلوني.

ألاـ تعلم أبـا عبـد الرحمـان أنّ من هوان هـذه الـدنيا علي الله أن يُؤتي برأس يحيي بن زكريّـا إلي بغيٍّ من بغايا بني إسـرائيل، والرأس ينطق بالحجّة عليهم، فلم يضرّ ذلك يحيي بن زكريّا، بل ساد الشهداء، فهو سيّدهم يوم القيامة؟

ألاـ تعلم أبا عبـد الرحمان أنّ بني إسـرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلي طلوع الشـمس سـبعين نبيّاً، ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنّهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجّل الله عليهم، ثمّ أخذهم بعد ذلك أخذ عزيزٍ مقتدرٍ ذي انتقام؟

فاتّقِ الله يا أبا عبد الرحمان ولا تدَعنّ نصرتي!» ((2)).

*****

يمكن متابعة كلمات الإمام (عليه السلام) في ردّ ابن عمر من خلال المقاطع التالية:

1- في (الفتوح): «إنّ القوم لا يتركوني وإن أصابوني، وإن لم يصيبوني فلا يزالوان [خ ل: يزالوا] حتّي أُبايع وأنا كاره».
2- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

المقطع الأوّل: الإمام (عليه السلام) مطلوبٌ أبداً وعلي كلّ حال

فقال له الحسين (عليه السلام) : «هيهات يا ابن عمر! إنّ القوم لا يتركونيان أصابوني، وإن لم يصيبوني فإنّهم يطلبوني ((1)) أبداً حتّي أُبايع، وأنا كاره، أو يقتلوني».

«هيهات» كلمة تبعيد، ومعناها البُعد ((2)).

لقد حصر الإمام (عليه السلام) أمر القوم في بيانٍ واضح، فهم لا يتركون الإمام (عليه السلام) أبداً، ويلاحقونه دائماً، حتّي يقتلوه علي كلّ حال!

فغرض العدوّ وهدفه الأوّل والأخير هو أن يُصيب الإمام (عليه السلام) فيقتله، فهم إن أصابوا الإمام (عليه السلام) فقد نالوا ما أرادوا، وإن لم يصيبوه فإنّهم لن يتركوه كما يظنّ بعض الجهلة وذوي الأماني، فإنّ العدوّ سيبقي يطلب الإمام (عليه السلام) أبداً دائماً لا ينقطع ولا يفتر ولا يتراجع ولا يغفل، حتّي يظفر به ويخيّره بين البيعة (كارهاً) وبين القتل، ولمّا لم يكن الإمام (عليه السلام) يبايع كارهاً، ولا ينبغي له كما قال ابن عمر، فسيقتلونه لا محالة.

نحسب أنّ هذا المقطع من أوضح وأصرح وأبين وأجلي وأبدي وأبرز وأظهر وأعرب وأفصح، وقل ما شئت من تعابير يمكن أن تفيد الوضوح

ص: 243

1- في (الفتوح): «إنّ القوم لا يتركوني وإن أصابوني، وإن لم يصيبوني فلا يزالوان [خ ل: يزالوا] حتّي أُبايع وأنا كاره».
2- أُنظر: لسان العرب: هوه.

والجلاء والانكشاف التامّ والصراحة لبيان معنيً من المعاني ومقصدٍ من المقاصد.

إنّه نصٌّ صريحٌ واضحٌ يصعب علي التأويل، ويأبي الوجوهوالاحتمالات في بيان حال الإمام (عليه السلام) وما يبيّته له العدوّ ويقصده به ويعزم علي تنفيذه ويسعي إلي تحقيقه..

فالإمام (عليه السلام) مطلوبٌ علي كلّ حال، سواءً بايع أم لم يبايع، وسواءً ناول أم لم يناول، وسواءً اعتزل وابتعد وانزوي واختار التشرّد في الصحاري والفيافي والقفار وسفوح الجبال وكهوفها ومغاراتها، أو اختار التنقّل بين البلدان.. إنّ القوم لن يتركوه، وسيقتلونه، تماماً كما فعلوا مع أسلافه الطاهرين وأولاده المعصومين (عليهم السلام) ..

فمَن ذا الّذي سيكون _ والحال هذه _ في موضع الهجوم، ومَن سيكون في موقف الدفاع؟!

أوَليس العدوّ هو الّذي خطّط وعزم وأقدم علي الهجوم، وجعل الإمام (عليه السلام) في موقف الدفاع وردّ عادية الوحوش الكاسرة؟

وهذا هو دأب المجرمين والظالمين والجبّارين في الأرض، كانوا كذلك من قبل، كما سنسمع في أمثلة الإمام (عليه السلام) لابن عمر، وسيبقون هكذا حتّي (يبعث الله قائماً يُفرّج عنهم الهمّ والكربات).

ص: 244

المقطع الثاني: الاستشهاد بيحيي (عليه السلام)

اشارة

«ألاـ تعلم أبا عبد الرحمان أنّ مِن هوان هذه الدنيا علي الله أن يُؤتي برأس يحيي بن زكريّا إلي بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل، والرأس ينطق بالحجّة عليهم، فلم يضرّ ذلك يحيي بن زكريّا،بل ساد الشهداء، فهو سيّدهم يوم القيامة؟».

*****

في هذا المقطع عدّة إشارات:

الإشارة الأُولي: خلاصة قصّة يحيي (عليه السلام)

قال ابن شهرآشوب: كان حمل يحيي (عليه السلام) ستّة أشهر، وحمل الحسين (عليه السلام) ستّة أشهر، وذُبح يحيي (عليه السلام) كما ذُبح الحسين (عليه السلام) ، ولم تبكِ السماء والأرض إلّا عليهما ((1)).

ورُوي عن الإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام) قال: «خرجنا مع الحسين (عليه السلام) ، فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلّا وذكر يحيي بن زكريّا (عليهما السلام) ، وقال يوماً: مِن هوان الدنيا علي الله (عزوجل) أنّ رأس يحيي بن زكريّا أُهدي إلي بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل» ((2)).

ص: 245

1- المناقب لابن شهرآشوب: 10 / 133 _ بتحقيق: السيّد علي أشرف، دلائل الإمامة للطبري: 513، كمال الدين للصدوق: 461 الباب 43، الاحتجاج للطبرسي: 2 / 273.

2- المناقب لابن شهرآشوب: 10 / 133 _ بتحقيق: السيّد علي أشرف، الإرشاد للمفيد: 2 / 132، إعلام الوري للطبرسي: 1 / 429، تفسير مجمع البيان للطبرسي: 6 / 405، نور الثقلين للحويزي: 3 / 324، بحار الأنوار: 45 / 89، العوالم للبحراني: 17 / 315، نفَس المهموم للقمّي: 185، كشف الغمّة للإربلّي: 2 / 9.

وفي حديثٍ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) :

«إنّ امرأة ملِك بني إسرائيل كبرت وأرادت أن تزوّج بنتها منه للملك، فاستشار الملك يحيي بن زكريّا، فنهاه عن ذلك، فعرفت المرأة ذلك، وزيّنت بنتها وبعثَتها إلي الملك، فذهبت ولعبت بين يديه، فقال لها الملك: ما حاجتكِ؟ قالت: رأس يحيي بن زكريّا. فقال الملك: يا بنيّة، حاجة غير هذه! قالت: ما أُريد غيره.وكان الملِك إذا كذب فيهم عُزل عن ملكه، فخُيّر بين ملكه وبين قتل يحيي، فقتله.

ثمّ بعث برأسه إليها في طشتٍ من ذهب، فأُمرت الأرض فأخذتها، وسلّط الله عليهم بخت نصّر، فجعل يرمي عليهم بالمجانيق ولا تعمل شيئاً، فخرجت عليه عجوزٌ من المدينة فقالت: أيّها الملك، إنّ هذه مدينة الأنبياء، لا تنفتح إلّا بما أدلّك عليه. قال: لكِ ما سألتِ. قالت: ارمها بالخبث والعذرة.

ففعل، فتقطّعت، فدخلها، فقال: علَيّ بالعجوز. فقال لها: ما حاجتكِ؟ قالت: في المدينة دمٌ يغلي، فاقتلْ عليه حتّي يسكن. فقتل عليه سبعين ألفاً حتّي سكن.

يا ولدي يا عليّ، واللهِ لا يسكن دمي حتّي يبعث المهديَّ الله، فيقتل علي

ص: 246

دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً» ([(1)](#content_note_247_1)).

وفي (البحار)، عن (قصص الأنبياء (عليهم السلام))، بالإسناد عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«إنّ ملِكاً كان علي عهد يحيي بن زكريّا (عليهما السلام) ، لم يكفِه ما كان عليه من الطروقة حتّي تناول امرأةً بغياً، فكانت تأتيه حتّي أسنّت، فلمّا أسنّت هيّأت ابنتها، ثمّ قالت لها: إنّي أُريد أن آتي بكِ الملك، فإذا واقعكِ فيسألك: ما حاجتكِ؟ فقولي: حاجتي أن تقتل يحيي بن زكريّا (عليه السلام) . فلمّا واقعها سألها عن حاجتها، فقالت: قتل يحيي بن زكريّا (عليه السلام) !فلمّا كان في الثالثة بعث إلي يحيي، فجاء به، فدعا بطست ذهبٍ فذبحه فيها، وصبّوه علي الأرض فيرتفع الدم ويعلو، وأقبل الناس يطرحون عليه التراب فيعلو عليه الدم، حتّي صار تلّاً عظيماً، ومضي ذلك القرن.

فلمّا كان من أمر بخت نصّر ما كان رأي ذلك الدم، فسأل عنه، فلم يجد أحداً يعرفه، حتّي دُلّ علي شيخٍ كبير، فسأله، فقال: أخبرَني أبي عن جدّي أنّه كان من قصّة يحيي بن زكريا (عليه السلام) كذا وكذا، وقصّ عليه القصّة، والدم دمه، فقال بخت نصّر: لا جرم، لَأقتلنّ عليه حتّي يسكن. فقتل عليه سبعين ألفاً، فلمّا وفي عليه سكن الدم».

1- المناقب لابن شهرآشوب: 10 / 133 _ بتحقيق: السيّد علي أشرف، تفسير القمّي: 1 / 88.

وفي خبرٍ آخر:

إنّ هـذه البغيّ كانت زوجة ملِكٍ جبّارٍ قبل هذا الملِك، وتزوّجها هذا بعده، فلمّا أسـنّت، وكان لها ابنةٌ من الملِك الأوّل، قالت لهذا الملك: تزوّجْ أنت بها. فقال: لَأسأل يحيي بن زكريّا (عليه السلام) عن ذلك، فإن أذن فعلت. فسأله عنه، فقال: لا يجوز. فهيّأت بنتها وزيّنتها في حال سكره وعرضَتها عليه، فكان من حال قتل يحيي (عليه السلام) ما ذُكر، فكان ما كان ((1)).

وفي (مختصر) ابن منظور: قال عليّ بن الحسين (عليه السلام) :

«أقبلنا مع الحسين بن عليّ (عليه السلام) ، فكان قلّما نزل منزلاً إلّا حدّثنا حديث يحيي بن زكريّا (عليه السلام) حيث قُتل.قال: كان ملِكٌ مات، فترك امرأته وابنته، فورث مُلكه أخوه، فأراد أن يتزوّج امرأة أخيه، فاستشار يحيي بن زكريّا (عليه السلام) ، وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء، فقال له: لا تتزوّجها، فإنّها بغي.

فسمعت المرأة، وعرفَت أنّه من قِبل يحيي، فقالت: لَيقتلنّ يحيي أو لَيخرجنّ من ملكه. فعمدت إلي بنتها فصنعتها، وقالت: اذهبي إلي عمّكِ عند الملأ، فإنّه يدعوكِ ويُجلسكِ في حِجْره، ويقول: سليني ما شئتِ، فإنّك لن تسأليني شيئاً إلّا أعطيتكِ، فقولي: لا أسأل شيئاً إلّا رأس يحيي بن زكريّا!

1- بحار الأنوار: 14 / 180 الباب 15 ح 20 و21، قصص الأنبياء للراوندي: 219، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين للجزائري: 400.

وكـانت الملوك إذا تكلّم أحـدهم بشـيءٍ علي رؤوس الملأـ ثمّ لم يمضِ له نُزع من ملكه، ففعلت ذلك، فجعل يأتيه الموت من قتل يحيي، وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه، فاختار ملكه، فقتله، فساخت بأُمّها الأرض» ((1)).

وروي الطبراني مسـنداً عن عليّ بن الحسين (عليه السلام) ، قال: «قال لي الحسين ابن عليّ (عليه السلام) قبل قتله بيوم: إنّ بني إسرائيل كان لهم ملك ...»، وذكر الحديث ((2)).

قال العلّامة المازندرانيّ في (المعالي):

عن سـعد بن عبد الله قال: قلتُ لصاحب الأمر (عجل الله تعالي فرجه الشريف) : أخبِرْني يا ابن رسول الله عن تفسير (كهيعص).قال (عليه السلام) : «هذه الحروف من أخبار الغيب، أطلع الله عليها عبده زكريّا، ثمّ قصّها علي محمّد (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلّمه الأسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل وعلّمه إيّاها، فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن سُرّ ودُفع عنه غمومه وفُرّج همومه وانجلي كربُه، وعندما ذكر الحسين (عليه السلام) خنقَته العبرةُ ووقعت عليه الكدورة.

فقال ذات يوم: إلهي، ما بالي إذا ذكرتُ أربعةً منهم تسلّيتُ بأسمائهم من

1- مختصر ابن منظور: 27 / 251.

2- المعجم الكبير للطبراني: 3 / 114 الرقم 2816، مجمع الزوائد للهيثمي: 9 / 192.

همومي، وإذا ذكرتُ الحسين (عليه السلام) تدمع عيني ويكسر خاطري؟!

فأنبأه الله (تبارك وتعالي) عن قصّـة ووقعته، فقال: (كهيعص)، الكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة، والياء: يزيـد، وهو ظالم الحسـين (عليه السلام) ، والعين: عطشه، والصاد: صبره ((1)).

يا قتيلاً صبره الممدوح من ربّ العباد

حيث قال الله فيه: كاف، ها، يا، عين، صاد

كربلاء الكاف، قد حلّ بها كلّ البلا

قُتلَت فيه بيوم الطفّ ساداتُ الملا

ويزيدٌ يائها المعهود، والعين تلا

عطش السبط وقد أضرم ناراً للفؤاد

فلمّا سـمع زكريّا لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام، ومنع الناس من الدخولعليه، وأقبل علي البكاء والنحيب، وكان يقول: إلهي، أتفجع خير جميع الخلق بولـده؟ إلهي، أتُنزل بلوي هـذه الرزيّـة بفنائه؟ إلهي، أتُلبس عليّاً ثياب هـذه المصـيبة؟ إلهي، أتحلّ كربـة هذه الفجيعة بساحة محمّدٍ وعليّ؟

ثمّ كان يقول: إلهي، ارزقني ولـداً تقرّ به عيني علي الكبر، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمّ افجعني بموته كما تفجع محمّـداً حبيبك بولـده ((2)) ...

1- أُنظر: كمال الدين للصدوق: 2 / 461، بحار الأنوار: 44 / 223.

2- أُنظر: كمال الدين للصدوق: 2 / 461، بحار الأنوار: 44 / 223.

فاستجاب الله دعاءه، وكان يوم استجابة دعائه اليوم الأوّل من المحرّم، وأمر الملائكة فنادت زكريّا وهو قائمٌ يصلّي في محرابه: (أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى) ((1)).

ذكر المؤرّخون: إنّ زكريّا لما بُشّر بيحيي، فمن غاية سروره وبهجته وانبساطه جعل يقول: (رَبِّ أَنَّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً) ((2))، فقال الله (عزوجل) : (هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً) ((3))، فحملت حنانة زوجته بيحيي، فوُلد يحيي لستّة أشهر.

ولمّا وُلد رفعوه إلي السماء، وكان في السماء إلي أن تمّ مدّة الرضاع، ثمّ نزلوا به، ففي أيّ بيتٍ كان يضيء من نور وجهه، وكان طفلاً، وبلغ ما بلغ من النبوّة والحكم والكتاب، وقيل: له من العمر ثلاث سنين أوحي الله إليه: (يَا يَحْيَي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)، وقال (تعالي): (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً)، يعني: أحكام النبوّة الّتي تتعلّق بالعباد، (وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَتَقِيّاً) ((4)).

1- سورة آل عمران: 39.
2- سورة مريم: 8.
3- سورة مريم: 9.
4- سورة مريم: 12 و13.

ومِن شـفقة الله (تعالي) عليه أنّه إذا قال: يا ربّ، فيقول الله: لبّيك يا يحيي، (وَبَرّاً بِوَالِـدَيْهِ وَلَـمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِـيّاً * وَسَـلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِـدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً) ((1)).

ومن ألطاف الله (تعالي) عليه أن نجّاه من الخطرات في ثلاثـة أحوال، وهي أشدّ الأحوال علي الإنسان، وهي الساعة الّتي يولَد فيها، والساعة الّتي يموت، والساعة الّتي يُحشر إلي القيامة.

ولقد أشبه يحيي الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ، وكان الحسين (عليه السلام) شبيهاً بيحيي (عليه السلام) من جهاتٍ شتّي:

في مدّة الحمل، كان حمل يحيي ستّة أشهر، وحمل الحسين (عليه السلام) ستّة أشهر.

ثم إنّ يحيي بُشّـر به زكريّا قبل ولادته، والحسـين (عليه السـلام) أيضاً بُشّـر قبل ولادته النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سـلم) ، إلّا أنّ البشارة بيحيي أوجبَتْ فرحاً وسروراً، والبشارة بالحسين (عليه السلام) أوجبَت حزناً وكرباً، بحيث أنّ أُمّه فاطمة (عليها السلام) حملَتْه كُرهاً ووضعَته كُرهاً، فولدته باكيةً وتقول: ليتني لم ألده.

يحيي لم يُسمَّ به، يعني باسمه قبله، والحسين (عليه السلام) أيضاً لم يُسمَّ باسمهقبله أحد.

ص: 252

1- سورة مريم: 14 و15.

يحيي سمّاه الله بنفسه، فقال (تعالي): (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَي) ((1))، والحسين (عليه السلام) أيضاً سمّاه الله بنفسه، نزل جبرئيل وقال: يا محمّد، إنّ ربّك يُقرئك السلام، ويقول: إنّي سمّيتُ هذا المولود حسيناً.

يحيي (عليه السلام) لم يرضع من ثدي أُمّه غالباً، وأُرضع من السماء، والحسين (عليه السلام) لم يرضع من فاطمة (عليها السلام) ، بل أُرضع من لسان النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، فيأتيه ويضع إبهامه أو لسانه في فيه، وكان يمصّ حتّي يرتوي ويتغذّي ليومين أو ثلاثاً، حتّي نبت لحمُه من لحم رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) وعظمُه من عظم رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) .

يحيي رفعوا به إلي السماء بعد الولادة، والحسين (عليه السلام) أيضاً عُرج به إلي السماء ليزوره الملائكة يوم السابع من ولادته ويوم شهادته.

يحيي (عليه السلام) كان يتكلّم في بطن أُمّه، والحسين (عليه السلام) كذلك، قيل: كان يقول: يا أُمّاه أنا العطشان، يا أُمّاه أنا العريان، يا أُمّاه أنا المسحوق.

يحيي (عليه السلام) لم يرَ فرحاً طول عمره، والحسين (عليه السلام) كذلك.

يحيي (عليه السلام) قُتل مظلوماً، والحسين (عليه السلام) قُتل مظلوماً.

قاتل يحيي ولد زنا، وقاتل الحسين كذلك.

يحيي (عليه السلام) بكت عليه ملائكة السماوات، والحسين (عليه السلام) بكت عليهالسماوات والأرضون وجميع الموجودات.

1- سورة مريم: 7.

يحيي (عليه السـلام) بقي دمه يغلي، فكلّما وضعوا عليه التراب ازداد غلياناً حتّي صار تلاّ عظيماً، فما سكن حتّي سلّط الله علي بني إسرائيل بخت نصّـر وقتل سبعين ألفاً من بني إسرائيل، ولكنّ الحسين (عليه السلام) دمه يغلي حتّي يظهر ولدُه المهديّ (عليه السلام) ، وإن كان قد قُتل به سـبعون ألفاً وسـبعون ألفاً وسـبعون ألفاً، ولكنّه ما سكن حتّي يطلب المهديّ (عليه السلام) بثاره، (وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً) ((1)).

ولله درّ القائل:

أنت الوليّ لمن بظلمٍ قُتلوا

وعلي العدي سلطانك المنصورُ

ولو انّك استأصلتَ كلَّ قبيلةٍ

قتلاً، فلا سَرَفٌ ولا تبذيرُ

يحيي (عليه السـلام) لمّا قُتل وُضع رأسه في الطشت بين يـدَي عـدوّه ونطق بكلمـة، وهي أن قال: اتّقِ الله أيّها الملِك، فإنّها لا تجوز لك أن تباشـر ابنتك. يعني ربيبتك، والحسـين (عليه السلام) لمّا قُتل سمعوا رأسه الشريف يقرأ القرآن علي الرمح، ولقد وُضع في الطشت بين يدَي يزيد وقرأ الآية الشريفة، واللعين جعل يضرب ثناياه بقضيبٍ من خيزران، ولكن هل تُقاس مصيبة يحييالحسين (عليه السلام) ؟!

يحيي (عليه السلام) قُتل وحده، وما قُتل له أخٌ كقمر بني هاشم وابنٌ كعليّ

1- سورة الإسراء: 33.

الأكبر (عليهما السلام) ، وما ذُبح له في حِجْره رضيعٌ كعبد الله الرضيع (عليه السلام) .

يحيي (عليه السلام) ما قُتل عطشاناً، والحسين (عليه السلام) ينادي: يا قوم، اسقوني شربةً من الماء!

يحيي (عليه السلام) ما قُطع اصعبه وكفّه وما مُثّل به، والحسين (عليه السلام) قطع اصبعه بجدلُ بن سليم وقطع كفَّيه الجمّال.

يحيي (عليه السلام) ما رضّت الخيلُ صدره، والحسين (عليه السلام) نادي ابن سعد: يا قوم، مَن ينتدب للحسين (عليه السلام) ؟ ...

يحيي (عليه السلام) ما سُبيَت حرمٌ له، والحسين (عليه السلام) سُبيَت حرمه ونساؤه وأخواته وبناته، كزينب وأُمّ كلثوم وسكينة ورباب (عليهم السلام) من كربلاء إلي الكوفة ومن الكوفة إلي الشام.

فإنْ تكن آلُ إسرائيل قد حملت

كريم يحيي علي طشتٍ من الذهبِ

فآل سفيان يوم الطفّ قد حملوا

رأس ابن فاطمةٍ فوق القنا السلبِ

وهل حُمِلْن ليحيي في السِّبا حرمٌ

كزينبٍ ويتاماها علي القُتُبِ؟!

ولأنّ مصيبة يحيي (عليه السلام) شبيهةٌ بمصيبة الحسين (عليه السلام) ، يذكر يحيي (عليه السلام) ومصيبته في طريقه حين خروجه من مكّة إلي كربلاء، أوّل ما ذكر حين أقبل إليه عبد الله بن عمر، تكلّم وأجابه بما أجابه ... ((1)).

1- معالي السبطين للمازندراني: 1 / 183 وما بعدها.

الإشارة الثانية: الإمام (عليه السلام) يكثِر من ذِكر يحيي (عليه السلام)

أكّدت الأحاديث الشريفة علي أوجُه الشبَه بين يحيي (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) ، وكان الإمام الحسين (عليه السلام) نفسُه يُكثر من ذِكره، حتّي قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) : «خرجنا مع الحسين (عليه السلام) ، فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلّا وذكر يحيي بن زكريا (عليهما السلام) ».

فيحيي (عليه السلام) حاضرٌ مع الإمام (عليه السلام) في جميع مراحل سفره إلي أرض المصرع، وقد ذكره هنا لابن عمر أيضاً، فيلزم أن يكون لهذا التشبيه والاستشهاد ودوام الذكر ليحيي (عليه السلام) معنيً خاصٌّ ودلالاتٌ يمكن استشفافها واستشعارها من كلام الإمام (عليه السلام) ، ولا شكّ أنّ هذا التشبيه والتمثّل يرتكز إلي أوجه شبَهٍ ظاهرةٍ أو قابلةٍ للاستظهار.

الإشارة الثالثة: قتل يحيي (عليه السلام) تشفّياً وانتقاماً

أفادت الأخبار الّتي ذكرناها أنّ المرأة البغيّ حرّضَت الملِكَ علي قتل يحيي (عليه السلام) انتقاماً وتشفّياً، فأجاب السلطان طلبها ليضمن دنياه وشهواته، ويتمكّن من سرير المُلك، ويلبّي صرخات الحقد والضغينة والعداواتالدفينة، ولو لم يكن دافعٌ ذاتيٌّ عند الملك لَما أقدم علي هذه الجناية العظيمة وذبح يحيي (عليه السلام) في طشت الذهب وحمل رأسه المقدّس.

الإشارة الرابعة: البغيّ الّذي أُهدي إليه رأس الإمام (عليه السلام)

كانت البغيّ الّتي أُهدي إليها رأس يحيي (عليه السلام) امرأة، وكانت هي

المحرّض الأوّل علي قتل يحيي (عليه السلام) ، فهل كانت ثَمّة بغيٌّ حرّضت علي قتل الإمام (عليه السلام) ، وكان قتل الإمام (عليه السلام) يرضيها ويحقّق لها ما تتمنّاه؟ سواءً كانت حاضرةً يوم قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) أو لم تكن حاضرة، كأن تكون آكلة الأكباد، ومَن حاربت أباه أميرَ المؤمنين (عليه السلام) ، أو غيرهما ممّن شابههما، أو هنّ جميعاً.

ويشهد لذلك تمثّل القرد المخمور بأبيات ابن الزبعري، وتمنّيه أن يشهده أشياخه، ليفرحوا بما صنع بآل النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وآل الوصيّ (عليهم السلام) ، وأنّه قد أخذ لهم ثاراتهم.

وسمعتُ من أحد المحقّقين أنّه وجد في كتابٍ لم يحضرني اسمه، أنّ أُخت معاوية (أُمّ الحكم) الّتي كان الإمام الباقر (عليه السلام) لا ينفتل عن صلاته حتّي يلعن ثمانيةً هي واحدةٌ منهم ((1))، كانت جالسةً في مجلس يزيد، وقد قدّم اللعين الرأس المقدّس لها.وربّما كان المقصود من (البغيّ) ما يشمل المذكّر والمؤنّث، فيكون الرأس قد أُهدي إلي يزيد البغيّ، وقد حُمل إليه.

وكيف كان، فإنّ رأس يحيي (عليه السلام) أُهدي إلي بغيّ، ورأس سيّد الشهداء (عليه السلام) حُمل وأُهدي إلي بغيّ، وقد عرفنا البغيّ الّذي حُمل إليه

1- أُنظر: الكافي للكليني: 3 / 342 ح 10.

الرأس المقدّس الأوّل، فربّما وفّق الله أصحاب التحقيق والنظر والمعرفة والاختصاص أن يحدّدوا لنا البغيّ الّذي أهدي له رأس سيّد الكائنات وخامس أصحاب الكساء، حبيب الله وحبيب رسوله وحبيب المؤمنين (عليه السلام) .

الإشارة الخامسة: براءة يحيي وقتله دون ذنب

لقد ذُبح يحيي (عليه السلام) ذبحاً، وفُصل رأسُه دون أيّ جرم، وهو (عليه السلام) لم يُقدِم علي أيّ فعلٍ أو إقدامٍ يمكن أن يحرّك السلطان عليه، فلا- استنهض ولا واجه ولا جيّش ولا دعا الناس إلي بيعته، ولا حرّك يداً ولا رجلاً، ولا نبس ببنت شفة، وغاية ما فعله _ علي ما في بعض الأخبار الّتي سمعناها _ أنّه سُئل عن الحكم الشرعيّ فأجاب..

فهو لم يسعَ إلي تنفيذه، ولا فرضه علي الملِك، واكتفي بإخباره بالحكم بعد أن سُئل، ليس إلّا!

وقد أُخذ يحيي (عليه السلام) أخذاً، وقُتل وذُبح ذبحاً، ولم يتركوا له حتّي مجال الدفاع عن نفسه.وكذا كان حال الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) تماماً، فقد أحكموا عليه الحصار كالحلقة، وقتلوه صبراً هو ومَن كان معه، وسبوا عياله وأهله، مِن غير ذنبٍ ولا جرم، ومن دون أن يكون له أيّ إقدامٍ عليهم أو تحريضٍ أو تجييشٍ أو سعيٍ للإطاحة بهم وبدنياهم الّتي كانوا يعبدونها!

ص: 258

الإشارة السادسة: مبادرة العدوّ وإقدامه علي قتل يحيي (عليه السلام)

ربّما كان فيما مضي قبل قليل كفاية للحديث عن هذه الإشارة، بَيد أنّها تحتاج إلي تأكيدٍ أكثر، لذا أفردناها هنا.

فمن راجع أخبار يحيي (عليه السلام) يجد بوضوحٍ أنّ العدوّ هو الّذي قصد وعزم وبيّت وسعي ونفّذ وبادر بجرأة، وأقدم علي قتل يحيي (عليه السلام) وإهداء رأسه المقدّس، ولم يكن ليحيي (عليه السلام) أيّ مبادرةٍ سابقةٍ أو نشاطٍ يُبدي فيه إقدامه علي محاربة السلطان، أو السعي من أجل ذلك أو الإعداد والاستعداد له، وإنّما بادر الملك إلي أخذه وقتله، ولم يكن معه مَن كان مع سيّد الشهداء (عليه السلام) ليدفعوا عنه فقتلوه، وكذا كان سيّد الشهداء (عليه السلام) تماماً، فقد بادر الأشرار وأقدم ذراري المشركين وأولاد البغايا علي قتله، فقتلوا مَن كان معه، ثمّ تكاثروا عليه وأحاطوا به فقتلوه صبراً.

الإشارة السابعة: الانتقام ليحيي (عليه السلام)

لقد بقي دم يحيي (عليه السلام) يغلي، لم يسكن حتّي بعث الله بخت نصّر فانتقم له، وقتل سبعين ألفاً، والحال أنّ الّذي باشر القتل هو واحد، ولم يكن فيحربٍ ولا قتالٍ ومواجهة، وإنّما قتل هذا العدد لرضاهم.

وقد خذل القوم ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وتقاعسوا وتقاعدوا وأسلموه إلي السيوف والرماح والأسنّة، ولم يمنعوه، فدمه لن يسكن، وسيبقي يغلي حتّي يبعث الله المهديّ القائم (عليه السلام) ، فيقتل علي دمه المنافقين الكفَرة الفسقة.

ص: 259

الإشارة الثامنة: هوان الدنيا علي الله (عزوجل)

لو كان للدنيا قدرٌ وقيمةٌ عند الله مقدار جناح بعوضة، لَما سقي فيها كافراً جرعة ماء، وهي عند أولياء الله كذلك، وهذا المُلك الّذي من أجله يقتل أهلُ الدنيا الأنبياءَ والأوصياء والصالحين (عليهم السلام) عند أولياء الله أهون من عفطة عنز، وأنتن وأحقر من عراق خنزيرٍ بيد مجذوم، والدار الآخرة هي الحيَوان لو كانوا يعلمون، ولمثلها يتنافس المتنافسون ويعمل العاملون.

فلا غرو إن قتل فيها أولياءُ الشيطان أولياءَ الرحمان، وسيأتي اليوم الّذي يقضي الله فيه ما يريد، ويمنّ علي الّذين استضْعفوا في الأرض ويجعلهم أئمّةً ويجعلهم الوارثين، ويومئذٍ يخسر المبطلون، ويعلم التالون غبّ ما فعله الأوّلون، وسيعلم الّذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون، والعاقبة للمتّقين.

ولولا هوان الدنيا علي الله لَما أمهل الملِكَ حتّي يذبح يحيي بن زكريّا (عليه السلام) ، ويهدي رأسه إلي بغيٍّ من البغايا..

يُهدي رأسه إلي بغيّ، إلي ساقطةٍ هابطة.. رأس وليّ الله يُهدي إلي زانيةٍ عفنةٍ نتنة.. يُهدي إلي نجسةٍ فاحشة.. يُهدي إلي وجودٍ وسخٍ لا قيمة له عندالبشر..

لم يكن رأسه المقدّس غايةً للملِك نفسه، ولا لإنسانٍ يمكن أن يكون محترماً في ميزانٍ من موازين البشر..

ص: 260

الدنيا هيّنةٌ لا قيمة لها ولا وزن، ومن أرجس أرجاسها البغاء، ورأس وليّ الله يُهدي إليها..

والرأس ينطق بالحجّة عليهم.. لقد بقيَت الكرامة والعزّة والحياة لوليّ الله وإن فصلوا رأسه.. وهم الأموات، لأنّهم لم يتّعظوا ولم يرعُوا.

وهو ما سيفعلونه مع سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وقد أخبر الإمام (عليه السلام) هنا بتفاصيل ما سيقع عليه وعلي رأسه المقدّس، وأخبر أنّ رأسه سينطق بالحقّ عليهم..

وفي كلام الإمام (عليه السلام) هذا ردٌّ وجوابٌ علي ما ذكره ابن عمر من الخوف علي وجه سيّد الشهداء (عليه السلام) الجميل أن يُضرب بالسيوف وأن يقتله الناس لأولاد البغايا، فإنّ هذا هو شأن الدنيا، وقديماً فعلوها مع الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين والأولياء.

ويبدو من صيغة التعبير في كلام الإمام أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) قد قرّر ابن عمر هنا أيضاً: «ألا تعلم أبا عبد الرحمان»، فهو إذن يعلم ويقرّ ويعترف تماماً كما أقرّ واعترف بما سبق من صوابيّة موقف الإمام (عليه السلام) وصحّة ما يفعله!

الإشارة التاسعة: ما يتعرّض له الأولياء لا يُنقص من قدرهم

نبّه سيّد الشهداء (عليه السلام) ابنَ عمر إلي أمرٍ قد يكون حدّث الأخير نفسه به، أو أنّه سيُحدّث به فيما بعد هو أو غيره، بل قد قاله طاغوت عصره

وصـرّح به، وزعم أنّ قتله لريحانة النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سـلم) كان بتمكينٍ من الله ونصـره، وحاولوا توظيف ذلك من أجل الإضرار بمقام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وإطفاء نوره، ويأبي الله إلّا أن يُتمّ نوره ولو كره الكافرون والمشركون والمنافقون!

فقال سيّد الشهداء (عليه السلام) تعقيباً علي ما ذكره له من قصّة يحيي (عليه السلام) :

«فلم يضرّ ذلك يحيي بن زكريّا (عليه السلام) ، بل ساد الشهداء، فهو سيّدهم يوم القيامة».

لم يضـرّ ما فعله الطاغوت بيحيي (عليه السلام) وبرأسه المقدّس، وبقي يحيي (عليه السلام) سيّد شهداء عصره، وبقيَت له هذه الفضيلة إلي يوم القيامة، وهو تماماً كذلك مع سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فإنّه سيّد الشهداء من الأوّلين والآخِرين إلّا مَن استثناهم الله (عزوجل) .

وكأنّ عقيلة بني هاشم زينب بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام) كانت تشرح كلام سيّد الشهداء (عليه السلام) هذا، وتُفرغ عن لسان أخيها حين قالت في خطبتها في مجلس الطاغية المخمور:

أظننتَ ــ يا يزيد ــ حين أخذتَ علينا أقطار الأرض وضـيّقتعلينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في إسارٍ نُساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتـدار، أنّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامةً وامتناناً، وأنّ ذلك لِعظم خطَرك وجلالةِ قدرك؟ فشـمختَ بأنفك، ونظرت في عطفك، تضـرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذرويك مرحاً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأُمورَ لديك متّسقة،

وحين صـفا لك مُلكنا وخلص لك سـلطاننا، فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسـيتَ قولَ الله (عزوجل) : (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ((1)) ((2)) ...

المقطع الثالث: الاستشهاد بقتل بني إسرائيل الأنبياء (عليهم السلام)

اشارة

«ألا تعلم أبا عبد الرحمان أنّ بني إسـرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلي طلوع الشـمس سـبعين نبيّاً، ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنّهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجّل الله عليهم، ثمّ أخذهم بعد ذلك أخذ عزيزٍ مقتدرٍ ذي انتقام؟».

ألا تعلم؟ تقريرٌ جديد، وتأكيدٌ جديد يُضاف إلي ما ذكره الإمام (عليه السلام) في المقطع السابق..ويمكن ملاحظة ما فيه من التنبيهات:

التنبيه الأوّل: قتل الأنبياء (عليهم السلام) بغير حقّ

ليس هو يحيي (عليه السلام) وحده المقتول، بَيد أنّ ما ميّز يحيي (عليه السلام) أنّه ذُبح وأُهدي رأسه إلي بغيّ..

ص: 263

1- سورة آل عمران: 178.

2- أُنظر: بلاغات النساء لابن طيفور: 35، الاحتجاج للطبرسي: 2 / 308.

وهؤلاء بنو إسرائيل كانوا يقتلون الأنبياء (عليهم السلام) بغير حقّ، كانوا يقتلونهم بغير ذنبٍ ولا جُرم، كانوا يقتلونهم دون أن تبدر منهم بادرةٌ سوي التذكير بالله واليوم الآخِر..

لم يكن الأنبياء (عليهم السلام) في بني إسرائيل يجيّشون الجيوش، ويقاتلون السلاطين ويثورون في وجوههم، ويجمعون لهم العساكر، ويهدّدون سلطانهم ودنياهم.. إنّما كانوا يدعونهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وربّما أفصحوا عن حكم الله وكفي، تماماً كما فعل يحيي (عليه السلام) حيث أبان حرمة ما عزم علي فعله الملِك، ولم يفعل أكثر من ذلك..

كانوا يقتلون الأنبياء (عليهم السلام) لأحقادٍ وأضغانٍ وعداوةٍ لله ولأنبيائه (عليهم السلام) ، يقتلونهم دفاعاً عن شهواتهم ولذّاتهم ونزعاتهم ونزواتهم، يقتلونهم لأنّهم معدن الطهر والدعاة إلي الهدي وإلي صراطٍ مستقيم.. وهذا القدر كافٍ عند معادن النجس والرجس والقذر ليعادونهم ويعدوا عليهم فيقتلونهم..

كذلك سيُقتَل سيّد الشهداء (عليه السلام) تماماً كما يُقتَل الأنبياء (عليهم السلام) من بني إسرائيل!

التنبيه الثاني: ممارسة الجريمة في أشرف الأوقات

كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء (عليهم السلام) في أشرف الأوقات: بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وهو أفضل أوقات العبادة والتوجّه إلي الله، وهو الوقت الّذي يستقبل الإنسان فيه يومه ويتفأل أو يتشاءم به لِما يأتي من

نهاره.. هو الوقت الشريف الّذي ترتاح وتأمن به جميع المخلوقات.

كذلك سيقتلوا سيّد الشهداء (عليه السلام) في الشهر الحرام، في محرّم الّذي كان يعظّمه العرب جميعاً في الجاهليّة والإسلام، في الزمن الحرام الّذي يأمن فيه الناس.. ويُهدَّد في الأرض الحرام، ويعزموا علي اغتياله وقتله في بيت الله الّذي جعله الله مثابةً للناس وأمناً!

التنبيه الثالث: اجتماعهم علي الجريمة

كان بنو إسرائيل يتكاتفون ويتعاضدون علي قتل الأنبياء (عليهم السلام) ، إمّا مباشرةً أو بالخذلان والرضي بقتلهم.. كانت الفعلة فعلة القوم أجمعين، لم تكن فعلة واحدٍ منهم.. تماماً كما سيفعل الناس مع ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) وسيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) ، حيث سيباشرون قتاله، ويُسرجوا ويُلجموا ويتنقّبوا ويتكاتفوا ويتظافروا ويتساندوا ويتساعدوا، فيزدلف إلي قتله مَن يزدلف، ويخذل مَن يخذل، ويرضي بقتله مَن يرضي!

التنبيه الرابع: عدم الاكتراث بالجريمة

كانوا يقتلون ويجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون، كأنّهم لم يفعلواشيئاً، لم تهتزّ فيهم شعرة، ولم يرتعش لهم جفن.. يقتلون الأنبياء (عليهم السلام) ثمّ يولّون إلي دنياهم، يمارسون حياتهم الرتيبة، وكأنّ قتل الأنبياء (عليهم السلام) من ممارسات الحياة اليوميّة الّتي تستهويهم، لا يشعرون باقتراف ذنب، ولا يعدّونه عملاً قبيحاً، بل هو عملٌ تدفعهم نحوه الحوافز، يتلذّذون به

ويستذوقونه..

وربّما كان هذا المعني وجهٌ من وجوه ما رُوي عن أهل البيت (عليهم السلام) وهم يصفون قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) : «ذُبح كما يُذبّح الكبش»، فإنّ مَن يذبح كبشاً أمام الملأ لا يستنكر عليه أحد، ولا يثير منظره المارّ، ولا يستجيش العواطف، ينظر إليه الناس ببرود، وربّما استحسنوا فعله ومدحوه وأثنوا عليه..

لقد قتلوا سيّد الشهداء (عليه السلام) .. كلٌّ يتقرّب بدمه إلي الله.. قتلوه ببرود.. قتلوه ولم يتأثّموا.. قتلوه ثمّ عادوا إلي معيشتهم.. قتلوه وافتخروا بقتله.. قتلوه وكأنّهم لم يصنعوا شيئاً، بل زعموا أنّهم تعبّدوا الله في ذلك!

التنبيه الخامس: الانتقام من القتَلَة

إنْ لم يُعجّل الله علي بني إسرائيل، فإنّه أخذهم بعد ذلك أخذ عزيزٍ مقتدرٍ ذي انتقام.. والحسين (عليه السلام) حبيب الله وريحانة حبيبه وابن حبيبته.

كأنّ هذا المقطع من كلام سيّد الشهداء (عليه السلام) وهو يخاطب ابن عمر، أفرغت عنه أُخته الصدّيقة الصغري (عليها السلام) وهي تخاطب أهل الكوفة:... فلا يستخفّنّكم المهل، فإنّه لا يُحفزه البدار، ولا يُخاف عليه فوت الثأر، كلّا، إنّ ربّك لَبالمرصاد ((1)).

1- أُنظر: الأمالي للطوسي: 93 المجلس 3، الأمالي للمفيد: 323 المجلس 38.

وقد انتقم الله من القوم الظالمين، وسيبعث الله ولده المنتقم، ويجعل له سلطاناً، فلا يُسرف في القتل.. أليس الصبح بقريب؟

المقطع الرابع: التعريض بابن عمر

اشارة

«فاتّقِ الله يا أبا عبد الرحمان، ولا تدَعَنّ نصرتي، واذكُرني في صلاتك».

في هذا المقطع من كلام الإمام (عليه السلام) عدّة تعريضات:

التعريض الأوّل: الدعوة إلي تقوي الله

كان ابن عمر علي خطإٍ من رأيه، وأقرّ للإمام (عليه السلام) تحت طائلة القسَم أنّ الإمام (عليه السلام) علي صواب، ولا ينبغي له أن يكون علي خطأ، فمَن أحقُّ أن يتّقي الله؟

لقد دعا ابنُ عمر الإمامَ (عليه السلام) لارتكاب ما لا ينبغي له باعتراف ابن عمر نفسه، وأصرّ علي الإمام (عليه السلام) أن يُطيعه ويدخل فيما دخل فيه الناس، وهو خطأٌ جزماً عند ابن عمر نفسه، وابتدأ كلامه مع الإمام (عليه السلام) بالأمر بتقوي الله!!

والآن يدعوه الإمام (عليه السلام) إلي تقوي الله بعد أن أقام عليه الحجّة البالغة،وأتمّ له الأدلّة والبيان، أوَليس هذه الدعوة إلي التقوي هي الدعوة الحقّ؟ وقد صدرت من سيّد الخلق والإمام المفترض الطاعة، وهو يدعوه إلي الجنّة، وابن عمر يدعو إلي النار.

التعريض الثاني: الدعوة إلي النصرة

«ولا تـدَعَنّ نصـرتي».. النصـرة هنا واضـحة.. لا يريـد الإمام (عليه السـلام) منه أكثر من أن يمنعه، أن يـدفع عنه، أن يردّ عنه عادية القرود المسعورة، أن يقف في صفّ أولياء الله وأحبّائه.. لا يريد منه أكثر من ذلك.

فقد اتّضح من الحوار الّذي دار بينهما أنّ الإمام (عليه السلام) أحدقت به دائرةُ الخطر، وأنّ الجبّارين يطلبون رأسه، ويتلهّفون ليلغوا ويكرعوا دمه الزاكي، وهو يريد أن يدفع عن نفسه القتل.. لقد صرّح بذلك سيّد الشهداء (عليه السلام) بوضوحٍ وجلاء، وأقرّه عليه ابن عمر.

ولو كان في ابن عمر بقيّة شرفٍ وعزّةٍ لَوعد الإمام (عليه السلام) بالنصر بالكلمة وتخذيل الناس عن أعدائه..

كان بإمكانه أن يعتذر عن القتال بين يديه دفاعاً عنه، إخلاداً إلي الأرض..

كان بإمكانه أن يُعلن موقفاً معادياً بلسانه بين يدَي الإمام (عليه السلام) فقط..

كان بإمكانه أن يوظّف نفوذه الّـذي يزعمه عنـد أتباع أبيه، فيعلن لهم أنّ سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) مظلوم، وأنّ القوم يريدون قتل ريحانة النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سلم) ..كان بإمكانه أن يَعِد الإمامَ (عليه السلام) أنّه سيحدّث الناس بفضائله وبما سمعه عن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سـلم) في نصـره والـدفاع عنه، وأن يبيّن لهم أنّ هذا ابن رسول الله (صـلي الله عليه و آله و سـلم) ، ومَن يريد قتله ابن هند، ولا سواء..

بل كان بإمكانه أن يَعِد الإمامَ (عليه السلام) بالنصرة ولو بالدعاء.. حتّي هذا لم يفعله!

لقد أطبق الإمام (عليه السلام) الخناق علي ابن عمر، أقام عليه الحجّة تامّة، فأنّي يُؤفَك؟!

التعريض الثالث: اذكرني في صلاتك

في النفس شيءٌ من هذه العبارة، والعبارةِ الّتي ستأتي بعد قليل، ولا طريق للتأكّد من زيادات النصّ وتفاصيله؛ لانفراد ابن أعثم به، ولكن سنعالجه علي فرض صحّة الكلام كلّه بما فيه هذه العبارة.

إنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) وخامس أصحاب الكساء في غنيً عن دعاء ابن عمر، وما قيمة صلاة ابن عمر بعد أن خذل إمام زمانه (عليه السلام) وأسلم وجهه الجميل للسيوف؟ فلا يبعد أن تكون دعوة الإمام (عليه السلام) لابن عمر أن يدعو له دبر كلّ صلاةٍ نوعَ تعريضٍ به، بمعني أن لا تترك نصرتي ولو بهذا المستوي، وقد أكّد عليه ذلك، إذ أعادها عليه مرّتين في نفس الحديث، ممّا يفيد أنّ ابن عمر كان يبخل علي الإمام (عليه السلام) حتّي بالدعاء له!

وربّما أكّد عليه أن يذكره دُبر كلّ صلاة، كي يبقي في كلّ حينٍ عليذكري دائمة، ولا ينسي موقفه المتخاذل الجبان، وأنّه قد خذل ابن رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) وتقاعس عن نصرته ورضي بقتله، فهو في كلّ صلاةٍ يذكر حُجّة الإمام الحسين (عليه السلام) عليه، كي يذكر كلّ يومٍ وعند كلّ صلاةٍ أن لا قيمة

لصلاته الّتي تمسّك بها وخذل الإمام (عليه السلام) ، فما تنفعه صلاته.

فيكون هذا نوعٌ من التوبيخ والتعريض، لو كان يعقل هذا الغبيّ!

هذا، والإمام (عليه السلام) أعرف وأعلم بما قال إن كان قد قال!

الإضاءة الثامنة عشر: إتمام الحُجّة

اشارة

«فوَالّذي بعث جدّي محمّداً (صلي الله عليه و آله و سلم) بشيراً ونذيراً، لو أنّ أباك عمر بن الخطّاب أدرك زماني لَنصرني كنصرته جدّي، وأقام من دوني قيامه بين يدَي جدّي.

يا ابن عمر، فإنْ كان الخروج معي ممّا يصعب عليك ويثقل، فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تتركنّ لي الدعاء في دُبر كلّ صلاة، واجلس عن القوم، ولا تعجل بالبيعة لهم حتّي تعلم ما تؤول الأُمور».

يمكن تقسيم الكلام في هذه الإضاءة إلي عدّة أشطر:

الشطر الأوّل: لو أدرك عمر زماني لَنصرني!

اشارة

«فوَالّذي بعث جدّي محمّداً (صلي الله عليه و آله و سلم) بشيراً ونذيراً، لو أنّ أباكعمر بن الخطّاب أدرك زماني لَنصرني كنصرته جدّي، وأقام مِن دوني قيامه بين يدي جدّي».

نجد في كلام الإمام (عليه السلام) عدّة تنويهات:

ص: 270

التنويه الأوّل: القسَم بجدّه البشير النذير

أقسم الإمام (عليه السلام) بالّذي بعث جدّه البشير النذير، فنوّه في كلامه لابن عمر بالنسبة القريبة بينه وبين النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، إذ كان بالإمكان أن يُقسم بالّذي بعث النبيّ محمّداً (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وهو القسَم المعهود عادة، بَيد أنّ قسم الإمام (عليه السلام) بهذه الصيغة جعل نفسه ضمن القسم، وأنّ المبعوث مِن قِبل الله هو جدّه!

وقد ذكر جدَّه المبعوث بصفتين خاصّتين، هما: التبشير والإنذار، فالمبشّر والمنذر إنّما هو جدّه، وهو قد ورث هاتان الصفتان من جدّه، وكان وهو يكلّم ابن عمر في نفس هذا المقام، فهو يدعوه إلي الجنّة والطاعة والعبوديّة لله، وينذره مغبّة موقفه الجبان المتخاذل البائس، ويعلّمه ويهديه إلي الصراط المستقيم.

التنويه الثاني: حجّةٌ جديدةٌ ودليلٌ آخَر

اشارة

حُجّةٌ جديدة.. ودليلٌ آخَر.. يحتجّ بها الإمام (عليه السلام) علي ابن عمر، ويضعه في موقفٍ لا يمكنه أن يدفع عن نفسه، فبعد أن أقنعه الإمام (عليه السلام) أنّه علي صواب، وأنّ ما أشار به ودعا الإمام (عليه السلام) إليه خطأٌ لا ينبغي للإمام (عليه السلام) أن يأتي به، وجعله يعترف بلسانه ويقرّ بمنزلة الإمام (عليه السلام) من الله ورسولهوطهارته وعصمته وتسديده الربّانيّ، وقذارة عدوّه ونجاسة محتده ورجاسة أفعاله، عاد الإمام (عليه السلام) ليقيم الحجّة عليه من جهةٍ أُخري لا يمكن

ص: 271

لابن عمر أن يتنكّر لها..

«لو أنّ أباك عمر بن الخطّاب أدرك زماني لَنصرني كنصرته جدّي، وأقام من دوني قيامه بين يدي جدّي».

ويمكن أن يُفهَم كلام الإمام (عليه السلام) علي وجوه:

الوجه الأول: احتجاجٌ تنزّليّ

يمكن أن يُفهم كلام الإمام (عليه السلام) كنمط احتجاجٍ تنزّلي، فكأنّه يقول لابن عمر: إنّك تزعم في أبيك المزاعم، وتتّبعه وتستنّ بسنّته، وتفتخر وتتبجّح بما شرّعه وسنّه في السقيفة وقبلها وبعدها، وتعتقد أنّه نصر النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) لما يراه هو من استشرافٍ للمستقبل، فلو كان أبوك حاضراً لَكان يري ضمن ضوابطه وقوانينه وشريعته أنّي مظلومٌ مُعتَديً علَيّ، ولَشمّر للدفاع عنّي.

وبعبارةٍ أُخري: إنّ نصري والدفاع عنّي فرضٌ علي كلّ الموازين الإلهيّة والأرضيّة، وعلي موازين الأعداء والأصدقاء، وعلي موازين الدين وموازين السقيفة..

الوجه الثاني: وفق دوافع أبيك ونوازعه

ربّما كان في قوله (عليه السلام) : «كنصرته» إشارةٌ خاصّة، فأنت يا ابن عمر تعرفدوافع أبيك ونوازعه ومحرّكاته الّتي دعَتْه لنصرة جدّي، وتعرف مقدار نصرته لجدّي ومستوي قيامه معه، والأهداف والغايات الّتي كان يتوخّاها من نصرته وقيامه، فإنّي أرضي منك ولو بهذا المستوي من النصرة والقيام، كما

رضي جدّي من أبيك..

ولْتكن دوافعك ونوازعك وأهدافك وغاياتك ما تكون، ولْيكن مستوي نصرتك بمستوي نصرة أبيك، ولو بالتظاهر بأن يكون موقفك إلي جنبي، ولو لم تـدفع عنّي بسـيف، ولم تطعن بين يدَيّ برمح، وتقوم بين يدَيّ ولو لم تنصب نفسك للأسـنّة والسـهام غرضاً، كما كان يفعل أبوك مع جدّي رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ..

الوجه الثالث: الاقتداء بسنّة أبيه

نفترض أنّ ابن عمر كان يخال أنّ أباه دافع عن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وقام بين يديه ورمي بنفسه في لهوات الموت حمايةً لحياة النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وخاض غمرات الحروب، وسقي الأعداء كؤوس المنون، وواجه أكداس الحديد، وتسربل في كلّ وقعةٍ بالدماء، ليحمي النبيّ (صـلي الله عليه و آله و سـلم) .. فهو إن كان يزعم ذلك لأبيه _ تنزّلاً وجدلاً، إذ لم يسـجّل لنا التاريخ موقفاً من هذا القبيل لأبيه _، فلْيكن هو علي سـرّ أبيه ويقتدي به، وينصر ابن النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) كما نصر أبوه النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) نفسه..فكأنّ الإمام (عليه السلام) يقول له: إنّك أقررتَ أنّي مكان جدّي وبموضعٍ منه، فلْتكن أنت مكان أبيك وبموضعٍ منه.

الشطر الثاني: الإعذار

«يا ابن عمر، فإن كان الخروج معي ممّا يصعب عليك ويثقل،

فأنت في أوسع العذر».

لاحظ انتقالات الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) في خطاباته مع ابن عمر، فهو يخاطبه بالكنية أحياناً، وبالاسم أحياناً، وهنا خاطبه بنسبته إلي أبيه، إذ أنّه احتجّ عليه به، فقال له: «يا ابن عمر!».

بعد كلّ ما مرّ من الاحتجاج والاستدلال والإفحام، لم تهتزّ في ابن عمر شعرة، ولم يرمش له جفن، ولم تبدُ عليه أيُّ علامةٍ من علامات الحياة والتأثّر والانفعال، وبقي سامداً.. هامداً.. جامداً.. ساكناً.. سمجاً.. قاسياً.. جلفاً.. متحجّراً.. غليظاً.. فظّاً.. عديم الإحساس.. خامد المشاعر..

كأنّه أصمّ لا يسمع، وأكمه لا يبصر.. طبع الله علي قلبه، وختم علي سمعه وبصره.. فبادره الإمام (عليه السلام) ، وهو رحمة الله الواسعة، والغنيّ بالله عن كلّ شيءٍ سواه، مع ذلك فقد قدّر الإمام (عليه السلام) له حرجه وعيّه وجبنه وضعفه وانغلاق الأمر عليه، فقال:

«فإن كان الخروج معي ممّا يصعب عليك ويثقل، فأنت في أوسع العذر».إنّه من الّذين إذا قيل لهم انفروا في سبيل الله أثّاقل إلي الأرض، ورضيَ بالحياة الدنيا من الآخرة.. إنّه ممّن يصعب عليه الإقلاع عن الحضيض، والإفلات من أسار الشهوات والرغبات والغرائز.. إنّه ممّن يثقل عليه الحقّ، ويخفّ للهوي والانحدار والتساقط والانحطاط.. ومثل هذا لا

يُنتفَع به، ولا يُحسب عليه، ولا جدوي فيه، ولا يُرتجي خيره.. فلْيذهب حيث شاء..

فهو في أوسع العذر.. إن كان الخروج مع الإمام (عليه السلام) يصعب عليه ويثقل، فهو في أوسع العذر..

غير أنّ العبارة كأنّها لا تفيد أنّ الإمام (عليه السلام) قد عذره، إذ لم ينسب العذر له، ولم يقل: إنّك معذورٌ عندي، أو إنّي أعذرك، وإنّما قال له: أنت في أوسع العذر..

إنّك في عذرٍ واسعٍ تعذر به نفسك.. تنحت لنفسك المعاذير وتتذرّع بها، أمّا أنّها مقبولةٌ عند الإمام (عليه السلام) وممضاةٌ من قِبله، فلا يبدو أنّ في العبارة ما يفيد ذلك..

ثمّ استثني الإمام (عليه السلام) ، كما سنسمع في الشطر الثالث.

الشطر الثالث: الدعاء والتباطؤ

«ولكن لا ـ تتركنّ لي الدعاء في دُبر كلّ صلاة، واجلس عن القوم، ولا ـ تعجلْ بالبيعة لهم حتّي تعلم ما تؤول الأُمور».جعله الإمام (عليه السلام) في سعةٍ من العذر.. بَيد أنّه أكّد له أن يدعو له دبر كلّ صلاة، وقد أشرنا إلي ذلك قبل قليل، فلا نعيد.

ثمّ دعاه إلي أقلّ ما يمكن أن يفعله ويبقي في أمان، فيجمع بين حُبّه للدنيا والاحتفاظ ببقيّةٍ ممّا يمكن أن يُنجيه في الدارين.. أمره بالجلوس عن

القوم، فلا يستخفّه الظالمون، ولا يميل إلي الباطل ميلاً صريحاً واضحاً..

يجلس عنهم، ولا يُدخِل نفسَه في زمرتهم، ثمّ ليتربّص، فلا يستعجل البيعة حتّي ينظر ما تؤول إليه الأُمور..

يكفي لمثـل ابن عمر أن يحيّـد موقفه لفترةٍ من الزمن، وإنْ لم تكن طويلـة، ليصبر أيّامـاً قلائـل.. يكفي أن يتقبّض ويتباطأ، ويتأنّي ويتراخي ويتقاعد حيناً قد لا يمتدّ كثيراً، ثمّ ليفعل ما يشاء..

فالأجواء كانت مشـحونة، والمشهد كان مزدحماً بالأحداث، والأيّام حُبلي بالمفاجآت، وهو في سعةٍ من العذر عند مثل يزيد، وهو ابن عمر المأمون الجانب، المعتمَد عند القوم، فلا يضرّه أن يجمع يده ولا يناول لفترةٍ قصيرة..

بَيد أنّه لم يفعل.. لقد سارع إلي الببيعة!

الإضاءة التاسعة عشر: هدف الإمام (عليه السلام) من دخول مكّة والبقاء فيها

اشارة

ثمّ أقبل علي عبد الله بن عبّاس وقال له: «وأنت يا ابن عبّاس ابن عمّ أبي ...

فإنّي مستوطنٌ هذا الحرم، ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيتُ أهلَه يحبّونني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلتُ بهم غيرهم، واستعصمتُ

بالكلمة الّتي قالها إبراهيم يوم ألقي في النار: حسبي الله ونِعْم الوكيل، فكانت النار عليه برداً وسلاماً» ((1)).

فبكي ابنُ عبّاسٍ وابنُ عمر ذلك الوقت بكاءً شديداً، وبكي الحسين (عليه السلام) معهما، ثم ودّعهما.

فصار ابن عبّاسٍ وابن عمر إلي المدينة، وأقام الحسين (عليه السلام) بمكّة، ولزم الصلاة والصيام ((2)) [في (المقتل) للخوارزمي: الصلاة في الصلاة] ((3)).

*****

يمكن أن نلخّص الكلام في هذا التصريح بالنقاط التالية ((4)):

النقطة الأُولي: الاستيطان والإقامة أبداً

في هذا المقطع من الحوار بيانٌ واضحٌ وصريحٌ لا لبس فيه ولا تغبيش، ولا تعمية ولا تشويش، ينصّ فيه الإمام (عليه السلام) بكلّ وضوحٍ وجلاءٍ علي سبب القدوم إلي مكّة، فهو يريد اتّخاذها وطناً يستقرّ فيه ويتوطّن، ويريد

1- أتينا قبل قليلٍ علي تفصيل الكلام في هذا المقطع من كلام الإمام (عليه السلام) .
2- في (الفتوح): «الصلاة والصيام».
3- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.
4- إقتباسٌ من كتاب (ظروف حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) بين المدينة ومكّة).

أن يُقيم فيه أبـداً.. أي: أنّه دخـل مكّـة كي لا يخرج منها، وإنّما يبقي فيها بقيّـة العمر! وربّما كان هـذا من أوضـح معاني الاستيطان والإقامة الأبديّة.

فإذا لاحظنا تصـريحه في نفس الحوار عن سـبب خروجه من المدينـة، وأنّه كان مطارَداً مطلوب الدم، فخرج _ حسب النصّ _ مرعوباً خائفاً لئلّا تُهتَك به حرمةُ المدينة، بالإضافة إلي الدلائل والمؤشّرات الأُخري الدالّة علي نفس المضمون.

ولاحظنا أيضاً أنّه كان مطالَباً بمناولة القرد المخمور المسعور، وأنّه لن يَقبَل بالدنيّة، ولن يُؤثر طاعة اللئام علي مصارع الكرام.

يتبيّن لنا أنّه إنّما قَدِم إلي مكّة ليستوطنها ويقيم بها أبداً، باعتبارها الحرم الآمن الّذي لا يفزع فيه مَن دخله.

أجـل، إذا كـان الحرم لا يوفّر له هـذا الأمان، لجرأة الطاغي علي حرمات الله، فالإمام (عليه السـلام) يأبي أن تُهتَك به حرمـةُ البيت الحرام، تماماً كما أبي أن تُهتَك به حرمة المدينة المنوّرة، وسيكون حينئذٍ موقفٌ آخَر، سنسمعه فيما يلي..إذن!

ما يفيده هذا النصّ الصريح أنّ الإمام (عليه السلام) إنّما قصد مكّة ليستوطن فيها ويقيم فيها أبداً، بعد أن أُزعج وأُخرج من مدينة جدّه (صلي الله عليه و آله) ومولده اضطراراً.

وليس في الكلام _ سابقاً ولاحقاً _ ما يفيد _ ولو إشارةً _ أنّ له غرضاً آخَر غير ما ذكرنا من دخول مكّة، ويشهد له قوله: «مستوطنٌ هذا الحرم ومقيمٌ فيه أبداً».

ولو كان الإمام يريـد شـيئاً سوي الامتناع عن البيعـة، وكان يخطّط لجمع الخيل والرجال لغرضٍ آخَر سوي الدفاع عن نفسه ودفع القتل عنه وعن أهل بيته، لَما رضي بمكّة مقاماً أبداً ما نصرته ولم تخذله!

والله العالم.

النقطة الثانية: شرط البقاء

اشارة

لقد اشترط الإمام (عليه السلام) للاستيطان في مكّة والإقامة بها أبداً شرطاً ذا شعبتين:

الشعبة الأُولي: الحبّ

الشـعبة الأُولي الّتي ذكرها الإمام (عليه السلام) ، قال: «ما رأيتُ أهله يحبّونني»، فهو علّق البقاء علي ما سيراه منهم، والمناط هنا ما يُظهرونه له من الحبّوالنصرة، لا فيما يُضمرونه له في قلوبهم، ولا بما يعلمه هو بما منحه الله وخوّله من علم الإمامة، وما أطلعه الله علي قلوب العباد ومنويّاتهم ومستقبلهم.

المطلوب: أحبّوني! أحبّوه شخصيّاً! أحبّوه هو بالذات..

وممّا لا يشكّ فيه أحدٌ يزعم أنّه يؤمن بالله والنبيّ (صلي الله عليه و آله) واليوم الآخِر أنّ

حبّ الحسين (عليه السلام) _ كما هو حبّ أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً _ واجبٌ مفروضٌ من الله علي العباد، وهو تكليفٌ إلهيٌّ وفرضٌ دِينيٌّ نصّ عليه القرآن الكريم والنبيّ الأمين (صلي الله عليه و آله) ، وأكّدته الشريعة الربّانيّة بكلّ الوسائل..

ولسنا بصدد التدليل علي ذلك وسرد النصوص المقدّسة المصرِّحة بذلك، فإنّ ذلك من بديهيّات الدين وضروريّات الإسلام، ولتفصيل الكلام فيها موضعٌ آخَر.

فبغضّ النظر عن هذا، فإنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) هو بذاته محبوب، يتوفّر علي كلّ خصلةٍ ومحمدةٍ وخُلُقٍ عظيم، وهو (ربّ النوع) لكلّ ما جعله الإنسان طول التاريخ مِن مُثُلٍ وقيَمٍ كرّسها في الآلهة الّتي اصطنعها لنفسه كلّما عجز عن الوصول إلي الغاية في خصلةٍ من خصال الخير..

فهو الجمال، وهو الكمال، وهو الحبّ، وهو المودّة، وهو الرحمة، وهو العطاء والسخاء، وهو الغوث، وكلّ ما يمكن أن يحبّه الإنسان السويّ..وهو القائد، وهو الإمام، وهو الزعيم، وهو السيّد، وهو كلُّ أملٍ يرجوه الإنسان في دنياه وآخرته..

ولو أردنا استقصاء ما في الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من خصالٍ تأسر القلوبَ وتأخذ بالعقول وتسخّر الألباب وتستجيش العواطف، لَطال بنا المقام..

فهو محبوبٌ فرضاً من الله، ومحبوبٌ بحسب فطرة الإنسان السويّ

وطبعه وقيَمه وأخلاقه ومُثُله وتطلّعاته..

مع ذلك، لم يطلب منهم ولم يكلّفهم أكثر من أن يحبّوه، بل أن يري منهم ذلك! «ما رأيتُ أهله يحبّونني»!

رُوي عن الصادق (عليه السلام) ، قال رسول الله (صلي الله عليه و آله) : «إنّ حبّ عليٍّ قُذف في قلوب المؤمنين، فلا يحبّه إلّا مؤمنٌ ولا يبغضه إلّا منافق، وإنّ حبّ الحسن والحسين قُذف في قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين، فلا تري لهم ذامّاً» ((1)).

فمن أيّ أصناف المخلوقات كان أُولئك الّذين عاصروا الإمام (عليه السلام) أيّام تواجده في مكّة المكرّمة؟!!

إنّهم لم يُبدوا له الحبّ، عصياناً وعتوّاً علي أمر الله وأمر رسوله (صلي الله عليه و آله) ، وتمرّداً علي القرآن والسنّة المطهّرة، ومجانبةً للفطرة السليمة والذوقالبشريّ والطبع الإنسانيّ، ومفارقةً لكلّ ما يمكن أن يجعلهم في صنف ذوي الإحساس والشعور والمعرفة وتتبّع الخير واستشعار الجمال وإدراك السموّ والأخلاق والرفعة..

إنّهم أعرضوا عن وجه الله ولم يُحبّوه، ولو أحبّوه لَما خرج عن مكّة! فلمّا خرج عن مكّة عرفنا أنّهم لم يعوا شرطه، ولم يلتفتوا إليه، ولم يُظهِروا له سوي وجوهاً ميّتةً منطفأةً كالحةً عبوسةً مكفهرّة، وقلوباً منكوسةً معكوسةً

1- المناقب لابن شهرآشوب: 9 / 47 _ بتحقيق: السيّد علي أشرف، بحار الأنوار: 43 / 281 الباب 12.

متعوسةً منحوسة..

الشعبة الثانية: النصرة

النصـرة.. كما أشـرنا إلي المقصود منها مراراً عديـدةً كلّما دعت مناسـبة الحـديث إلي بيانها، فإنّها هنا وفق مجريات الأحداث ومقتضـيات الظروف وما تفرضه الأجواء الّتي خيّمت علي المدينة يوم نزح عنها ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وحبيب الله ورسوله (صلي الله عليه و آله و سـلم) ، والأجواء الّتي ظلّلت مكّة يوم أقـام فيهـا قبل الخروج منها حين كان الإمام (عليه السـلام) مهـدور الـدم، مطلوب الرأس، محكوماً بالقتل، ومرصوداً متربَّصاً به للاغتيال أو الأسـر، كما أفادت النصوص المشار إليها في أكثر من موضعٍ وغيرها، كلّ ذلك شاهدٌ علي أنّ المقصود بالنصرة إنّما هو الذبّ والدفاع عن ابن بنت النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، ودفع القتل عنه، ومنع عادية القرود المسعورة وكبحها وقصّ مخالبها وأظفارها، لئلّا تنشب بريحانة النبيّ (صـلي الله عليه و آله) ، فتقضي ديونها منه ومن أبيه وجدّه (عليهما السلام) ،وتنتقم وتثأر لفطائسها في بدر وأُحُد وغيرها من مشاهد النبيّ (صلي الله عليه و آله) وأخيه أمير المؤمنين (عليه السلام) .

هـذا هـو المطلوب في تلـك الأيـام.. دفع القتـل عن ابن النـبيّ (صـلي الله عليه و آله) ، وحفـظ النـبيّ (صـلي الله عليه و آله) في ولـده.. والدلالات في المتون التاريخيّة صريحةٌ واضحةٌ بيّنةٌ في ذلك.

وعلي فرض عدم التسليم بها ـ إن أمكن ذلك، وهو بعيد؛ لصراحة

ص: 282

المتون ـ، فإنّه القدر المتيقّن الّذي لا يشكّ فيه مَن يقرأ التاريخ متصفِّحاً فضلاً عمّا إذا كان متأمِّلاً..

وبهذا القدر المتيقّن أيضاً خانت الأُمّةُ بعهودها، وتنكّرت لبيعتها مع النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، وأخلفت وعودها، وتركت ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ولم تدفع عنه ولم تمنعه، بل لم تعِدْه النصرة ولو كذباً، ولم تُبرِز له أيَّ بادرةٍ تجعله يبقي في مكّة البلد الآمن، وهي قد تجمّعت للحجّ تطوف علي أحجار الكعبة وتتنقّل في المشاعر المقدّسة..

لقد صرّح التاريخ وأبان الإمام (عليه السلام) نفسه ـ فداه العالمين ـ أنّه إن بقي في مكّة سيغتاله الطغاة، وأنّه إن بقي فإنّه مقتولٌ لا محالة، ولهذا عجّل الخروج من مكّة ولم ينتظر الموسم حتّي ينقضي، ولو كان فيهم عِرقٌ ينبض أو صبابةٌ من بقايا غَيرةٍ تجيش في أعماق النفوس لَمنعوه!

لقد تعجّل الإمام (عليه السلام) الخروج، وخرج بالفعل، وهذا يعني أنّهم لمينصروه أبداً، ولم يعدوه النصر والدفاع عنه.. بل يبدو لمن تأمّل في النصوص التاريخيّة أنّهم مارسوا طقوسهم وكأنّ شيئاً لم يكن!

«ما رأيتُ أهله يحبّونني وينصرونني»!!!

النقطة الثالثة: فرض عدم توفّر الشرط

بغضّ النظر عن علم الإمام والإمامة، فإنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) يعرف القوم، وقد عركهم وخبرهم كأبرز شخصيّةٍ وأهمّ رمزٍ عاصر محنة الإسلام

والحقّ منذ عهد النبيّ (صلي الله عليه و آله) والسقيفة والشوري وفتنة عثمان والتحكيم، وما تلاها من أحداثٍ جرت علي مرأيً ومسمع منه، وقد رأي الناس في المدينة ومكّة والكوفة وغيرها من الحواضر والبلدان الّتي كانت تُسمّي يومها: بلاد المسلمين..

فالإمام (عليه السلام) يعرفهم من خلال سلوكهم وسوابقهم المعروفة، وهو أعرف الخلق بالخلق، لذا افترض فيهم أن يخذلوه، فقال: «فإذا هم خذلوني»..

«هم خذلوني»..

مَن المقصود؟

- أهل مكّة؟

- المجاورون؟- الحُجّاج والمعتمرون؟

أو أنّ جميع هؤلاء كانوا مقصودين؟ فأيّ واحدٍ كان قد دخل مكّة يومذاك يمكن أنّ يحبّ الإمام الحسين (عليه السلام) وينصره ولا يخذله..

وقد صدق (عليه السلام) _ وهو الصادق المصدّق _ إذ أنّه جعل خذلانهم فرضاً مقابل فرض المحبّة والنصرة، فخذلوه بالفعل ولم ينصروه! سواءً كان قد استنهضهم واستنصرهم ودعاهم، أو لم يفعل ذلك..

فإن كان قد استنهضهم واستنصرهم فخذلوه، فتلك الطامّة الكبري..

وإن كان لم يفعل ذلك، فهذا يعني أنّه لم يعدّ العدّة لأمرٍ ما، وإنّما كان لا

يبغي منهم أكثر من الدفاع عنه، وكان عليهم أن يدفعوا عنه كمسلمٍ من المسلمين قد دخل بيت الله مستأمناً مستجيراً لائذاً عائذاً بالله، فضلاً عن كونه سـيّد شباب أهل الجنّة وابن النبيّ (صلي الله عليه و آله) وريحانته ووديعته في أُمّته، إذ أنّهم كفروا بأمر الله وكذّبوا رسوله (صلي الله عليه و آله) ، ولم يقبلوه إماماً مفترض الطاعة منصوباً من الله (عزّ سلطانه).

وبهذا نعرف مدي خذلان القوم لسـيّد الشـهداء (عليه السلام) وريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، إذ كان بمستويً بحيث لو هجموا عليه وأرادوا قتله واغتياله لَما ردّهم أحدٌ أبداً من أُولئك الغوغاء وأشباه المسلمين الّذين ملؤوا مكّة والمطاف والمشاعر يومها ضجيجاً وعجيجاً!

النقطة الرابعة: البديل

اشارة

هنا قدّم الإمام (عليه السلام) البديل في حال خذله القوم ولم يحبّوه، وجاء البديل ضمن موقفين مترابطين يتمّم أحدهما الآخَر:

الموقف الأوّل: الاستبدال

«استبدلتُ بهم غيرهم ...».

جاء في حديث الأربعمئة المعروف من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) : «عليكم

ص: 285

بالمحجّة العظمي فاسلكوها، لا تستبدل بكم غيركم» ((1)).

وورد في كثيرٍ من الأدعية الشريفة عن أهل البيت (عليهم السلام) توسّل العبد بالله أن يجعله ممّن ينتصر به لدينه ولا يستبدل به غيره..

وأن يستبدل الإمام (عليه السلام) قوماً بغيرهم يعني أنّ الله يستبدلهم.. يعني أنّهم ليسوا ممّن ينتصر الله بهم لدينه.. يعني أنّهم خذلوا الله وخذلوا رسوله (صلي الله عليه و آله) فخذلهم وأوكلهم إلي أنفسهم..

وقد افترض الإمام خامس أصحاب الكساء (عليهم السلام) فرضاً أن لو خذلوه ولم ينصروه، فإنّه سوف يستبدل بهم غيرهم.. بمعني أنّه سيغادر بلدهم ويتركهم ويرحل إلي قومٍ آخَرين.. يخرج إلي حيث يجد مَن يدفع عنهوينصره ويمنع عنه عادية الطغاة.. يهاجر إلي حيث أمره الله وأعدّ له نصره، ليجعل كلمة الّذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا، والله عزيزٌ حكيم.

كلمات الإمام (عليه السلام) تذكّرنا بقوّةٍ بما جري في هجرة النبيّ (صلي الله عليه و آله) من مكّة، وترسم لنا مشهداً متطابقاً مع تلك المرحلة من حياة الإسلام.

قال (عزوجل) : (إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَليماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلي كُلِّ شَيْ ءٍ قَديرٌ * إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللَّهُ

ص: 286

1- الخصال للصدوق: 2 / 633.

سَكينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذينَ كَفَرُوا السُّفْلي وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيا وَاللّهُ عَزيزٌ حَكيم) ((1)).

فاستبدالهم بقومٍ آخَرين سيكون فيه العزّة والنصرة له، والخزي والعار والذلّ والصغار لأعدائه وخاذليه.

الموقف الثاني: الاستعصام بكلمة إبراهيم (عليه السلام)

«واستعصمتُ بالكلمة الّتي قالها إبراهيم يوم أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل، فكانت النار عليه برداً وسلاماً».ورد في الأحاديث الشريفة:

إنّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) لمّا أُريد قذفه في النار فرُمي به في المنجنيق، فبعث الله جبرئيل فقال له: أدرِكْ عبدي. فجاء فلقيَه في الهواء، فقال له: كلِّفْني ما بدا لك، فقد بعثني الله لنصرتك. فقال إبراهيم: حسبيَ اللهُ ونِعْم الوكيل، إنّي لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلّا إليه ((2)).

وفي لفظٍ آخَر:

قال: لا أقترح علي ربّي، بل حسبيَ اللهُ ونِعْم الوكيل ((3)).. فكانت

1- سورة التوبة: 39 و40.

2- أُنظر: الاحتجاج للطبرسي: 1 / 24، تفسير الصافي للكاشاني: 1 / 504، بحار الأنوار: 9 / 260.

3- الدعوات للراوندي: 168.

النار عليه برداً وسلاماً.

وبهذا أعلن الإمام (عليه السلام) أنّه في غنيً عن العالمين، ولا يحتاج أحداً من أهل مكّة للدفاع عنه ولا لنصرته، فهو في حمي الله، وهو متوكّلٌ عليه، وهو نِعْم الوكيل، وهو لا يحتاج سوي ربّه، وبه قد استعصم..

فمن خذل.. فقد غرّته الدنيا، وباع حظّه بالأرذل الأدني، وشري آخرته بالثمن الأوكس، وتغطرس وتردّي في هواه، وأسخط نبيّه، وأطاع من أهل الشقاق والنفاق وحملة الأوزار المستوجبين النار.

أمّا الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه، فلا يضرّه كيدهم شيئاً، ولا يحتاج نصرتهم، والله وليّه وناصره وحاميه.

النقطة الخامسة: التشبيه بإبراهيم الخليل (عليه السلام)

إنّ استعصام الإمام (عليه السلام) بكلمة جدّه إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، أشار إلي المشهد الّذي تعرّض له جدّه، والنتيجة الّتي تحقّقت بعد أن قال كلمته وثبت عليها..

والمشهد باختصار هو:

اجتماع الملأـ والطاغوت يومها للقضاء علي إبراهيم (عليه السلام) وقتله، والقضاء عليه بقتله ورميه في النار، وكان إبراهيم الخليل (عليه السلام) نفسه مقصوداً مطلوباً للقتل مبيّتاً له، قد أعدّوا النار واستعدّوا، وجمعوا الناس وحشّدوا ليتفرّجوا وينظروا سطوة الطاغي وتنكيله بأعدائه.

وهو يفيد أنّ الإمام (عليه السلام) أيضاً كان مطلوباً، يقصد القومُ قتلَه وإراقة دمه، إنْ بالاغتيال أو الفتك به ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، تماماً كجدّه إبراهيم (عليه السلام) .

فإذا استعصم الإمام (عليه السلام) بكلمة جدّه ستكون النتيجة تماماً كنتيجة جدّه، إذ جعل الله عليه النار برداً وسلاماً، وأنجاه الله من القتل والإحراق وأخرجه سالماً.

وربّما أفاد هذا أنّ الإمام (عليه السلام) أشار بذلك إلي أنّه سيخرج من مكّة سالماً، وأنّهم رغم تجييشهم واستعدادهم وإقدامهم الوقح علي إراقة دمه المقدّس في مكّة، فإنّ الله سيجعل له ذلك أمناً وأماناً، ولا يجسر أحدٌ عليفعل شيء، والله وكيله وحسبه.. فإنّ مكّة ستكون عليه برداً وسلاماً، تماماً كما كانت النار علي جدّه إبراهيم (عليه السلام) برداً وسلاماً.

ولو أردنا حصر المشهد في جملة، نقول:

إنْ خذَلَ أهلُ مكّة ولم ينصروا الإمام (عليه السلام) وكانوا عليه إلباً مع الطاغوت كما كان القوم زمن أبيه إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، فإنّ الإمام (عليه السلام) أخبر أنّه سيستبدل بهم غيرهم، فيُحرمون من هذا الشرف العظيم والخاتمة الحسنة، ويستعصم بكلمة جدّه، فيعلن غناه عنهم، وأنّ الله الّذي جعل النار علي جدّه برداً وسلاماً سيجعل له مكّة أمناً وأماناً رغم أُنوفهم حتّي يخرج منها سالماً.

النقطة السادسة: وأنت يا ابن عبّاس!

اشارة

قال: ثمّ أقبل الحسين علي عبد الله بن عبّاس فقال: «يا ابن عبّاس! إنّك ابن عمّ والدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتُك، وكنتَ مع والدي تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك، فتشير عليه بالصواب، فامضِ إلي المدينة في حفظ الله [وكلائه]، ولا يخفي علَيّ [خ ل: ولا ـ تُخفِ علَيّ] شيءٌ من أخبارك، فإنّي مستوطنٌ هذا الحرم ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيتُ أهله يحبّوني وينصروني، فإذا هم خذلوني استبدلتُ بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة الّتي قالها إبراهيم الخليل يوم أُلقي في النار: حسبيَ الله ونعم الوكيل، فكانت النار عليه برداً وسلاماً».*****

لقد مرّت الإشارة إلي بعض مفاصل هذه النقطة فيما سبق من الكلام، وإنّما ذكرناها هنا كي نستطيع استكمال مشهد حديث الإمام (عليه السلام) مع ابن عبّاس، وسنحاول التعرّض لها باختصارٍ شديدٍ ضمن الومضات التالية:

الومضة الأُولي: التفاتة الإمام (عليه السلام) إلي ابن عبّاس!

كان آخر ما تكلّم به الإمام (عليه السلام) مع ابن عمر أنّه قال له:

«فإن كان الخروج معي ممّا يصعب عليك ويثقل، فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تتركنّ لي الدعاء في دُبر كلّ صلاة، واجلس عن

القوم، ولا تعجل بالبيعة لهم حتّي تعلم إلي ما تؤول الأمور».

بعـد هـذا الكلام الواضـح في إعذار ابن عمر بعد أن أقام عليه الحجّة البالغة التامّة، وتخاذل ابن عمر بوضوح، قال له الإمام (عليه السـلام) : «أنت في أوسع العذر»، وقد أتينا علي بيانها قبل قليل، واكتفي منه بالدعاء والقعود عن القوم إلي حين، وعدم استعجال البيعة لهم.

ثمّ بعد ذلك مباشرةً أقبل علي ابن عبّاس فقال: «يا ابن عبّاس ...»، ممّا يُشعِر أنّ المشهد السابق بعدُ لم ينتهي، وأنّ الكلام متّصلٌ والحديث واحد، فقد عاد الإمام (عليه السـلام) في نهاية الحوار إلي توجيه كلّ واحدٍ منهما، ومعالجة مواقفهما، وجعلهما في «أوسع العذر»، فهما في خانةٍ واحدةٍ وموقفٍ واحدٍولهما حكمٌ واحد، بَيد أنّ طريق الحديث مع الأفراد تختلف، كما أنّهما كانا يختلفان بمسـتوي التلقّي والتأثّر، فقد بكي ابن عبّاس مرّتين، وبكي ابن عمر مرّةً واحدة!

الومضة الثانية: حرج ابن عبّاس

يبدو أنّ إحراج ابن عبّاسٍ كان واضحاً بادياً، وسيّد الشهداء (عليه السلام) مع الغني والجود والسماحة والحلم والكرم والمداراة، فإنّ المعهود الواضـح في سـلوك أهل البيت (صـلوات الله عليهم جميعاً) أنّهم كانوا يقيمون للرحم وزناً، ويجعلون له مقاماً خاصّاً مهما كان الرحم، ولا يتنكّرون للرحم مهما نأت وبعُدَت، والأمثلة والأحاديث في ذلك كثيرةٌ لا تُحصي، ليس هذا

ص: 291

موضع ذِكرها.

ويبدو من اتّصال الحديث وانتقال سيّد الشهداء (عليه السلام) من مخاطبة ابن عمر والإقبال فوراً إلي ابن عبّاس أنّه يريد أن يجعل بينهما ما يميّز الخطاب معهما.

وقد عبّر ابنُ عبّاسٍ عن الحرج الّذي انتابه، وأعلن النصرة ولو بانتظار الإذن والإعذار، علي خلاف ابن عمر.

ففرّق الإمام (عليه السلام) هنا في خطابه بينهما، وجعل مداراة ابن عبّاس أكثر، وكأنّه يريد أن يقول له: إنّك لستَ كابن عمر، فأنت ابن عمّ أبي، ولك رحم، ولك علاقةٌ سابقةٌ مع أبي.ويمكن أن تُفهَم هذه المقدّمة علي نحوٍ آخَر، تستلهم من الجوّ العام الّذي ظلّل المحادثة وإقامة الحجج والبراهين عليهما، فتكون بمثابة نوعٍ من التقريع والعتاب، فكأنّه يقول له: إنّك ابن عمّ أبي، وكان لك كذا وكذا من المواقف مع أبي، بَيد أنّك الآن تقف منّي هذا الموقف، فامضِ إلي المدينة في حفظ الله، ولا حاجة لي فيك.

الومضة الثالثة: المداراة والتودّد

بالرغم من أنّنا نتحفّظ قليلاً علي ما ورد في تفاصيل كلام الإمام (عليه السلام) مع ابن عبّاس في هذه الفقرة، ومن أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يستشير ويشير هو عليه بالرشاد والصواب، فإنّ هذا ما يزعمه ابن عبّاس، وقد

وجـدنا خلافه في التاريـخ، ولَطالمـا أشار بالخطأ علي أمير المؤمنين فخالف الإمامُ رأيه، فانزعـج ابن عبّاس، وقـد جئنا علي بيان ذلك فيما سبق، بَيد أنّنا نفترض صحّة ذلك.

وعلي فرض صـحّة هـذه الزيادة، فإنّ فيها من المـداراة والتودّد لابن عبّاس ما يلائم أخلاق سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) وحِلمه ومـداراته، وكلامه مع الناس كلّ حسب ما يناسبه وكلّ علي قدر عقله ومقامه.

وربّمـا كان الإمام (عليه السـلام) يستشـير ويسـتنصح ابن عبّاس، وليس في ذلك ضَيرٌ، وقـد قال له الإمام أمير المؤمنين (عليه السـلام) ما مضمونه: إن استشاره فلْيشر عليه، ولكن عليه أن يطيع أمر إمامه، وليس الإمام (عليه السلام) ملزماً بالعمل بما يقولابن عبّاس ولا غيره.

الومضة الرابعة: تطييب خاطره

يُلاحَظ أنّ الإمام (عليه السلام) قد قرّر أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يستشير ابن عبّاس ويستنصحه، وكان ابن عبّاس يشير عليه بما فيه الرشاد ويشـير عليه بالصواب، ولكنّه لم يذكر له أنّ الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يعمل بما يشير عليه.. فهو صوابٌ ورشادٌ حسب رأي ابن عبّاس نفسه.

وربّما ذكر الإمام (عليه السلام) هذا الأمر بعد أن أقنع ابنَ عبّاسٍ وابنَ عمرٍ في هذا اللقاء أنّهما علي خطأ، وأنّ رأيهما غير سديد، وأنّه لا ينوي العمل بما أشارا، بل عازمٌ علي مخالفته، فأراد الإمام (عليه السلام) بأخلاقه الحسينيّة المميّزة عن

العالمين أن يطيّب خاطر ابن عبّاس الّذي هو ابن عمّ أبيه! وللرحم عند أهل البيت (عليهم السلام) مقام!

الومضة الخامسة: إنْ كنتَ تشير بالرشاد فإنّك أخطأتَ اليوم

ربّما شهد لما ذكرناه آنفاً في الومضة السابقة أنّ الإمام (عليه السلام) قال لابن عبّاس: «فامضِ إلي المدينة»، ثمّ قال: «فإنّي مستوطن ...».

أي: لـك أن تسـتمرّ بما أنت عازمٌ عليه، وهو الرجوع إلي المدينـة، ودَعْني في مكّة، فلا أعود معكما إلي المدينـة، ولا تمتعض إن لم أعمل بمشورتك، فإنّك كنتَ تشير علي أبي، وكانت إشاراتك سديدة، ولكنّ اليوم أخطأت الرشاد والسداد.*****

ولا يخفي أنّ الحديث في الحوار كلّه كان يدور حول رجوع الإمام (عليه السلام) إلي المدينة، ولم يُذكَر فيه الخروج إلي الكوفة، وإنّما كانت محاولات العبـدين تنصبّ علي إقناع الإمام (عليه السـلام) بالرجوع معهما إلي المدينـة، وقـد خالفهما الإمام (عليه السـلام) ، وأصـرّ علي الإقامة في مكّة مستوطناً مقيماً أبداً ما رأي أهله يحبّونه وينصرونه.

الومضة السادسة: هل استبدل الله بابن عبّاس وابن عمر؟!

لقـد كـانت الظروف المحيطـة بركب الإمـام (عليه السـلام) حرجـة للغايـة، وكان الإمام (عليه السـلام) ملاحَقاً مطلوباً للقتل، وكان (عليه السلام) قد وضّح الموقف للعبدين

بتفاصيله وبعباراتٍ واضحةٍ مفهومةٍ لا تحتاج إلي تأويل وتحليل.

ثمّ قال لابن عبّاس: «فامضِ إلي المدينة ... فإنّي مستوطنٌ هذا الحرم ومقيمٌ به ...».

ثمّ أخبره أنّهم إن خذلوه استبدل بهم غيرهم، واستعصم بالكلمة الّتي قالها إبراهيم (عليه السلام) ..

فهل يُشعِر ذلك أنّ الله قد استبدل بابن عبّاس وابن عمر، إذ أشاحوا وركبوا سفن الدنيا ليحفظوا بقيّة العمر، ويعيشوا حفنةً من السنين بعده، ولم ينصروه ولو بما يناسبهم ويلتئم مع طبعهم ومزاجهم؟!

الومضة السابعة: هل في كلام الإمام عذرٌ لابن عبّاس؟

ربّما كان الإمام (عليه السلام) يتكلّم مع ابن عمر ليُسمِع ابن عبّاس من دون أن يباشره بالكلام، علي قاعدة: (إيّاكِ أعني واسمعي يا جارتي)، ليحفظ لابن عبّاس قرابته ووجاهته، وهذا هو السبب الّذي دعا ابن عبّاس ليقول: «كأنّك تريد منّي أن أنصرك!»، فهو قد فهم _ بفطنة الهاشميّ وذكائه _ أنّ الإمام (عليه السلام) يقصده.

وقد اتّضحَت الحجج وبانت الأُمور ولاحت المحجّة بأجلي صورة، وقد ختم الإمام (عليه السلام) كلامه مع ابن عبّاسٍ بقوله: «امضِ إلي المدينة في حفظ الله، ولا تُخفِ علَيّ شيئاً من أخبارك»، ولا يبدو في هذا القدر أنّ لابن عبّاس عذراً واضحاً يمكن أن يعتذر به، وربّما كان هذا هو السبب وراء ما تمحّله وتكلّفه

فيما بعد من الإعذار والدفاع عن نفسه بشتّي الذرائع، وسيأتي ذِكرها في محلّها، إن شاء الله (تعالي).

ولا يبـدو في هـذا المتن بالخصوص أنّ الإمام (عليه السـلام) قد كلّف ابن عبّاسٍ بتكليفٍ خاصّ، ولـم يجعله عيناً له علي المدينة، إذ أنّه قال له: «لا تُخفِ علَيّ شيئاً من أخبارك».. (أخبارك)! أخباره الخاصّة به، باعتباره عبد الله بن عبّاس ابن عمّ أبيه، لا أكثر..

فلا يجـد في هذا الكلام ما يفيد أنّ الإمام (عليه السـلام) قد كلّفه بشـيء، ولا أمَرَهبأمرٍ خاصٍّ يجعله يتخلّف في المدينة من أجل تنفيذ أمر الإمام (عليه السـلام) ، فيما نجد يزيد قد كلّف ابن عبّاس وأمره أن يتابع أمر سـيّد الشهداء (عليه السلام) ويفاوضه ويمنعه عن الخروج، وقد منحه صلاحيّاتٍ واسعة.

النقطة السابعة: بكاؤهم جميعاً

علِمَ العبـدان أنّ سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) لا يبايع أبـداً، وأنّ القوم لا يتركونه أبـداً، وسـتكون العاقبـة أنّهم يقتلونه ويقتلون مَن معه ومَن سينصره، فبكيا، وبكي معهما سيّد الشهداء (عليه السلام) ..

إنّها واللهِ الظليمة العظمي!

هـل بكي ابن عبّاسٍ وابن عمر لأنّهما رأيا الإمام (عليه السـلام) مقتولاً، وقـد تنجّزت الإخبارات الغيبيّـة، وشـهدت كلّ الظروف ومجريات الأحداث بذلك؟

هل بكيا علي ظليمة سيّد الشهداء (عليه السلام) وإمام الأبرار والأوفياء؟

هل بكيا لبكاء سيّد الشهداء (عليه السلام) ؟ فبكاؤه لا يُحتمَل، وكان بكاؤه شجيّاً محزناً يُبكي مَن سمعه ورآه!

هـل بكيـا متـأثّرين تـأثّراً تكوينيّاً؟ لأنّ انكسار قلب الإمام (عليه السـلام) _ وهو قلب العالَم _ يؤثّر في الموجودات، وإن كانت من الصـمّ الصياخيد!

هل بكيا علي حظّهما العاثر وخذلانهما للإمام (عليه السلام) علي علم، فبكيا عليعاقبتهما؟

هل بكيا علي فراق سيّد الشهداء (عليه السلام) ؟

الإضاءة العشرون: أقام الإمام بمكّة ولزم الصلاة

اشارة

قال ابن أعثم:

ثمّ ودّعهما، وصار ابنُ عمر وابنُ عبّاس إلي المدينة، وأقام الحسين (عليه السلام) بمكّة قد لزم الصوم والصلاة ((1)).

وقال الخوارزميّ:

ثمّ ودّعهما، فصار ابن عبّاس وابن عمر إلي المدينة، وأقام الحسين (عليه السلام) بمكّة، ولزم الصلاة في الصلاة ((2)).

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 44.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 193.

يمكن متابعة هذه الفقرة الأخيرة من نصّ ابن أعثم والخوارزميّ من خلال جملة إنارات:

الإنارة الأُولي: صار العبدان إلي المدينة!

ودّعهما الإمام (عليه السلام) ، وصار ابن عبّاسٍ وابن عمر إلي المدينة، كأنّهما لم يسمعا حُجج الإمام (عليه السلام) ، ولم يَعِيا ظرف الإمام (عليه السلام) والخطر المُحدِق به، وكأنّهما غير معنيّين بحياة الإمام (عليه السلام) والدفاع عنه والذبّ عن آل رسولالله (صلي الله عليه و آله و سلم) !

لا ندري بماذا يبرّر العبدان موقفهما وانصرافهما، وبماذا يسوّغان تركهما لابن بنت رسول الله (صلي الله عليه و آله و سلم) ، وهما يعلمان ويجزمان كأنّهما يريان بأُمّ العين أنّه مقتولٌ مذبوح؟!

لا ندري كيف يسوّغ الآخَرون موقفهما ويدافعون عنهما ويبرّرون لهما، ويفهمون انصرافهما إلي المدينة وقد حازا رضي الله ورضي الإمام (عليه السلام) ؟!

الإنارة الثانية: أقام الإمام الحسين (عليه السلام) بمكّة

نجد في النصّ تأكيداً علي إقامة الإمام (عليه السلام) في مكّة، التأكيد علي الإقامة فقط، ولم يضيفا إلي الإقامة إلي هذا الحدّ من النصّ أيَّ نشاطٍ آخَر إلّا ما سنسمعه في الإنارة التالية!

أقام سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة وفق ما رسمه هو للعبدين، مقيماً مستوطناً، لا يريد استبدال أهلها ولا تركها ومغادرتها ما دامت قد دفعَت

ص: 298

عنه وحفظَته وأظهرت له المحبّة..

لا يبـدو ثَمّة غرضٌ آخَر سوي الإقامة والاحتماء بالبيت الحرام، مع احتمال منعه من قِبل المقيمين بها، إنْ مِن أهلها أو الحجّاج والمعتمرين والمجاورين.

الإنارة الثالثة: لزوم الصلاة

غاية ما ذكره المؤرّخ هنا وسجّله من نشاطٍ يمكن الإشارة إليهوالاهتمام به، هو: ما يفعله أيُّ مجاورٍ مقيمٍ في البيت الحرام..

لقد لزم الصلاة والصوم..

لزم الصلاة!

وأضاف الخوارزميّ: أنّه لزم الصـلاة في الصـلاة، والظاهر يعني بذلك أنّ الإمام لزم الجماعة مع القوم!! أي: أنّه كان يصـلّي بصلاتهم، وهذا من غريب ما يرويه الخوارزميّ، إذ أنّ بعض النصوص تؤكّد أنّه كان يصـلّي لوحده ولا يأتمّ بهم، وتمام الكلام في هذا سـيأتي في محلّه، إن شاء الله (تعالي).

إنّ الإمـام (عليه السـلام) لزم الصـلاة والصوم.. ولم يشـيرا إلي أنّه بـادر إلي مبـادراتٍ تشـحذ الهمم، وتجيّش النفوس، وتسـتنهض الرجال لمحاربـة السـلطة والالتحـاق بمسـيرة الانقضـاض علي أركان الحكم المتسـلّط، ومحاولـة الإمساك بزمام الأُمور في مكّة أو في غيرها من البلدان..

لزم الصلاة والصوم!

محتويات الكتاب

الديباجة... 5

المقدّمة.......... 15

تاريخ دخول الإمام (عليه السلام) إلي مكّة ومدّة إقامته.......... 21

مدّة إقامته... 22

الآية الّتي تلاها الإمام (عليه السلام) عند دخول مكّة واستخارته........ 25

دعاء الإمام (عليه السلام) واستخارته...... 26

تغيير والي مكّة......... 27

التوضيح الأوّل: الوالي الّذي تمّ تغييره.... 27

التغيير الأوّل: عثمان بن محمّد....... 27

النصّ الأوّل:......... 27

النصّ الثاني:......... 28

النصّ الثالث:........ 29

التغيير الثاني: يحيي بن حكيم........ 30

التغيير الثالث: الحارث بن خالد..... 31

التغيير الرابع: عبد الرحمان بن نبيه......... 32

التغيير الخامس: الوليد بن عُتبة...... 33

التغيير السادس: مروان......... 34

التغيير السابع: عمر بن سعد بن أبي وقّاص........ 34

التغيير الثامن: عمرو بن سعيد.......... 35

الطائفة الأُولي: تولية المدينة... 35

الطائفة الثانية: تولية مكّة.......... 39

الطائفة الثالثة: تولية مكّة والمدينة..... 39

التوضيح الثاني: وقت التغيير... 40

التوضيح الثالث: علّة التغيير..... 42

العلّة الأُولي: الوشاية بالوليد........... 43

العلّة الثانية: خوفه من ضعف الوليد.......... 43

العلّة الثالثة: تجبّر عمرو وتكبّره وطغيانه........... 45

التوضيح الرابع: الهدف من إنفاذ الأشدق.......... 46

التوضيح الخامس: دخوله المدينة ومدّة مكثه فيها...... 48

التوضيح السادس: خطبته........ 49

التوضيح السابع: متنٌ آخَر للخطبة... 50

التوضيح الثامن: رعف علي المنبر... 51

التوضيح التاسع: استعمال عمرو بن الزبير علي الشرطة وما فعل بأنصار أخيه 53

التوضيح العاشر: خروجه من المدينة........ 54

التوضيح الحادي عشر: أمير الموسم في شهر رمضان والحجّ......... 55

عمرو بن سعيد بن العاص..... 57

النقطة الأُولي: مَن هو؟........... 57

النقطة الثانية: سبب تلقيبه بالأشدق........... 58

النقطة الثالثة: وصَفَه النبيّ (صلي الله عليه و آله و سلم) بالجبّار.... 59

النقطة الرابعة: أوّل مَن أخفت بالبسملة..... 60

النقطة الخامسة: موقفه حين سمع خبر شهادة الإمام (عليه السلام) 60

النقطة السادسة: كان أشدّ الناس في أمر مروان.......... 63

النقطة السابعة: طمعه في المُلك وقتله...... 64

النقطة الثامنة: قتل عمرو بن سعيد بن العاص..... 67

النقطة التاسعة: كلام صاحب (الغدير) فيه.......... 68

النقطة العاشرة: هذا هو والي مكّة!... 69

نزول الإمام (عليه السلام) دار العبّاس بن عبد المطّلب... 71

نزول الإمام بأعلي مكّة........... 73

الملاحظة الأُولي: تفرّد الخوارزميّ......... 74

الملاحظة الثانية: ارتباك النصّ..... 74

الملاحظة الثالثة: تصريح الخوارزميّ بالإقامة في مكّة......... 75

الملاحظة الرابعة: نزول المستجير بالبيت.......... 75

الملاحظة الخامسة: اختلاف الظروف..... 76

الملاحظة السادسة: علي فرض صحّة القول..... 76

لقاء الناس بالإمام (عليه السلام) 79

لو طلب البيعة لأجيب!!....... 85

كتاب الأشدق ليزيد... 89

التلميح الأوّل: اسم الوالي...... 89

التلميح الثاني: انفراد الخوارزميّ.... 90

التلميح الثالث: مخاوف السلطان...... 90

التلميح الرابع: سبب المخاوف........ 91

التلميح الخامس: الإخبار عن فعل الناس........... 91

التلميح السادس: الكتاب من المدينة........ 92

التلميح السابع: خروج الوالي إلي المدينة!....... 92

التلميح الثامن: إخبار يزيد بنزول الإمام (عليه السلام) 93

التلميح التاسع: الخلاصة......... 94

كتاب يزيد إلي أهل المدينة وردّ الإمام (عليه السلام) 97

العنوان الأوّل: وقت إرسال الكتاب......... 99

الوقت الأوّل: إبّان خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي مكّة......... 99

الوقت الثاني: عند نزول الإمام (عليه السلام) في مكّة... 100

العنوان الثاني: نُسَخ الكتاب......... 103

النسخة الأُولي: نسخة إلي أهل المدينة وغيرهم....... 104

الوقفة الأُولي: المخاطَب...... 107

الوقفة الثانية: معني النظر في الكتاب...... 108

الوقفة الثالثة: ابتداء القرد بالهجوم......... 109

الوقفة الرابعة: مؤدّي الأبيات......... 110

المؤدّي الأوّل: كتابٌ أبتر........... 110

المؤدّي الثاني: تظلّم يزيد!.......... 111

المؤدّي الثالث: حصر مورد المفاخرة... 111

المؤدّي الرابع: منازعة مورد التفاخر..... 112

المؤدّي الخامس: التهديد........... 113

المؤدّي السادس: العزم علي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) والاعتذار منه........ 114

الوقفة الخامسة: جواب الإمام (عليه السلام) 115

الإشارة الأُولي: المخاطَب........... 115

الإشارة الثانية: مضمون الجواب........... 116

الإشارة الثالثة: تطبيق الآية علي المقام........... 117

الإشارة الرابعة: تحديد مصداق المكذّب....... 118

الإشارة الخامسة: ازدراء المخاطَب....... 119

النسخة الثانية: نسخة إلي ابن عبّاس....... 121

الإيضاح الأوّل: اتّحاد نُسَخ الكتاب!......... 124

الإيضاح الثاني: محاولة استبدال الرموز........... 125

الإيضاح الثالث: تصوير سلطة ابن عبّاس علي الإمام (عليه السلام) 127

الإيضاح الرابع: يزيد يكلّف ابن عبّاس بالمهمّة......... 128

الإيضاح الخامس: هجوم العدوّ..... 131

الإيضاح السادس: وضع الإمام (عليه السلام) وابن الزبير في موقفٍ واحد 132

الإيضاح السابع: النزاع علي السلطة........ 134

الإيضاح الثامن: الافتراء علي الإمام (عليه السلام) 135

الدنيّة الأُولي:.......... 135

الدنيّة الثانية:.... 137

الدنيّة الثالثة:.... 138

الدنيّة الرابعة:... 139

الدنيّة الخامسة:......... 140

الدنيّة السادسة:......... 140

ص: 305

الإيضاح التاسع: مكاتبة أهل الكوفة........ 142

الإيضاح العاشر: إقرار القرد المخمور بقلّة مَن كاتب ودعا.......... 143

الإيضاح الحادي عشر: يمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمارة...... 146

الاستطالة الأُولي: الكذب الصريح........ 147

الاستطالة الثانية: محاولات التضليل...... 148

الاستطالة الثالثة: منّوه الخلافة!..... 149

الاستطالة الرابعة: شاهدٌ علي كذب يزيد........ 150

الاستطالة الخامسة: اغترار الإمام (عليه السلام) بوعود الناس!.......... 151

الإيضاح الثاني عشر: قطع الرحم وبتّه..... 153

الإيضاح الثالث عشر: الأمان والمساومة بالدنيا........... 154

الأمر الأوّل: تأخّر المقايضة......... 154

الأمر الثاني: المقايضة........ 155

الأمر الثالث: تقديم المواثيق....... 158

الإيضاح الرابع عشر: إغراء ابن عبّاس..... 160

جواب ابن عبّاس..... 163

المحتوي الأوّل: ما يراه ابنُ عبّاسٍ في نفسه... 166

المحتوي الثاني: تصريح الجواب بسبب الخروج من المدينة.... 167

المحتوي الثالث: أداء النصيحة ومفادها.......... 169

المادّة الأُولي: النائرة، الفتنة، حقن الدماء....... 169

المادّة الثانية: يأمر يزيد بما يأمر به الإمام (عليه السلام) 171

أوّلاً: جعل نفسه في موضع الآمِر للإمام (عليه السلام) 172

ثانياً: جمعه الإمام (عليه السلام) ويزيد في مستويً واحدٍ من الخطاب......... 173

المادّة الثالثة: تبييت يزيد وإرصاده وحفره لسيّد الشهداء (عليه السلام) 174

ص: 306

المادّة الرابعة: النصيحة لأولاد البغايا..... 176

المادّة الخامسة: خاتمةٌ تفرّد بها الشجريّ....... 178

النسخة الثالثة: نسخة إلي عمرو بن سعيد.......... 181

الإضافة الأُولي: نسخة الأشدق....... 182

الإضافة الثانية: المخاطَب في هذه النسخة...... 182

الإضافة الثالثة: قول الشعبيّ........... 183

لقاء ابن عبّاس وابن عمر بالإمام (عليه السلام) 185

الإضاءة الأُولي: دخلا وقد عزما علي الانصراف........ 186

الإضاءة الثانية: محاولة الإبقاء علي سيّد الشهداء في الحرم........ 187

الإضاءة الثالثة: بدايةٌ وقحة!.......... 188

الإضاءة الرابعة: ترتيب المقدّمات في كلام ابن عمر......... 189

المقدّمة الأُولي:........ 190

المقدّمة الثانية:.......... 191

المقدّمة الثالثة:.......... 192

النتيجة:........... 192

الإضاءة الخامسة: هلاك البشر!...... 193

الإضاءة السادسة: حسينٌ مقتول!.... 193

الإضاءة السابعة: فهم ابن عمر لموقف سيّد الشهداء (عليه السلام) 196

الإضاءة الثامنة: إشارة ابن عمر!..... 197

الأمر الأوّل: الدخول في صلح ما دخل فيه الناس.... 197

الأمر الثاني: الصبر كما صبر علي معاوية....... 197

الأمر الثالث: تهديد الإمام (عليه السلام) 198

ص: 307

الإضاءة التاسعة: ردّ الإمام (عليه السلام) 198

الملاحظة الأُولي: إنكار الدعوة للدخول في صلح يزيد... 199

الملاحظة الثانية: إذا كان الإمام مقتول، فلماذا يُدعي للبيعة الصاغرة؟.......... 200

الإضاءة العاشرة: عزم يزيد علي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) بتقرير ابن عبّاس 200

الإفادة الأُولي: تظافر الشهادات علي يزيد..... 201

الإفادة الثانية: عزم الرجس علي قتل الطُّهر..... 201

الإفادة الثالثة: موقف الناس......... 202

الإفادة الرابعة: المطلوب من الناس....... 203

الإفادة الخامسة: أثر الخذلان...... 204

الإضاءة الحادية عشر: بكاء الحسين (عليه السلام) وابن عبّاس!........ 204

الإضاءة الثانية عشر: إعلان سيّد الشهداء (عليه السلام) عن مطاردته وعزمهم علي قتله وإهدار دمه وإزعاجه بلا مسوّغ، وتظلّمه ومناشدته........ 205

الإضاءة الثالثة عشر: إقرار ابن عبّاس بمظلوميّة الإمام (عليه السلام) 210

اللمعة الأُولي: الإقرار بالمظلوميّة والحكم علي الناس....... 210

اللمعة الثانية: تأكيد ما ذكره الإمام (عليه السلام) 212

اللمعة الثالثة: اللّهمّ اشهدْ.... 213

اللمعة الرابعة: كأنّك تريدني إلي نفسك!..... 214

الإضاءة الرابعة عشر: سماجة ابن عمر، مع اعترافه أنّ العدوّ عازمٌ علي قتل الحسين (عليه السلام) 219

الإضاءة الخامسة عشر: ردّ سيّد الشهداء (عليه السلام) 222

المضمون الأوّل: لو كان الحياء رجلاً لَكان الحسين (عليه السلام) 223

المضمون الثاني: أُفٍّ لهذا الكلام!........ 224

المضمون الثالث: القسَم علي ابن عمر........... 229

ص: 308

المضمون الرابع: الأمر الّذي كان عليه الإمام (عليه السلام) 230

المضمون الخامس: فردّني.......... 230

المضمون السادس: من فوائد التقرير.... 231

الإضاءة السادسة عشر: جواب ابن عمر.... 232

المطلب الأوّل: الارتباك في تعبير ابن أعثم........... 233

المطلب الثاني: استشهاد ابن عمر بالله.... 234

المطلب الثالث: أدلّة ابن عمر علي صحّة مواقف الإمام.... 234

الدليل الأوّل: العصمة والتسديد الإلهيّ... 235

الدليل الثاني: موانع المناولة........... 235

المطلب الرابع: مخاوف ابن عمر رغم إقراراته........ 236

الخوف الأوّل: الخوف من ضرب وجه الإمام (عليه السلام) بالسيوف........ 236

الخوف الثاني: أن يري الإمامُ (عليه السلام) من الأُمّة ما لا يحبّ....... 237

المطلب الخامس: عودة العبد إلي هرائه........ 237

المطلب السادس: الدعوة إلي مجانبة الصواب........ 238

المطلب السابع: خلاصة كلام ابن عمر.......... 238

الإضاءة السابعة عشر: إصرار القوم علي ملاحقة الإمام (عليه السلام) وقتله كيف ما كان........... 240

المقطع الأوّل: الإمام (عليه السلام) مطلوبٌ أبداً وعلي كلّ حال..... 243

المقطع الثاني: الاستشهاد بيحيي (عليه السلام) 245

الإشارة الأُولي: خلاصة قصّة يحيي (عليه السلام) 245

الإشارة الثانية: الإمام (عليه السلام) يُكثِر من ذِكر يحيي (عليه السلام) 256

الإشارة الثالثة: قتل يحيي (عليه السلام) تشفّياً وانتقاماً...... 256

الإشارة الرابعة: البغيّ الّذي أهدي إليه رأس الإمام (عليه السلام) 256

الإشارة الخامسة: براءة يحيي وقتله دون ذنب... 258

ص: 309

الإشارة السادسة: مبادرة العدوّ وإقدامه علي قتل يحيي (عليه السلام) 259

الإشارة السابعة: الانتقام ليحيي (عليه السلام) 259

الإشارة الثامنة: هوان الدنيا علي الله (عزوجل) 260

الإشارة التاسعة: ما يتعرّض له الأولياء لا يُنقص من قدرهم.......... 261

المقطع الثالث: الاستشهاد بقتل بني إسرائيل الأنبياء (عليهم السلام) 263

التنبيه الأوّل: قتل الأنبياء (عليهم السلام) بغير حقّ.......... 263

التنبيه الثاني: ممارسة الجريمة في أشرف الأوقات..... 264

التنبيه الثالث: اجتماعهم علي الجريمة..... 265

التنبيه الرابع: عدم الاكتراث بالجريمة..... 265

التنبيه الخامس: الانتقام من القتَلَة... 266

المقطع الرابع: التعريض بابن عمر.......... 267

التعريض الأوّل: الدعوة إلي تقوي الله..... 267

التعريض الثاني: الدعوة إلي النصرة......... 268

التعريض الثالث: اذكرني في صلاتك.... 269

الإضاءة الثامنة عشر: إتمام الحُجّة........... 270

الشطر الأوّل: لو أدرك عمر زماني لَنصرني!.......... 270

التنويه الأوّل: القسَم بجدّه البشير النذير... 271

التنويه الثاني: حجّةٌ جديدةٌ ودليلٌ آخَر... 271

الوجه الأول: احتجاجٌ تنزّليّ........ 272

الوجه الثاني: وفق دوافع أبيك ونوازعه........... 272

الوجه الثالث: الاقتداء بسنّة أبيه..... 273

الشطر الثاني: الإعذار......... 273

الشطر الثالث: الدعاء والتباطؤ...... 275

الإضاءة التاسعة عشر: هدف الإمام (عليه السلام) من دخول مكّة والبقاء فيها 276

ص: 310

النقطة الأُولي: الاستيطان والإقامة أبداً... 277

النقطة الثانية: شرط البقاء.... 279

الشعبة الأُولي: الحبّ... 279

الشعبة الثانية: النصرة.... 282

النقطة الثالثة: فرض عدم توفّر الشرط... 283

النقطة الرابعة: البديل......... 285

الموقف الأوّل: الاستبدال..... 285

الموقف الثاني: الاستعصام بكلمة إبراهيم (عليه السلام) 287

النقطة الخامسة: التشبيه بإبراهيم الخليل (عليه السلام) ... 288

النقطة السادسة: وأنت يا ابن عبّاس!...... 290

الومضة الأُولي: التفاتة الإمام (عليه السلام) إلي ابن عبّاس!....... 290

الومضة الثانية: حرج ابن عبّاس...... 291

الومضة الثالثة: المداراة والتودّد...... 292

الومضة الرابعة: تطييب خاطره........ 293

الومضة الخامسة: إنْ كنتَ تشير بالرشاد فإنّك أخطأتَ اليوم!....... 294

الومضة السادسة: هل استبدل الله بابن عبّاس وابن عمر؟!..... 294

الومضة السابعة: هل في كلام الإمام عذرٌ لابن عبّاس؟........ 295

النقطة السابعة: بكاؤهم جميعاً..... 296

الإضاءة العشرون: أقام الإمام بمكّة ولزم الصلاة........ 297

الإنارة الأُولي: صار العبدان إلي المدينة!.......... 298

الإنارة الثانية: أقام الإمام الحسين (عليه السلام) بمكّة....... 298

الإنارة الثالثة: لزوم الصلاة.... 299

ص: 311

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المــركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءٍ من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩